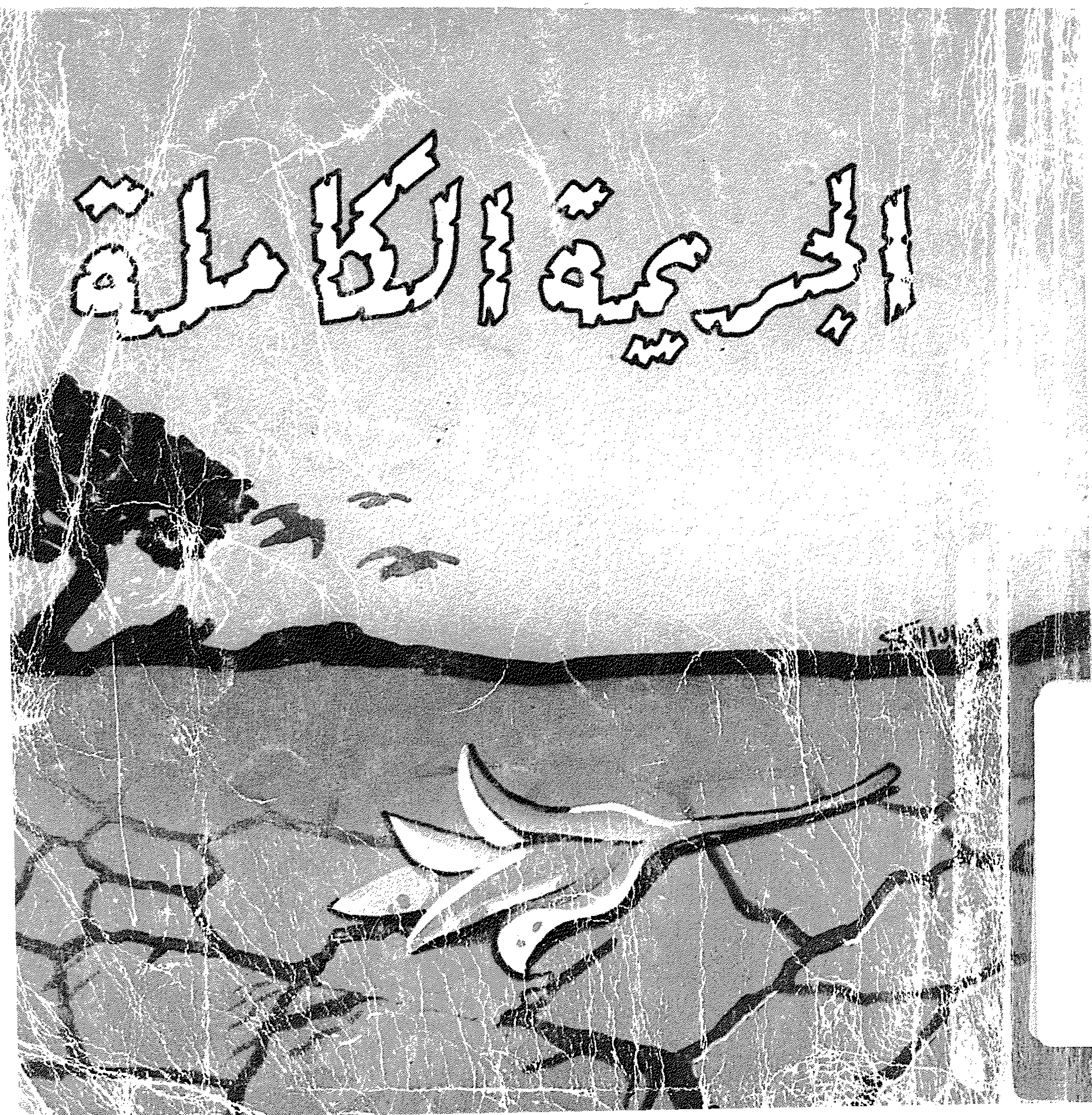
أجاثا كريستي

٨

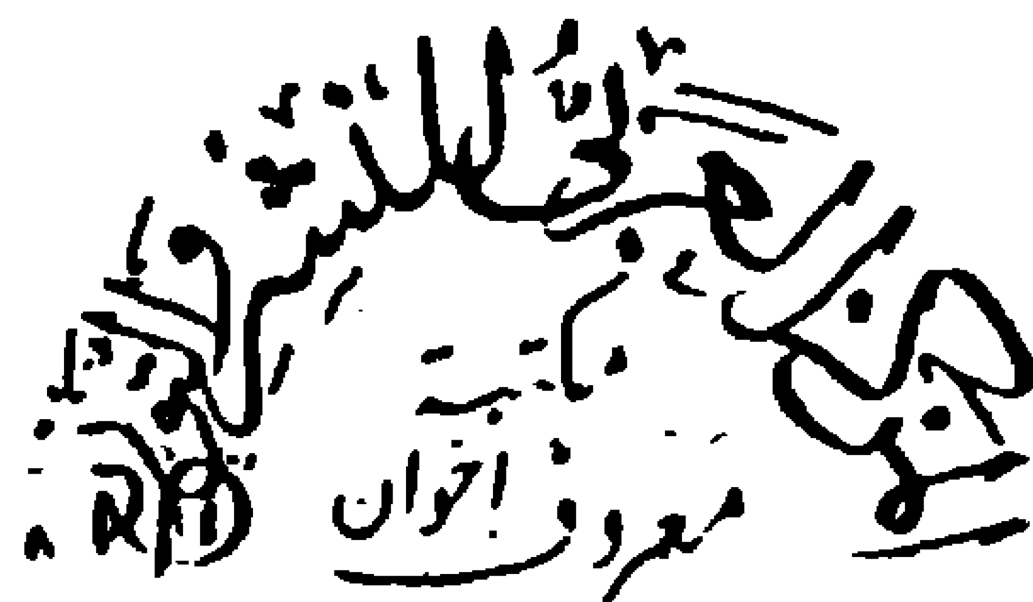


الجريمة الكاملة

اجاثا كريستى

الجريمة الكاملة

ترجمة / محمد عبد المنعم جلال



اسكندرية ـ ٤ ش سعد زغلول ـ ت : ٨١٠٨٢٨
القاهرة ـ ٤٣ ب ش رمسيس ـ ت : ٥٧٤٣٦١١

غلاف واشراف فنى :

ايهاب التركى

إخراج فنى :

منى سليم

الموزعون
بالمملكة العربية السعودية
مكتبة دار الشعب
ت : ٤١١١٢٠٧ الرياض

مقدمة

فى كل ناد رجل ثقيل الظل يستظرف نفسه ، ولم يشذ نادى كورونيشن عن هذه القاعدة ، ولم تغير الغارة القائمة فوق مدينة لندن شيئاً من سير الأحداث العادية ، فقد راح الميجور بورتر ، الضابط السابق بالجيش الهندى يتنحنح وهو يلوح بجريدته ، وعلى الرغم من أن الجميع تجنبوا النظر إليه فإنه لم يعبأ بهم وبدأ يقول :

- أرى أن جريدة التايمز قد نشرت نبأ وفاة جوردون كلود ، وإن كانت قد فعلت ذلك فى كلمات وجيزة : « مات فى اليوم الخامس من شهر اكتوبر نتيجة لغارة جوية قام بها الأعداء » ولم تذكر عنوانه ، ولكن إنصافاً للحقيقة أقول أن ذلك وقع على مقربة من البيت الذى أقيم فيه ، وأنه لقى حتفه فى أحد القصور التى تقع فى حى كامبتون هيل . وقد هزنى الإنفجار شيئاً ما ، فأنا كما تعلمون من رجال الدفاع المدنى ، وكان كلود قد عاد لتوه من الولايات المتحدة حيث كان قد ذهب اليها فى عمل تجارى أسندته الحكومة إليه ، وقد تزوج أثناء وجوده هناك من أرملة شابة تكاد تكون فى سن ابنته وتدعى مسز اندرهاى . والواقع أننى عرفت زوجها الأول أثناء اقامتى فى نيجيريا .

أمسك الميجور عن الحديث .. لم يبد أحد من الحاضرين أى اهتمام به ولم يطلب منه أى واحد منهم الاستمرار فى قصته . كانوا كلهم يخفون وجوهم خلف جرائدهم ، ولكن ما كان هذا ليثنيه عن نيته ، فهو دائماً ما يسرد القصص الطويلة المسهبة ، وأكثرها عن أشخاص لا يعرفهم أى شخص من المستمعين اليه .

وعاد يقول فى صوت قوى وهو يحدق بعينيه فى زوج مدبب من الأحذية ، وهو نوع لا يروق له أبداً .

- وهذا أمر مثير ، فأنا كما تعلمون من رجال الدفاع المدنى وضغط الهواء الذى

ينتج عن انفجار القنابل شئ غريب حقاً لا يمكن لأحد أن يتوقع ماذا تكون نتيجته ، ولكنه فى تلك المرة تسبب فى تحطيم الطابق الأرضى والسطوح ، أما الطابق الأول فلم يتأثر تقريباً . وكان بالبيت فى تلك الليلة ستة أشخاص .... ثلاثة من الخدم وكلود وزوجته وأخوها . وكانوا كلهم قد أسرعوا إلى القبو فيما عدا الأخ ، وهو شاب من رجال الكوماندوز وآثر البقاء والانتظار فى غرفة نومه بالطابق الأول وقد خرج من الغارة مصاباً ببضع كدمات . أما الخدم الثلاثة فقد ماتوا كلهم ودفن جوردون كلود تحت الأنقاض . وقد سارعوا باخراجه ، ولكنه لفظ نفسه الأخير وهو فى الطريق إلى المستشفى . أما زوجته فقد عانت من الانفجار وتجردت من كل ثيابها ، ولكنها خرجت حية ترزق ، ويقال أنها ستعيش ، ولكنها ستكون أرملة ثرية لان جوردون كلود كان يملك ثروة تقدر بأكثر من مليون جنيه .

أمسك الميجور بورتر من جديد ، وانتقلت عيناه من الحذاء المدبب إلى بنطلون مخطط وسترة سوداء وشارب كثيف ورأس بيضاوية ... لم يكن هناك شك فى أن صاحبها رجل أجنبى ، وفى هذا وحده تفسير للحذاء المدبب . وحدث الميجور نفسه فقال : واننى لاتساءل حقاً ماذا سيكون مصير هذا النادى ؟ إن هؤلاء الأجانب يتسللون إلى كل مكان .. حتى هذا النادى بالذات . ومع ذلك فان هذا الخاطر لم يشغله عن الاستمرار فى قصته ، والحق أن ذلك الرجل الأجنبى كان هو الوحيد الذى أبدى إهتمامه بثرثرة الضابط العجوز . واستطرد هذا الأخير يقول :

- لا يمكن أن تكون قد تجاوزت الخامسة والعشرين من عمرها ، ومع ذلك فقد ترملت للمرة الثانية ... أو هذا هو اعتقادنا على الأقل .

وأمسك عن الحديث على أمل أن يبدى أحد دهشته أو يعلق على قوله . وإذ لم يسمع كلمة واحدة راح يقول فى اصرار :

- وإنصافاً للحقيقة أقول أن لى رأيى الخاص فى هذه المسألة وهو أنها مسألة غريبة. فكما سبق أن قلت لكم عرفت زوجها الأول ويدعى اندرهاى ، وهو رجل شهم كان مندوباً للحكومة فى إحدى مقاطعات نيجيريا ، وكان يقوم بعمله فى رقة كبيرة .

وقد تزوجها فى مدينة الكاب ، وكانت قد أقبلت اليها مع فرقة من الممثلين ، ولكنها لم تكن موفقة فى عملها ، وأصغت إلى حديث اندرهاى المسكين وهو يصف لها فى حماس المقاطعة التى يعيش فيها والأراضى الصحراوية الشاسعة التى تحيط بها ولهثت تقول : - ما أروع هذا ...

وأردفت تقول أنها تتوق أن تبتعد عن العالم الذى تضطر إلى العيش فيه ... حسناً . أنها تزوجته وتخلصت من متاعبها . وكان المسكين يحبها حباً جماً ولكن زواجهما لم يفلح ، فقد كانت تكره الاحراش ولم تطمئن إلى المواطنين ، واستولى عليها الضجر بشكل مخيف . كانت فكرتها عن الحياة تدور حول المسرح والممثلين والاختلاط بهؤلاء الاخيرين . أما البقاء وسط الاحراش وحدها مع زوجها فلم يرق لها أبداً ...ولا تحسبن انني التقيت بها ... كلا ، أبداً .... وانما عرفت كل هذه التفاصيل من اندرهاى نفسه وقد أحزنه ذلك الأمر كل الحزن ، ولكنه تصرف التصرف السليم فأعادها الى انجلترا وقبل أن يمنحها الطلاق . وقد التقيت به وقتئذ . كان الكيل قد طفح به وأصبح لا يتمنى إلا أن يفضى إلى بما يقض مضجعه . كان رجلاً غريب الأطوار ... وكان كاثوليكياً لا يقر الطلاق ولكنه قال لى :- هناك وسائل أخرى لمنح المرأة حريتها فقلت له : - اسمع يا صاحبى ، لا تقدم على أية حماقة فما من امرأة فى العالم تستحق ان تنتحر من أجلها .

وأجابنى بأنه لا ينوى ذلك على الاطلاق وأردف : «ولكننى وحيد فى هذه الدنيا وليس لى أهل يهمهم أمرى ، فإذا ما شاع نبأ موتى فستكون روزالين حرة . وهى لا تصبو إلى أكثر من هذا . فسألته : - وأنت ؟ ... ماذا يكون من أمرك فأجاب « لعل رجلاً يدعى مستر اينوك آردن يظهر فى مكان آخر بعيد عن هذا بآلاف الأميال لكى يبدأ حياته من جديد فحذرته قائلاً :- أن هذا قد يحرجها بطريقة ما ولكنه أجابنى قائلاً :- أوه ، كلا . سأقوم بلعبتى كما يجب سيموت روبيرت اندرهاى حقاً .

- حسناً ... لم أسمع عنه أبداً بعد ذلك ولكنى علمت بعد نحو ستة شهور أن اندرهاى مات من الحمى فى مكان ما من الاحراش ، وان المواطنين الذين كانوا يعملون

معه ويخلصون له كل الاخلاص عادوا بقصة محبوكة الاطراف ومعهم شهادة بخط اندرهاى نفسه يقول فيها أنهم بذلوا من أجله كل ما فى مقدورهم وانه يعتقد أنه لن يعمر طويلاً . واختتم كلمته ممتدحاً رئيس رجاله ، وكان رجلاً شديد الاخلاص له هو ورجاله . وما كانوا ليحجموا عن الاقدام على أى شئ يطلبه منهم ... هذه هى القصة ، ومن الجائز ان اندرهاى مدفون فى مكان ما بوسط افريقيا الاستوائية . ومن الجائز أيضاً أن الأمر غير ذلك ، وإذا صح هذا فربما تصاب مسز كلود بصدمة شديدة ذات يوم... صدمة لا تستطيع أن تفيق منها بسهولة فاننى وإن كنت لم التق بها أبداً إلا أننى أعرف وقع هذا النوع من الصدمات على أمثالها فإنها حطمت حياة اندرهاى المسكين ... أرأيت هذه القصة المثيرة .

ونظر الميجور بورتر حوله كما لو كان يبحث عن تأييد لهذا القول ولكنه رأى أن أحداً لم يهتم بحديثه غير رجلين أحدهما مستر ميلون الشاب وكان يحاول أن يتجنب النظر اليه ومستر هركيول بوارو ، وقد بدا فى عينى هذا الأخير شئ من الفضول المهذب . وساد صمت يسير قطعه صوت جريدة ألقاها رجل أشيب الشعر جانباً ثم نهض فى هدوء من المقعد الذى كان يجلس فيه بجوار المدفأة وغادر المكان .

وما أن رآه الميجور بورتر حتى فغر فاه وتدلى فكه فى حين أطلق مستر ميلون صفيراً خافتاً من بين شفتيه وقال :

- ما هذا الذى فعلت يا صاحبى ؟ ... هل تعرف من هذا ؟

أجاب الميجور بورتر فى شئ من الانفعال :- بالطبع ... اعرف من هو وان كنت لا أعرفه معرفة وثيقة .. انه جيريمى كلود ، أخو جوردون ... اننى لسيئ الحظ حقاً ... لو أنه خطر لى ...

وقاطعه ميلون الشاب قائلاً :- انه محام . وأراهنك انه سيقاضيك بتهمة التشهير والافتراء أو ما شابه ذلك .

وعاد الميجور يقول فى اضطراب وانفعال :- يا للحظ السيئ .. يااللحظ السيئ . وقال مستر ميلون :- ستكون هذه القصة على كل لسان فى وارسلى هيث هذه الليلة

... حيث يقيم جميع آل كلود . وسيتشاورون فيما بينهم فيما يجب عمله .

وانطلقت الصفارات فى هذه اللحظة تعلن انتهاء الغارة فأمسك مستر ميلون عن الكلام وأرشد صديقه هركيول بوارو إلى الخارج وهو يقول :

- ان جو هذه الأندية فظيع . فهى تضم مجموعة كبيرة من الثقلاء ، وبورتر اسوأهم جميعاً فهو إذا سرد عليك قصة فلن يفرغ منها قبل ساعة وهو فوق ذلك يعرف كل الانجليز الذين ولدوا فى الهند .

كان ذلك فى خريف سنة ١٩٤٢ وفى أواخر ربيع سنة ١٩٤٦ اقبلت امرأة لزيارة هركيول بوارو .

كان هركيول بوارو جالساً إلى مكتبه فى يوم جميل من أيام شهر مايو حين دنا منه خادمه جورج وقال فى احترام :

- أقبلت سيدة تريد أن تراك يا سيدى .

انصرف جورج ولم يلبث أن عاد بعد قليل يقول فى لهجة رسمية :

- مسز كلود ...

ودخلت السيدة ذات الجاكيت التويد والايشارب الحريرى متألقة الوجه وتقدمت إلى بوارو بيد مبسوطة فى حين كان عقدها يهتز ويصدر منه صليل متتابع وقال :

- مستر بوارو ... اننى أتيت اليك بتوجيه من الأرواح .

أجفل بوارو اجفالة خفيفة وقال :- حقاً يا سيدتى ... تفضلى بالجلوس وأسردى على قصتك .

ولم يستطع أن يزيد فقد قاطعته السيدة تقول :- وقد حدث ذلك فى الأمس الأسبق ، كانت مدام الفارى ، وهى سيدة رائعة ، تجلس معى على المائدة ، وقد كتبت الأرواح الحرفين الأولين من أسمك ثلاث مرات متتابعة . وبالطبع لم أفهم لهذين الحرفين معنى فى بادئ الأمر . ومر وقت قبل أن أفهم ذلك فالإنسان فى وقتنا هذا لا يمكن أن يرى بوضوح لأول وهلة . وقد أرهقت ذهنى وأنا أحاول أن أفهم معنى هذين الحرفين ، كنت واثقة من أن لهما علاقة وثيقة بالجلسة السابقة ولكنى لم أفهم هذه العلاقة الا

أخيراً فقد اشتريت نسخة من مجلة بكتشر بوست بتوجيه من الأرواح فى المرة الثانية لأننى أشترى عادة مجلة نيوستيتسمان . وفيها رأيت صورة لك ونبذة عنك وعن القضايا التى تناولتها وهذا أمر عجيب يا مستر بوارو . فان هذا يدل دلالة واضحة على أن لكل شئ فى هذه الدنيا سبباً . ومن الواضح أن الأرواح تشير اليك لكى تجلو أسرار هذه القضية .

نظر بوارو اليها فى تفكير . والغريب فى الأمر أن الشئ الوحيد الذى أثار إهتمامه فيها هو عيناها الحادتان الزرقاوان اللتان تتألقان خبثاً ومكراً . فقد رأى فيهما تفسيراً للطريقة الملتوية التى لجأت اليها لكى تصل اليه . وقال باسماً :

- وماذا استطيع أن أؤدى لك يا مسز كلود ؟

واستطرد يقول : يخيل لى أننى سمعت هذا الاسم من قبل .

اومأت المرأة برأسها فى قوة وقالت :-

- انه اسم مشهور كانت الجرائد تذكره فى أغلب الأحيان ... فان جوردون كلود ، اخو زوجى كان رجلاً معروفاً وكان واسع الثراء . وقد قتل فى إحدى الغارات التى وقعت على لندن فى العام الماضى وكان موته كارثة كبيرة ، لنا جميعاً . وزوجى هو اخوه الأصغر وهو طبيب واسمه الدكتور ليونل كلود ..

واستطردت تقول وقد خفتت من صوتها : وهو لا يعرف بالطبع اننى اتيت لاستشارتك فهو لا يقر بمثل هذا التصرف . والحق أن الأطباء قوم ماديون لا يؤمنون بالأرواح ويبنون إيمانهم على العلم فحسب ... ولكن ماذا يمكن للعلم أن يصنع فى هذه الحالة بالذات ؟

وخطر لهركيول أن يرد على سؤالها هذا فيعد لها مزايا العلم ومنافعه ويحدثها عن باستور وليستر ومصباح الأمان الذى اخترعه همفرى ديفى وفوائد الكهرباء فى البيت وغيرها من الأشياء الأخرى . ولكن لم يكن هذا الرد هو الذى تريده مسز ليونين كلود والواقع أن سؤالها كغيره من الأسئلة الأخرى لم يكن سؤالاً بمعنى الكلمة الما كان مجرد اشارة بيانية .

- هل تؤمن بالأرواح حقاً يا مستر بوارو ؟

أجاب بوارو فى حذر :- أنا كاثوليكى مؤمن يا سيدتى .

ارتسمت على شفتى مسز كلود ابتسامة رثاء وقالت :- ان الكنيسة عمياء .. عمياء متحيزة وحمقاء لا ترى حقيقة ولا جمال الدنيا التى تكمن وراء تلك الحياة التى نعيش فيها .

قال بوارو :- اننى مرتبط بموعد هام فى تمام الساعة الحادية عشرة يا سيدتى .

وكانت لملاحظته هذه الأثر الفعال فقد انحنت مسز كلود إلى الأمام وأسرعت تقول :

- يجب أن أطرق الموضوع الذى جئت من أجله اذن . هل تستطيع العثور على شخص مفقود ؟

ارتفع حاجبا بوارو وأجاب فى حذر : نعم ... قد يكون ذلك ممكناً ... ولكن رجال البوليس أقدر منى فى هذه الناحية يا مسز كلود . فان كل الطرق والوسائل الخاصة بذلك متوفرة لهم .

ولكن مسز كلود لم تعر قوله هذا أى اهتمام وقالت :كلا يا مستر بوارو . ان الأرواح هى التى وجهتنى اليك . اصغ إلى جيداً .. إن أخا زوجى جوردون تزوج قبل موته بعدة أسابيع بأرملة شابة ... تدعى مسز اندرهاى ... وقد جاءها نبأ بأن زوجها مات فى أفريقيا .. وهى بلد غريبة أفريقيا هذه ..

قال بوارو مصححاً : هى قارة غريبة ... هذا جائز ... أى ناحية ؟

- فى أفريقيا الوسطى .. حيث الفودو والزومبى .

واستطردت مسز كلود تقول :- والسحر الأسود ... والأعمال الغريبة التى تتسم بالغموض .... البلاد التى يختفى فيها الرجل ولا يسمع أحد عنه شيئاً بعد ذلك أبداً.

قال بوارو :- هذا جائز .. هذا جائز ولكن يمكن أن نقول نفس هذا القول عن بيكاديللى سيركوس .

لم تعلق مسز كلود على قوله هذا واسأنفت تقول :- وقد حدث فى الجلستين الأخيرتين ان تدخلت إحدى الأرواح وذكرت أن اسمها روبيرت وقالت فى كل من المرتين:

انه لم يمت .. لم يمت وأخذتنا الدهشة فاننا لا نعرف أحداً باسم روبيرت واستجوبنا الروح مرة أخرى وسألناها ماذا تعنى فطلبت قلما وراحت تكتب بعض الحروف فى ورقة وجمعناها فإذا بها تقول : قولوا لروزالين أن روبيرت اندرهاى لم يمت .

- آه . وهل قلتم لها هذا ؟

نظرت مسز كلود اليه مشدوهة وقالت :- كلا .. إن الإنسان متشكك بطبعه .. ولن تصدق روزالين الامر طبعاً .. ثم أن هذا الخبر قد يسبب لها إزعاجاً كبيراً فتظل تتساءل أين هو وماذا يفعل .

- تقصدين ماذا يفعل فيما عدا ارسال صوته عبر الاثير ... هذه طريقة غريبة لكى يعلن عن أمنه وسلامته .

- آه أرى يا مستر بوارو انك لا تؤمن بالأرواح ..

ولكنك لا تعرف شيئاً عن الظروف التى تحيط بالكابتن اندرهاى المسكين .. لعله أسير فى مكان ما بقلب أفريقيا ، ولكن إذا استطعنا أن نعثر عليه وأن نعيده إلى زوجته الشابة روزالين .. تصور مدى سعادتها عندئذ ... أوه يا مستر بوارو .. لقد وجهتنى الارواح اليك ويقينا أنك لن ترفض أوامرها .

نظر بوارو إليها مفكراً ثم قال فى رقة :- ان اتعابى مرتفعة جداً ... وأستطيع أن أقول أنها باهظة ... والمهمة التى تتكلمين عنها لن تكون بالمهمة اليسيرة .

- هو ذلك لسوء الحظ ... وأنا وزوجى فى حالة مالية يرثى لها .. يرثى لها حقاً. ومتاعبى المالية أنا نفسى أسوأ مما يتصور زوجى المحبوب ... فقد ابتعت بعض الاسهم بتوجيه من الأرواح . ولكن قيمتها انخفضت كثيراً بحيث لا يقبل أحد شراءها بأية صورة .

ونظرت اليه بعينين زرقاوين‌باتستين‌وقالت :- ولم أجرؤ على إخبار زوجى بذلك . وإنما أخبرك به لكى تفهم مركزى المالى . ولكن من المؤكد يا عزيزى بوارو أن الجمع بين زوج شاب وزوجته عمل نبيل . .

- ان الأعمال النبيلة يا سيدتى العزيزة لا تسدد أجر الباخرة ولا السكك الحديدية

ولا مصاريف الانتقال . وهى لا تسدد كذلك أثمان البرقيات ولا معلومات الشهود .

- ولكن إذا أنت عثرت عليه .. إذا عثرت على الكابتن اندرهاى حياً يرزق .. حسناً .. فإننى أستطيع أن أؤكد لك انه لن تكون هناك صعوبة عندئذ فى أن .. فى أن نسدد لك أتعابك .

- آه .. هل الكابتن اندرهاى ثرى جداً .

- كلا ... ولكننى أستطيع أن أضمنه لك .أستطيع أن أؤكد لك عندئذ أن مركزنا المالى سوف يتغير .. وأننا لن نشكو أية متاعب مالية .

هز بوارو رأسه فى بطء وقال :- أننى آسف ياسيدتى ... أننى أرفض الاضطلاع بهذه المهمة .

ووجد شيئاً من الصعوبة فى اقناعها بذلك . وبعد أن انصرفت وقف مكانه وقد استغرقته الافكار . وتذكر الآن لماذا بدا له اسم كلود مألوفاً لديه فقد عاد إلى ذهنه ذلك الحديث الذى دار أمامه فى النادى فى الليلة التى وقعت فيها الغارة .. تلك القصة التى سردها الميجور بورتر بصوته المزعج والتى لم يشأ أحد الاستماع إليها .

وتذكر الجريدة التى ألقيت جانباً والطريقة التى فغر بها الميجور بورتر فاه وتدلى فكه فى استياء .

ولكن الشئ الذى أزعجه وأثار حيرته أكثر من أى شئ آخر هو تلك القصة التى أدلت بها المرأة المتوسطة العمر التى غادرته منذ لحظات .. اشارتها الصريحة إلى الأرواح ... والغموض الذى يتبدى فى ثيابها الغريبة وعقدها الذى يهتز حول جيدها باستمرار ووميض الخبث الى يبرق فى عينيها الزرقاوين . وقال يحدث نفسه :

- لماذا أتتنى بالذات ؟ .. وما الذى يدور فى ... ونظر إلى البطاقة التى فوق مكتبه واستطرد : وارمسلى فيل .

وبعد خمسة أيام على وجه التحديد رأى خبراً صغيراً فى إحدى الجرائد المسائية ،. خبرا يدور حول رجل اسمه أنبوك أردن لقى حتفه فى وارمسلى فيل ، وهى قرية صغيرة تبعد بنحو ثلاثة أميال عن ملعب الجولف المشهور بوارمسلى هيث .

وعاد هركيول بوارو يقول لنفسه :- اننى لا تساءل ماذا يحدث فى وارمسلى فيل .

الفصل الأول

فى ضواحى وارمسلى بعض البيوت الجميلة التى تحيط بها الحدائق الغناء ، وفى أحد هذه البيوت ويعرف باسم «البيت الأبيض» عادت لين مارشمونت فى أوائل ربيع سنة ١٩٤٦ بعد أن سرحت من الجيش .

وفى صباح اليوم الثالث لعودتها أطلت من نافذة غرفة نومها إلى الحديقة التى امتدت اليها يد الإهمال وإلى أشجار الدردار فى المرج القريب ، واستنشقت الهواء فى سعادة . كان يوماً جميلاً يعبق برائحة الأرض الرطبة الندية ، وهى رائحة افتقرتها فى السنتين والنصف الأخيرة .

وأنه لجميل أن تسرح من الجيش وأن تعود فتصبح امرأة من جديد ، وإن كانت قد استمتعت بخدمتها فيما عبر البحار ، فقد كان عملها مثيراً بما فيه الكفاية ، ثم انه كانت هناك حفلات كثيرة من السمر والمرح ، ولكن كان هناك كذلك الروتين المزعج والاحساس بأنها تمتزج بزميلاتها بصورة تجعلها تفكر فى أغلب الأحيان فى الهرب من صحبتهن . وفى خلال ذلك الصيف الخانق الطويل الذى قضته فى الشرق تمنت أن تعود إلى وارمسلى فيل والى البيت العتيق المريح والى امها الحبيبة .

كانت لين تعبد أمها ، وكانت هذه الأخيرة تثير سخطها وحنقها فى نفس الوقت . وقد ظلت على حبها لها وهى بعيدة ونسيت سخطها وحنقها .

وها هى الآن قد تركت خدمة الجيش وعادت إلى بيتها الأبيض من جديد .. عادت منذ ثلاثة أيام وسرعان ما اجتاحها احساس بغيض بالاستياء ... كان كل شئ كما تركته تماماً ... كل شئ ... البيت والأم وورولى والمزرعة والأسرة ... أما الشئ الذى

تغير والذى لم يكن يجب أن يتغير فهو هى بالذات .

وجاءها صوت مسز مارشمونت الواهن عبر الدار قائلة :- عزيزتى .. هل أحضر لفتاتى الصغيرة طعامها فى الفراش ؟

أسرعت لين تقول فى حدة :- كلا طبعاً ... اننى سأهبط حالاً .

وقالت تحدث نفسها «لماذا تدعونى أمى بفتاتى الصغيرة .. هذا أمر مضحك ...».

وهبطت السلم ودخلت غرفة الطعام . ولم يكن طعام الافطار شهياً ، وكانت قد لحظت انه لابد من تكريس وقت طويل للبحث عن أصناف الطعام المختلفة ، وكانت مسز مارشمونت تقضى كل وقتها فى البيت فى كفاح مستمر مع الطهى والغسيل ، ففيما عدا خادمة واحدة كانت تأتى فى الاسبوع أربع مرات ولا يمكن الاعتماد عليها كانت مسز مارشمونت تقوم وحدها بكل شئون البيت من طهى وغسيل وغيره . وكانت قد بلغت الأربعين عندماولدت لين ولم تكن تتمتع بصحة جيدةورأت لين فى شئ من الفزع أن مركزهما المالى قد تغير بصورة مزعجة فان الدخل البسيط الثابت الذى أعانهما على المعيشة فى شئ من الكفاف قبل الحرب قد انخفض إلى النصف بفعل الضرائب فى حين ارتفعت الأسعار وزادت النفقات .

وقالت لين عابسة :- يا له من عالم جديد عجيب !

وانتقلت عيناها بلا مبالاة إلى أعمدة الجريدة اليومية .. مقاتلة سابقة تبحث عن عمل يتطلب خبرة ودراية ... «مقاتلة سابقة تبحث عن وظيفة تحتاج إلى مقدرة وخبرة» .

ولكن كل هذا لم يكن ليهمها فى شئ فقد كانت ترى طريقها واضحاً أمامها ... الزواج بابن عمها رولى كلود ، وكانت قد تمت خطبتهما منذ سبع سنوات أى قبل أن تنشب الحرب ، وبقدر ما تتذكر كانت تتمنى دائماً أن تتزوج رولى . وعندما أراد رولى أن يصبح مزارعاً أقرته على هذا الاختيار ... فان حياة المزارعين حياة طيبة بعيدة عن الإثارة وحافلة بالأعمال الشاقة ولكنها كانت على غراره تعشق الهواء الطلق وتربية المواشى .

ولكن كانت تنقصهما الإمكانيات لتحقيق ذلك ، بيد أن العم جوردون وعدهما دائماً ..

وقالت مسز مارشمونت فى صوت شاك :- كانت كارثة رهيبة لنا جميعاً يا عزيزتى لين ، كما كتبت لك . أن جوردون لم يكن قد عاد إلى إنجلترا إلا منذ يومين ، ولم نكن قد رأيناه بعد .. لو أنه لم يبق فى لندن وجاء إلى هنا مباشرة ...

* * * *

نعم ، لو أنه ...

كانت لين بعيدة عن الوطن . وقد كان نبأ موت عمها صدمة أليمة لها ولكنها لم تدرك مدى وقع الفجيعة إلا الآن فقط .

فقد عاشت طوال حياتها هى والآخرون ، بقدر ما تذكر ، يهيمن عليهم جوردون كلود ، فقد كان رجلاً ثرياً لم ينجب ذرية وأخذ كل أفراد أسرته تحت جناحه .

حتى رولى نفسه :- رولى هو وصديقه جونى فافا سور ... وكانا قد بدأ حياتهما معاً فى المزرعة برأسمال صغير يحدوهما الأمل والنشاط . وقد باركهما جوردون وزاد على ذلك بأن قال يخاطب لين :

- لا يمكن للمرء أن يفلح فى الزراعة من غير رأسمال كبير ، ولكننى قبل أن أقدم على أى شئ أريد أولاً أن أعرف إذا كان لدى هذين الشابين من الإرادة والشجاعة ما يكفى لكى ينهضا بمشروعهما هذا ، وإذا أنا قدمت لهما يد المساعدة الآن فربما لا أعرف ما أريد قبل سنوات . أما إذا كانت المقدرة لا تنقصهما وإذا تحققت من أن كل شئ على ما يرام فيما يتعلق بهما يا لين فلن يكون هناك داع لقلقك ، فاننى سأتبنى مشروعهما عندئذ ، وبهذا يمكنك أن تطمئنى على مستقبلك يا عزيزتى . فإنت نعم الزوجة التى تصلح لرولى ، ولكن احتفظى بما قلت لك الآن لنفسك .

ولم تتكلم لين ولكن رولى اكتشف بنفسه اهتمام عمه به وأدرك أن عليه هو وجونى أن يثبتا له أنهما جديران باستثمار أمواله .

نعم ، أنهم كلهم اعتمدوا على جوردون كلود ، وليس ذلك لأنهم كانوا كسالى أو

أنهم يحبون العيش عالة على غيرهم فان جيرمي كلود كان الشريك الرئيسي في مكتب محاماة مشهور ، وكان ليونل كلود طبيباً ممارساً ، ولكن كان وراء عملهم اليومي المضنى الضمان الأكيد في أنهم سيجدون الأمان في الكبر وأن مستقبلهم مضمون ، وأن جوردون كلود الأرمل الذى لم ينجب أولاداً سيتولى ذلك وسيعنى بهم في وصيته .. قال لهم ذلك أكثر من مرة وأصبحوا يعتمدون على هذا الوعد منه .

وكانت أخته أديلا مارشمونت قد بقيت بعد أن ترملت في البيت الأبيض بينما كان في مقدورها أن تنتقل إلى بيت أصغر يحتاج إلى رعاية وخدمة أقل . والتحقت ابنتها لين بمدارس الدرجة الأولى . ولو لم تقع الحرب لاستمرت في دروسها لان شيكات العم جوردون كانت تأتي في مواعيدها بانتظام وتمكنها من العيش في بحبوحة إن لم يكن في بذخ .

كان كل شئ منتظماً إذن ومضموناً إلى أن وقع ما لم يكن في الحسبان ، وتزوج جوردون كلود .

واستطردت أديلا تقول :- وبالطبع صعقنا كلنا يا عزيزتي ، فإنه إذا كان هناك شئ مؤكد فذلك أن جوردون لن يتزوج ثانية أبداً ، ولكنه مع ذلك تزوج وتصرف كما لو كان «مقطوعاً» من الدنيا لا أهل له .

قالت لين :- نعم ... ان له أقارب ... وأقارب كثيرون حقاً .

واستأنفت مسز مارشمونت حديثها قائلة :- كان كريماً دائماً . وإن كان يحدث له أن يستبد برأيه في بعض الأحيان . فهو لم يكن يوافق أبداً على أن نتناول العشاء على مائدة عادية وكان يصر دائماً على أن يكون فوقها مفرش . والواقع أنه أرسل إلى من إيطاليا مفرشاً جميلاً مطرزاً بالدانتيلا .

قالت الفتاة في جفاء :- لا ريب أنه صادف هوى من نفسه .

واستطردت تقول في شئ من الفضول :- ولكن كيف التقى بهذه الزوجة الثانية ؟ انك لم تخبريني بذلك في خطاباتك أبداً .

- أوه يا عزيزتي . لا ريب أنه التقى بها في طائرة أو باخرة أو شئ من هذا القبيل.

كان قد انتقل من أمريكا الجنوبية إلى نيويورك ... بعد كل هذه السنين الطويلة ، وبعد كل ما مر به من سكرتيرات وكاتبات على الآلة الكاتبة وموظفات جميلات .

- أرجو أن تكون جميلة .

قالت أديلا :- يا الهى ... اننى أعتقد أنها غبية حمقاء .

- ولكنك لست رجلاً يا أماه .

واسترسلت مسز مارشمونت تقول :- طبعاً .. لقد أصيبت الفتاة المسكينة بصدمة عنيفة من جراء انفجار القنبلة التى قتلت جوردون وتعرضت لارتجاج شديد وفى رأيى أنها لن تبرأ تماماً مما تعانى منه . إنها عبارة عن كومة من الأعصاب ، وهناك أوقات تبدو فيها غبية حقاً ولا أعتقد أبداً أنها كانت زوجة رقيقة طيبة تليق بجوردون المسكين .

ابتسمت لين ، وكان من الصعب عليها أن تعتقد أن جوردون كلود تزوج بامرأة تصغره بكثير لا لشئ إلا ليستمتع بحديثها . وخافتت مسز مارشمونت من صوتها واستطردت :- ثم اننى أمقت أن أقول ذلك ولكنها ليست سيدة بمعنى الكلمة .

- ما هذا القول يا أماه ... وهل هذا بالشئ المهم فى أيامنا هذه .

قالت أديلا فى برود :- ما زالت لهذه الأشياء أهميتها فى الريف يا عزيزتى ، انما عنيت فقط انها ليست من طبقتنا .

- ياللفتاة المسكينة .

- الحق يا لين أننى لا أعرف ماذا تعنين . اننا حرصنا جميعاً على معاملتها بكل أدب ورفق ، ورحبنا بها من أجل جوردون كلود .

سألتها لين فى فضول :- هى فى فيروبانك الآن إذن ؟

- نعم ، طبعاً . وهل هناك مكان آخر يمكن أن تلجأ إليه بعد خروجها من المستشفى خاصة أن الأطباء نصحوها بمغادرة لندن والإقامة فى الريف .. أنها الآن فى فيروبانك مع أخيها .

سألتها لين :- وكيف هو ؟

- انه شاب بغيض فظ .

مر بذهن لين وميض من العطف وقالت تحدث نفسها :- لو انني كنت مكانه لبدوت بغيضاً فظاً .

وقالت في صوت مسموع :- ما اسمه ؟

- هنتر .. دافيد هنتر . وأعتقد أنه أيرلندي . اننا لم نسمع عنهما من قبل طبعاً ، ولكنها كانت أرمل ... وكانت تدعى مسز اندرهاى ... انني لا أحب أن أقسو في حكمي على أحد ولكنني لا أستطيع إلا أن أسأل نفسي ، أي نوع من الأرامل تلك التي تنتقل من أمريكا الجنوبية وقت الحرب ... لا يسعني إلا أن أفكر في أنها كانت تسعى بذلك للزواج من رجل ثرى .

قالت لين :- إذا كان الأمر كذلك فهي قد عثرت عليه .

تنهدت مسز مارشمونت وقالت :- هذه قصة غريبة جداً . ان جوردون كان رجلاً ذكياً جداً ، وقد حاولت النساء الكثيرات إيقاعه في حبائلهن ، ولا سيما سكرتيرته الأخيرة. كانت امرأة وقحة على الرغم من أنها كانت قديرة وممتازة في عملها . ولكنه تخلص منها مع ذلك .

قالت لين :- لكل واحد منا نقطة ضعف .

وقالت مسز مارشمونت : الثانية والستون . سن شديدة الخطر ... ثم أن الحرب تجعل الإنسان لا يشعر بالاستقرار ، ومع ذلك فقد صعقنا عندما جاءتنا رسالته من نيويورك .

وماذا قال فيها بالتحديد .

- أرسل خطاباً لفرانسيس ، ولا أدري لماذا أرسله لها هي بالذات دونا عن الآخرين. ولكن لا ريب أنه خطر له أنها بفضل حسن ادراكها للأمور تستطيع أن تفهمه أكثر منا . قال لها اننا سنندهش طبعاً حين نعلم أنه تزوج . وأن الأمر حدث فجأة وانه واثق أننا سنحب زوجته روزالين كثيراً ، وهو اسم من أسماء المسرح كما أظنك تعلمين يا عزيزتي . وقال أنها لقيت حياة كلها تعاسة وشظف وأنها عانت الكثير على الرغم

من أنها ما تزال شابة صغيرة ، وأنها فى الواقع تحملت كل المصائب التى توالت عليها بشجاعة كبيرة .

قالت لين :- مناورة معروفة .

- أوه ، اننى أعلم وأقرك على هذا . وقد سمعنا هذه القصة أكثر من مرة ، ولكن ما كنا نتوقع هذا من جوردون بالذات وله كل تجاربه .. مهما يكن فهذاما حدث ... ان لها عينين سمراوين واسعتين مكحلتين .

- أهى جميلة ؟

- أوه ، نعم . انها جميلة جداً ولكنه نوع من الجمال لا يستهوينى .

ابتسمت لين وقالت :- لو انك قلت غير هذا لاثرت دهشتى .

- ولكن هذه هى الحقيقة يا عزيزتى ... صحيح أن الرجال .. ولكن لا داعى لمثل هذا القول ... ان أكثر الرجال عقلاً يرتكبون أشر الحماقات ، وقد أردف جوردون يقول فى رسالته أنه لا يجب أن نقلق أو أن نفكر لحظة واحدة فى أن زواجه هذا قد يغير شيئاً من نواياه نحونا وأنه ما زال يعتبر نفسه المسئول الوحيد عنا جميعاً .

سألت لين :- ولكن هل كتب وصية بعد أن تزوج ؟

هزت مسز مارشمونت رأسها وأجابت :- ان آخر وصية له هى التى كتبها فى سنة ١٩٤٠ ، ولا أعرف تفاصيلها ولكنه جعلنا نفهم فى ذلك الوقت أنه عنى بأمرنا جميعاً وأنه ليس لنا أن نقلق مهما حدث له . وقد أصبحت هذه الوصية باطلة بحكم زواجه طبعاً ، وأظن أنه كان ينوى أن يكتب وصية جديدة عند عودته إلى إنجلترا ولكن الوقت لم يسعفه لذلك فقد قتل فى اليوم التالى لعودته .

- بحيث ورثت روزالين كل ثروته .

- نعم . فقد أصبحت الوصية القديمة باطلة بعد زواجه .

- انظرى إلى كل هذه ... ماذا يفعل بها يا لين ؟ لقد كتب لى مدير البنك اليوم يقول :

ثم أردفت :

أنني تجاوزت رصيدي ، ولا أرى ماذا أستطيع أن أفعل . انني أتوخى الحرص دائماً ولكن يبدو أن دخلي لم يعد يكفي فان الأسعار ارتفعت والضرائب زادت لتعويض خسائر الحرب ، ويجب أن يدفعها المرء شاء أو لم يشأ .

أخذت لين الفواتير وألقت عليها نظرة . لم يكن فيها ما يدل على الإسراف أو التبذير . كانت ثمن توريد وتركيب ألواح أردوازية فوق السطوح وترميم السياج واستبدال الموقد ومواسير المياه ، وقد تكلف كل ذلك مبلغاً لا يستهان به .

وقالت مسز مارشمونت في لهجة يرثى لها :- أظن أنه لا محالة لنا من الانتقال من هذا البيت ، ولكن أين نذهب ... ليس هناك بيتاً أصغر .. وليست هناك أية شقة للإيجار في أي مكان .

وعصف الغضب بكيان لين وقالت في بطء :- الا يمكن لروزالين هذه أن تمد لنا يد المساعدة ؟

اضطرم وجه مسز مارشمونت وقالت : ليس لنا الحق في أي شئ ... أبداً .

ترددت لين وقالت :- أظن أن لك الحق يا أماه ... فان جوردون لم يكن يتأخر عن مساعدتنا أبداً .

هزت مسز مارشمونت رأسها وقالت :- لن يكون ذلك جميلاً يا عزيزتي . ليس من الكياسة أن نطلب من شخص لا نميل إليه كثيراً منة أو معروفاً ، وعلى كل حال فإن أخاها لن يسمح لها بأن تعطينا بنساً واحداً .

وأردفت وقد تغلب فيها الخبث النسائي على بطولتها :- هذا إذا كان أخوها حقاً .

* * *

٢

نظرت فرانسيس كلود فى تفكير إلى زوجها عبر مائدة الطعام . كانت فى الثامنة والأربعين من العمر وكانت واحدة من أولئك السيدات النحيفات اللاتى يشبهن كلاب الصيد واللاتى يبدين فى أحسن صورة وهن يرتدين تاييراً من التويد . وكانت لا تزال بوجهها مسحة من الجمال على الرغم من أنها تتخضب أو تصبغ وجهها بأية مساحيق فيما عدا شفتيها فكانت تغطيهما بطبقة رقيقة من أحمر الشفاه . وكان جيريمى كلود فى الثالثة والستين من عمره ، أشيب الشعر له وجه جامد خال من أى تعبير ولا سيما فى ذلك اليوم بالذات .

وسجلت زوجته هذه الواقعة الأخيرة بنظرة سريعة عاجلة .

وكانت هناك فتاة فى الخامسة عشرة من عمرها تدور حول مائدة الطعام وتقدم الأطباق وعيناها لا تتحولان عن فرانسيس فى خوف . كانت إذا عبست فرانسيس يتملكها الخوف إلى حد أن بعض الأطباق تكاد أن تفلت من يديها ، . أما إذا هزت رأسها فى استحسان فلا تلبث أن تنبسط أسارير الفتاة فى رضا وسعادة .

وقد لوحظ فى شئ من الحسد أنه إذا كانت هناك أسرة فى وارمسلى لكى يقوم على خدمتها بعض الخدم فإن هذه الأسرة هى أسرة فرانسيس كلود . لم تكن تمنحهم راتباً كبيراً ولكنها كانت تصر على أن يقدموا إليها الشهادات الطيبة التى تدل على سابق خدمتهم وخبرتهم ، وكانت امرأة واعيتذكية فى كل ما يتعلق بشئون البيت بحيث ان الخدمة لديها أصبحت تأخذ طابعاً خلاقاً خاصاً . وكانت قد اعتادت على أن يكون لديها خدم فى كل وقت ولعل ذلك لأنها كانت تعاملهم فى غير صلف أو قحة وتقدرهم حق قدرهم .

كانت فرانسيس كلود الابنة الوحيدة للورد ادوارد ترنتون ، وكان من اصحاب جياد السباق المشهورين فى ضواحى وارسلى هيث . وقد اشهر افلاسه . ورحمه هذا الافلاس من أمور أكثر سوءاً فقد دارت اشاعات وأقاويل لا حصر لها عن جياد تدخل السباق ثم

لا تشترك فيه لأسباب غير معروفة . وعن تدخل المشرفين على السباق فى أموره أكثر من مرة . وخرج اللورد ترنتون من هذه التحقيقات وقد تلوثت سمعته بعض الشئ ، واتفق مع دائنيه إتفاقاً خاصاً سمح له أن يعتزل فى جنوب فرنسا وأن يعيش فى بحبوبة ما ، وقد قام جيريمى كلود بأكثر مما يقوم به أى محام غيره فى سبيل ذلك ، بل أنه ضمن بنفسه تسديد الكمبيالات التى حررها اللورد ، ولم يكن خافياً انه سلك هذا المسلك لإعجابه الكبير بفرانسيس ترنتون ، وفى الوقت المناسب ، وبعد أن استقرت أعمال اللورد أصبحت فرانسيس مسز جيريمى كلود .

أما مشاعرها فى ذلك الوقت فلم يعرفها أحد ، وكل ما يمكن قوله فى هذا الصدد أنها قامت بدورها فى الصفقة خير قيام ، فقد كانت زوجة مخلصة قديرة لجيريمى كما كانت اماً حنوناً لابنها ، ووقفت فى صف زوجها فى كل شئ ولم تحاول أن تظهر ، لا بالكلمة ولا بالإشارة ان هذا الزواج قد فرض عليها فرضاً .

ولهذا السبب حفظت عائلة كلود لها جميلها ، واحتفظت لها بكل تقدير واحترام وراح الجميع يفخرون بها ويركنون إلى رأيها ويكنون لها كل ود واعجاب .

وبعد أن فرغ الزوجان من تناول العشاء انتقلا إلى غرفة خلفية تطل على الحديقة . واحضرت اليهما ادنا ، الخادمة الصغيرة القهوة .

صبت فرنسيس قليلاً من القهوة فى الفنجان . كانت مركزة وساخنة . وقالت لادنا راضية :- قهوة لذيذة يا ادنا .

اضطرم وجه ادنا لفرط سرورها وخرجت وهى فى عجب من أمور الناس ، فإن القهوة فى رأيها يجب أن تكون خفيفة ومضافاً إليها كثير من السكر وكثير من اللبن .

انحنت فرانسيس فى مقعدها إلى الخلف وهى تنظر إلى زوجها ، ولم يدرك أنها تراقبه وتنظر إليه . كان يضرب بيده اليمنى فى حركات متتابعة رتيبة على شفته العليا ، وعلى الرغم من أنه لم يدرك ذلك إلا أن هذه الحركة فى حد ذاتها كان لها معناها وتدل على اضطرابه وارتباكه . ولم تكن فرانسيس قد لحظت هذه الحركة إلا فى مرات قلائل ... مرة عندما مرض ابنهما انتونى وهو طفل ، ومرة ثانية وهو ينتظر قرار

هيئة المحلفين فى قضية كبيرة ومرة أخرى قبل الحرب وهو يستمع إلى الراديو فى انتظار القرار الذى لم يكن منه بد وأخيراً ليلة رحيل انتونى إلى الجبهة بعد أن قضى معهما اجازته الأخيرة .

فكرت فرانسيس قليلاً قبل أن تتكلم . كانت حياتهما الزوجية سعيدة ، ولكنهما لم يكونا متآلفين أبداً ... فقد احترمت تحفظ جيريمى وظلت على تحفظها حتى بعد أن جاءت تلك البرقية التى تفيدهما بموت انتونى وهو يقوم بواجبه ، فقد فض جيريمى البرقية ثم نظر اليها فقالت :- هل ؟ ..

وأحنى رأسه ودنا منها ووضع البرقية فى اليد المبسوطة . ووقفا مكانهما لحظة ثم قال جيريمى : «وددت لو أن أفعل شيئاً من أجلك» . فأجابته فى صوتها الحاد ودون أن تذرف دمعه واحدة وهى لا تحس بغير فراغ كبير وحزن أكبر «ان الأمر لا يقل قسوة بالنسبة لك» فربت على كتفها وقال : «نعم ... نعم» . ثم مضى نحو الباب وهو يجر قدميه وقد شاخ فجأة قائلاً :- ليس هناك ما يقال ... ليس هناك ما يقال .

وقد امتنت له كثيراً لأنه فهمها ورثت له من كل قلبها خاصة وأنها رأته فجأة وقد أصبح رجلاً عجوزاً جداً . وبموت ابنها قسا شئ فيها وجفت رقتها العادية وأصبحت أكثر فعالية وأكثر نشاطاً عن ذى قبل . وقد تسببت قسوتها فى إفزاع الناس وخوفهم .

تحرك أصبع جيريمى كلود مرة أخرى فوق شفته العليا فى ارتباك وتردد وقالت فرانسيس فجأة :- ما الخبر يا جيريمى ؟

أجفل الرجل وكاد فنجان القهوة يفلت من بين أصابعه . ولكنه لم يلبث أن استرد جأشه وألقاه فوق الصينية ثم نظر إليها وقال :

- وماذا تريدين أن يكون هناك ؟

- وان من الجنون أن أخمن ، ومن الأسهل أن تتكلم أنت .

وكانت قد تكلمت فى غير انفعال وفى لهجة عملية فقال فى غير اقتناع :- ليس هناك أى شئ .

لم تنطق ، بل انتظرت متسائلة وقد ألقت انكاره جانباً . ونظر إليها متردداً . وللحظة خاطفة زال القناع الهادئ لوجهه الأشيب ، ورأت بريقاً من الخوف ، وكان وميضاً شديداً بحيث أنها كادت تصرخ كان وميضاً خاطفاً ولكنها لم تشك أبداً فيما رأت .

ندت عنه تنهيدة عميقة تعسة وقال :- يجب أن تعرفى على كل حال أن عاجلاً وان آجلاً . واستطرد يقول مثيراً دهشتها :- أخشى أنك قمت بصفقة سيئة يا فرانسيس .

تجاوزت عن المعنى الذى أفلت عن ادراكها وقالت :

- ما الخبر ؟ ... هل خسرت مبلغاً من المال ؟

وأومأ زوجها فقالت :- آه

ولزمت الصمت لحظة تفكر . لم تكن هى نفسها تهتم بالمال أى اهتمام ولكنها كانت تعرف أن جيريمى غير جدير بأن يدرك ذلك فان المال بالنسبة له كان دنيا من الاعتدال والأمان لكل شخص فيها مكانه المعين وواجباته المحددة .

أما بالنسبة لها فكان المال لعبة تتسلى به ، فقد ولدت وكبرت فى جو من عدم الاستقرار المالى ، كانت هناك أوقات رائعة عندما كانت الجياد تقوم بما يتوقعونه منها . وكانت هناك أوقات عصيبة عندما يرفض التجار تقديم القروض المطلوبة ويضطر اللورد ادوارد إلى سلوك أساليب ملتوية لتفادى المحضرين والدائنين .وقد اضطرا ذات مرة إلى أن يعيشا على الخبز الجاف بعد أن طردا كل الخدم . واضطر المحضر مرة أخرى إلى البقاء فى البيت ثلاثة أسابيع ، وكانت فرانسيس لا تزال طفلة . وقد وجدت فيه رفيقاً مسلياً وقصاصاً بارعاً يقص عليها قصص ابنته هو بالذات . وإذا حدث ولم يكن معهما أى نقود فان كلا منهما كان يحاول الاقتراض أو يهجر البيت ويعيش عالة على أحد أصدقائه أو أقاربه فترة من الوقت . وقد يحدث أن يقدم لهما البعض سلفة ، ولكنها. وهى تنظر إلى زوجها الآن أدركت أنه ليس فى دنيا جيريمى كلود شئ من هذا القبيل ، فإنه ما كان ليقترض أو ليستجدى وما كان ليعيش عالة على أحد .

أحست فرانسيس بالإمتنان الشديد لجيريمى وببعض الذنب لعدم شعورها بالاضطراب

ولجأت إلى العمل فقالت :-

- هل نضطر إلى بيع كل شئ ؟ ... وهل سيشهر افلاس المكتب ؟

أجفل كلود ، وأدركت أنها لمست الوتر الحساس فقالت فى رفق :

- تكلم يا عزيزى ، فاننى لا أستطيع التخمين باستمرار .

قال كلود وصوته يكاد يختنق :- اننا اجتزنا أزمة شديدة منذ سنتين ، عندما اختلس ويليام الشاب بعض المال وهرب ، وقد وجدنا صعوبة كبيرة فى إعادة مركزنا من جديد ثم كانت هناك بعض التعقيدات التى وقعت نتيجة لموقفنا فى الشرق الأقصى بعد احداث سنغافورة .

قاطعته قائلة :- دع الاسباب جانباً فهى ليست بذات أهمية . كنت فى ضائقة اذن ولم تفلح فى التغلب عليها ؟

قال :- كنت أعتمد على جوردون فانه كان حرياً بان يعيد الامور إلى نصابها .

تنهدت تنهيدة سريعة وقالت :- طبعاً . اننى لا أريد أن ألوم الرجل المسكين ، ومهما يكن فان من طبيعة البشر أن يفقدوا عقولهم بسبب امرأة جميلة . ثم لماذا لا يتزوج ثانية بحق السماء إذا شاء ذلك ، من سوء الحظ انه قتل فى تلك الغارة قبل أن يتمكن من تنظيم أموره وقبل أن يكتب وصية جديدة .

قال جيريمى :- بصرف النظر عن فقده ، وعلى الرغم من أننى كنت متعلقاً جداً بجوردون فان موته كان كارثة بالنسبة لى ... فقد جاء فى وقت ...

وأمسك فسألته فرانسيس :- هل يشهرون افلاسنا ؟

نظر جيريمى اليها فى يأس ، وعلى الرغم من أنها لم تكن تعرف ذلك إلا أنه كان يؤثر أن تبكى وأن يتملكها الخوف ، ولكن هذا الاهتمام البارد العملى أثار حيرته وأحنقه . وقال فى صوت أجش :

- ان الأمر أسوأ من هذا بكثير .

وراقبها وهى تجلس صامتة تفكر ، وقال محدثاً نفسه «بعد دقيقة يجب أن أقول لها ، وستعرف حقيقتى عندئذ . يجب أن تعرف ... لعلها لن تصدق شيئاً فى بادىء الأمر .

تنهدت فرانسيس كلود واعتدلت فى مقعدها وقالت :- آه ... اختلاس أموال اذن ... أو إذا لم تكن هذه هى الكلمة الصحيحة فشئ من هذا القبيل ... كما فعل الشاب ويليام .

- نعم . ولكن هذه المرة ... انك لا تفهمين ... أنا المسئول هذه المرة ... اننى ... اننى تصرفت فى أموال كانت موجودة فى عهدتى ... وحتى الآن لا يدرى أحد شيئاً .

- ولكنهم سيكتشفون ذلك الآن .

- ذلك ما لم أستطع الحصول على المبلغ اللازم ... وبأسرع ما يمكن ...

لم يشعر بمثل هذا العار طوال حياته ... كيف تواجه الأمر الآن ؟

ورفعت يدها إلى خدها عابسة وقالت :- أليس من الحماقة أننى لا أملك أنا نفسى أى مبلغ من المال ؟ قال فى صوت مختنق :- هناك بائنتك ولكن ...

قالت فى شرود :- أظنها تبخرت هى الأخرى .

لزم الصمت لحظة ثم قال فى جهد وفى لهجة جافة :-

اننى آسف يا فرانسيس ... أشد أسفاً مما أستطيع أن أقول ... انك عقدت صفقة سيئة .

نظرت اليه فى حدة وقالت :- ماذا تعنى بهذا القول ؟

أجاب :- عندما كنت كريمة بما فيه الكفاية ورضيت أن تتزوجينى كان لك الحق فى أن تتوقعى حياة بعيدة عن كل المتاعب القذرة .

نظرت إليه فى دهشة شديدة وقالت :- لماذا تظن حقاً أننى تزوجتك يا جيريمى ؟

ابتسم ابتسامة خفيفة وقال :- انك كنت لى دائماً الزوجة الوفية المخلصة يا عزيزتى ولكننى لست من الغرور بحيث أتصور أنك كنت تقبلين الزواج بى لو أن الظروف كانت مختلفة .

تفرست فيه مشدوهة ثم ضحكت فجأة وقالت :- أيها الغبى .. من كان يظن أن هذا الرجل القانونى الصارم له روح فتاة تجرى وراء الخيال ؟ ... هل تعتقد حقاً أننى رضيت أن أتزوجك ثمناً لإنقاذ أبى من ذئاب السباق ؟

- انك كنت تحبين أباك جداً يا فرانسيس .

- كنت وفية لأبي . كان جذاباً جداً ، وكان يروق لي أن أعيش معه ولكنني كنت أعلم تماماً أنه لا يساوي شيئاً ، وإذا كنت تعتقد أنني بعت نفسي لمحامي الأسرة لكي أنقذه من المصير الذي كان ينتظره في أي وقت فذلك يدل على أنك لم تفهمني أبداً .

وقالت في صوت مسموع :- انني تزوجتك لأنني كنت أحبك طبعاً ...

- كنت تحبينني ؟ ... ولكن ماذا أحببت في ؟

- إذ سألتني هذا يا جيريمي فانني لا أعرف حقاً . انك كنت مختلفاً عن كل هؤلاء الرجال الذين يلتفون حول أبي .

- بل أنني كنت مفتونة ، فلم يعاملني أحد معاملة جدية من قبل . وكنت أنت مهذباً جداً ، ولم يبد عليك أنك تطيل النظر إلي أو أنك تفكر في أنني جميلة أو ظريفة أو أي شئ من ذلك ، وقد ساءني ذلك وأقسمت أن أبذل كل ما في وسعي لكي أجبرك على الاهتمام بي .

قال جيريمي في كآبة :- انني اهتممت بك بالطبع ... وقد عدت إلى بيتي في تلك الليلة ولم يغمض لي جفن ... كنت ترتدين ثوباً أزرق به زهور .

ساد صمت قصير ثم قال جيريمي :- كل هذا بعيد ...

وإذ رأت تردده أسرعت تقول :- وقد أصبحنا الآن زوجين في منتصف العمر نواجه متاعب ونتساءل ما العمل لكي نخرج منها .

- لقد أصبح الأمر أكثر سوءاً عن ذي قبل بعد كل الذي قلته لي الآن يا فرانسيس.

قاطعته قائلة :- دعنا نوضح الأمر جيداً إذا أردت .

انك تعتذر إلي لأنك خالفت القانون ، وقد يطاردونك ويزجون بك في السجن (وأجفل لهذه الكلمة» ولا أريد أن يحدث هذا ... سأكافح بكل قواي لكي لا يحدث هذا .. تذكر أننا لسنا أسرة تتمتع بأخلاق حميدة .. فإن أبي على الرغم من جاذبيته كان نصاباً ... وهناك ابن عمي شارل ... انهم تستروا عليه وتكتموا الفضيحة فلم يطارده البوليس واكتفوا بإبعاده إلى المستعمرات ... ثم هناك ابن عمي جيرالد ... انه

زور شيكاً فى اكسفورد ولكنه انضم إلى الجيش ، وحصل بعد موته على وسام الصليب بشجاعته وبسالته ووفائه لرجاله واحتماله فوق ما يحتمل البشر .. وأن ما أحاول أن أقوله لك هو أن الناس خلقوا هكذا ... ليسوا أخياراً تماماً ولا أشراراً تماماً ، ولا أظن أننى أنا نفسى شريفة جداً ... وقد بقيت شريفة لأننى لم أصادف أى إغراء ولان الفرصة لم تواتينى لذلك ، ولكننى شجاعة بما فيه الكفاية يا حبيبى .

وابتسمت فى إخلاص وهى تنطق بالكلمة الأخيرة . ونهض جيريمى ودنا منها وطبع بشفتيه قبله على شعرها ، وقالت ابنة اللورد ترنتون وهى تبتسم :

- والآن ... ماذا نفعل ؟ ... وكيف الحصول على ما تريد من مال ؟

ولكنها أسرعت تقول :- أوه ... انك رهنت البيت طبعاً . انك أقدمت على كل الإمكانيات بالطبع ... ولكن ماذا يمكن أن نفعل الآن ؟ أظن أنه ليس هناك غير احتمال واحد ... أعنى أرملة جوردون ... روزالين المتجهمة ...

هز جيريمى رأسه فى شك وقال :- اننى بحاجة إلى مبلغ كبير ... وهى لا يمكن أن تمس رأس المال ، فليس لها إلا حق الانتفاع بالريع طوال حياتها .

- لم أكن أعلم ذلك . ظننت أنها ورثت الثروة كلها . وماذا يحدث إذا ماتت ؟

- توزع الثروة على أقارب جوردون ... أى على أنا وليونيل وأديلا ورولى ، ابن موريس .

قالت فرانسيس فى بطء :- تؤول الينا إذن .

بدا كأن نسمة باردة من الهواء قد مرت بالغرفة ... شبح فكرة .

وقالت :

- انك لم تقل لى هذا ... ظننتها ورثت الثروة كلها ، وأنها يمكن أن توصى بها لمن تشاء .

- كلا : وذلك طبقاً للقانون الصادر سنة ١٩٢٥ .

وقالت : أن هذا الأمر لا أهمية له بالنسبة لنا نحن بالذات . سنموت ويطوينا الردى قبل أن تبلغ هى الخمسين بكثير ؟ . وبهذه المناسبة ، كم عمرها ؟ ... خمسة

وعشرين ؟ ... ستةً وعشرين ؟ .. ستعيش حتى السبعين .

- يمكننا أن نلتمس منها قرضاً مستندين إلى علاقاتنا العائلية ... ومن يدرى ، لعلها فتاة كريمة ... لأننا لا نكاد نعرفها .

- اننا عاملناها على كل حال معاملة كريمة ، وكنا كرماء معها جداً ... ولم نقابلها مقابلة جافة كما فعلت أديلا معها ، ويمكنها أن تتذكر ذلك .

- لا يجب طبعاً أن نجعلها تعتقد بأية صورة أن هناك ضرورة ملحة ...

- كلا طبعاً . ان ما يزعجنى هو أننا لن نتعامل مع الفتاة نفسها لأنها تخضع لسيطرة أخيها تماماً .

قال جيرمى كلود :- وهو شاب غير ظريف .

انبسطت أسارير فرانسيس فى ابتسامة مفاجئة وقالت :- ليس هذا رأيى . أنه ظريف ... بل وظريف جداً ... وأعتقد أنه معدوم الضمير ... ولكن مهما يكن فأنا نفسى معدومة الضمير كذلك .

وازدادت ابتسامتها اتساعاً ورفعت رأسها نحو زوجها وأردفت :-

- لن نغلب على أمرنا يا جيرمى . لابد أن هناك طريقة ... حتى ولو اضطررت إلى السطو على بنك لكى أحصل على هذا المبلغ .



٣

صاحت لين :- المال .

أومأ رولى كلود . كان شاباً قوياً عريض الكتفين ذا بشرة حمراء بلون الطوب الأحمر وعينين زرقاوين متأملتين وشعر أشقر . كان يتميز بشئ من البطء ، وكان هذا البطء يبدو كما لو كان مفتعلاً .. كان يأخذ وقته لكى يتكلم كما كان يحرص البعض على الرد على الفور .

قال :- نعم ... ان كل شئ يبدو اليوم كأنه يدور حول المال .

- ولكننى كنت أظن أن المزارعين قد تحسنت أحوالهم أثناء الحرب .

- أوه ، نعم . ولكن ليس معنى هذا أن أحوالهم قد تحسنت إلى الأبد . بعد سنة سنعود من حيث بدأنا فان الأجور ترتفع والعمال يرفضون العمل والجميع غير راضين ، وما من أحد يعرف ماذا يكون من أمره ما لم يشتغل بالزراعة على نطاق واسع ، وكان جوردون العجوز يعرف ذلك ، وكان يمهد له .

قالت لين :- بينما الآن ...

- بينما الآن تذهب مسز جوردون إلى لندن وتنفق ألفين من الجنيهات ثمناً لمعطف جميل من الفرو .

- ما شكلها يا رولى ؟

- سوف ترينها الليلة فى حفلة العم ليونل والعمة كاتى .

- نعم . اننى أعلم ، ولكننى أريد أن تخبرنى أنت ... أن أمى تقول أنها بلهاء .

فكر رولى وقال :- حسناً . لا أقول أنها تتميز بثقافة عالية ، ، ولكن إذا كانت تبدو بلهاء حقاً فذلك لأنها تفرط فى الحرص والحذر .

- الحذر ؟ ... الحذر من أى شئ ؟

- أوه ، الحذر فحسب .. من لهجتها على وجه الخصوص ، فهى لهجة إيرلندية قحة ...

- هى غير مثقفة إذن على الاطلاق :

كشر رولى وقال :- انها ليست على أى جانب من الكياسة أو التهذيب الرفيع ، إذا كنت تعنين ذلك . أن لها عينين جميلتين وبشرة ناعمة وأظن أن جوردون العجوز وقع فى غرامها لهذا السبب ولبساطتها المفرطة . لا أظن أنها تتصنع وان كنا لا يمكن أن نعرف ذلك . لأنها تقف مكانها لا تأتى بحركة واحدة وتدع دافيد يتولى عنها كل شئ .

واستطرد :- انه أخوها ، وهو شاب لا أظن أن هناك خدعة لا يعرفها .

وأردف رولى يقول :- وهو لا يميل إلى أى واحد منا كثيراً .

وقالت وقد رأته ينظر إليها فى شئ من الدهشة :-

أعنى أنك أنت لا تميل إليه .

- كلا طبعاً . ولن تشعرى بأى ميل إليه أنت أيضاً فهو ليس من نوعنا .

- انك لا تعرف لأى نوع أميل أو لا أميل يا رولى . اننى رأيت أنواعاً كثيرة من الناس فى السنوات الأخيرة وأظن ... أن أفقى قد اتسع .

- انك رأيت من الدنيا أكثر مما رأيت أنا فى الواقع .

قال ذلك فى هدوء ولكن لين نظرت إليه فى حدة ... كان هناك شئ خلف هذه اللهجة الهادئة . وقابل نظرتها فى صراحة وبوجه جامد خال من التعبير والانفعال .

وقالت تحدث نفسها :- ما أغرب أمور هذه الدنيا ... لقد انقلب كل شئ ... كان من السعادة أن يذهب الرجل إلى الحرب وان تلزم المرأة البيت . ولكن انقلبت الأوضاع هنا فقد كان على واحد من الرجلين ، رولى وجونى ، أن يبقى لصيانة المزرعة ، وقد اقترعا على ذلك ، وكان على جونى فافاسور أن يذهب ولكنه لقى حتفه على الفور فى النرويج ، وبقى رولى طوال سنين الحرب فى بلدته لم يبتعد عنها بأكثر من ميل أو ميلين . أما هى فقد ذهبت إلى مصر وإلى أفريقيا الشمالية وإلى صقلية وانتقلت إلى الجبهة أكثر من مرة .

وها هى الآن قد عادت إلى بلدتها بعد أن وضعت الحرب أوزارها وما زال رولى فى بيته ومزرعته لم يفارقهما . وتساءلت فجأة إن كان لا يشعر بشئ من القلق لذلك . وضحكت فى انفعال وقالت :

- يبدو أن الأمور قد انقلبت ، أليس كذلك ؟

نظر رولى أمامه فى شرود عبر الحقول المترامية وقال :- أوه ، لا أدرى ... هذا يتوقف .

- رولى ...

وترددت ثم استطردت :- هل حزنت على موت جونى .

ردتها نظرته الباردة الصريحة إلى نفسها وقال :- دعى جونى وشأنه . لقد انتهت الحرب ... وكنت أنا محظوظاً .

قالت فى شئ من الشك :- تعنى انك كنت محظوظاً بأنك لم تذهب إلى الحرب .

- محظوظاً جداً ... أليس هذا رأيك ؟

ولم تدر بم ترد عليه وكان صوته هادئاً فيه شئ من الحدة واردف وهو يبتسم :

- ولكنكن معشر الفتيات المقاتلات تجدن من الصعب العودة إلى الحياة المنزلية .

قالت محنقة :- أوه ، لا تكن غبياً يا رولى .

ولكن لماذا الحنق :- أوه لماذا ... إلا إذا كان فى قوله شئ من الحقيقة . واستطرد رولى يقول :

- أوه ، حسناً . أظن أننا لا نستطيع أن نفكر فى أمر زواجنا الآن إلا إذا كنت قد غيرت رأيك .

- لم أغير رأيى بالطبع . ولماذا أغيره ؟

قالت لين وقد شعرت بهبوط مفاجئ :- حسناً . لنتزوج اذن . فى الوقت الذى تريد .

- فى يونيه أو بعد ذلك بقليل .

- حسناً .

وران عليهما الصمت . وأحست لين على الرغم منها بالاكتئاب . ومع ذلك فان رولى هو نفسه رولى ... كما كان دائماً . رقيقاً ، جامد العاطفة مجتهداً ، قليل الكلام .

سيتزوجان فى يونيه اذن ويعيشان فى لونج ويلوز ، ولن تغادر بلدها بعد اليوم ...

انتهى كل هذا ووضعت الحرب أوزارها وعادت لين مارشمونت إلى بلدها ... عادت لين إلى البيت بعد رحلة طويلة . وفكرت تقول :

ولكننى لست لين ... لم أعد لين التى كنتها قبل أن أرحل .

ورفعت عينيها ورأت رولى ينظر إليها .



كانت حفلات العمة كاتى متشابهة دائماً ... فقد كانت تبذل كل جهدها لإرضاء مدعويها . فى حين كان الدكتور كلود يحاول السيطرة على أعصابه ويحاول أن يعامل المدعوين بكل رفق ورقة ، ولكن لم يكن ذلك ليخفى تظاهره وتصنعه .

لم يكن ليونيل كلود ليختلف فى شئ تقريباً عن أخيه فى المظهر . كان نحيفاً وخط المشيب شعر رأسه ، ولكنه لم يكن يتمتع بهدوء المحامى . وكانت حركاته تتسم بالفظاظة ونفاذ الصبر وقد عانى أغلب مرضاه الكثير من حدته وانفعاله ولكنهم كانوا يتغاضون عن ذلك نظراً لما يعرفونه عن رقته وبراعته . وكان كل إهتمامه فى الحياة منصباً على أبحاثه وكانت هوايته قائمة على استخدام الأعشاب الطبية عبر التاريخ . وكان على ثقافة عالية ويجد مشقة كبيرة على احتمال طباع زوجته وأهوائها .

وعلى الرغم من أن لين وروولى كانا يدعوان مسز جيريمى كلود باسمها مجرداً أى فرانسيس فان مسز ليونيل كلود كانت بالنسبة للجميع العمة كاتى . وكان الجميع يحبونها وان كانوا يرونها سخيفة مضحكة . وقد أقامت هذه الحفلة بمناسبة عودة لين، وكانت تكاد تكون حفلة عائلية بحتة .

واستقبلت العمة كاتى ابنة أخيها فى ود قائلة :- انك أصبحت سمراء وأزددت جمالاً يا عزيزتى ... لا ريب انه جو مصر .. هل قرأت ذلك الكتاب الذى أرسلته اليك عن نبوءات الاهرامات ... انه كتاب مشوق جداً يفسر كل شئ حقاً . ألا ترين ذلك ؟

أعفيت لين من الرد بدخول مسز جوردون كلود وأخيها دافيد فى هذه اللحظة ، وقالت العمة كاتى :-

- أقدم لك لين مارشمونت ياروزالين .

نظرت لين إلى أرملة جوردون كلود فى فضول مستتر محتشم ... نعم ... أنها جميلة تلك الفتاة التى تزوجت جوردون كلود من أجل ماله . وهى تتسم بالسذاجة حقاً كما قال رولى . لها شعر أسود يتهدل ويتموج فوق كتفيها وعينان أيرلنديان زرقاوان

مكحلتان وشفتان تفترات عن صفين من اللآلئ البيضاء .

وقالت روزالين كلود :- كيف حالك ؟

وتحولت مترددة إلى الرجل الواقف خلفها وقالت :- هذا ... هذا أخى .

كان شاباً نحيفاً أسمر الشعر والعينين ينطق وجهه بالحزن والتحدى والوقاحة . وأدركت لين على الفور لماذا لا يميل إليه أفراد آل كلود كثيراً .

وجهت لين الحديث إلى روزالين قائلة :- هل أحببت الاقامة فى فيروبانك .

أجابت روزالين :- أنه بيت مدهش .

ضحك دافيد هنتر ساخراً وقال :- أن جوردون العجوز المسكين لم يبخل على نفسه بشئ لم يهتم بالنفقات .

وضحك أخوها فاضطرم وجهها ، وقال دافيد يخاطب لين :-

- هل أنت المتطوعة التى عادت ؟

- نعـــم .

نظر إليها فاحصاً ، وبسبب ما اضطرم وجهها .

وظهرت العمة كاترين فجأة مرة أخرى . كانت لها ميزة الظهور من العدم فجأة . ولعلها اكتسبت هذه الميزة من الجلسات الروحانية العديدة التى حضرتها .

وقالت وهى تلهث :- العشاء .

ثم أردفت تقول :- أظن أن من الأوفق أن أقول عشاء خفيفاً فلا يجب أن تتوقعوا الكثير ، فان من العسير الحصول على كل ما نريد اليوم ، وقد قالت لى مارى لويس أنها تعطى صبى السماك عشرة شلنات كل خمسة عشر يوماً وأظن أن هذا عمل غير سليم .

ضحك الدكتور ليونيل كلود ضحكته الحادة وهو يتحدث إلى فرانسيس كلود وقال:

- أوه فرانسيس ... لا أحسبك تتوقعين منى أن أصدق هذا حقاً ... هلمى بنا .

ومضوا إلى غرفة الطعام ، وكانت بغيضة ، كل ما فيها قديم بال ... مضوا كلهم ... جيريمى وفرانسيس ، ليونيل وكاترين ، أديلا ولين وورولى ... حفلة عائلية جمعت

آل كلود ... واثنين من الأغراب ، لأن روزالين كلود ، وإن كانت تحمل اسم كلود إلا أنها لم تصبح من أفراد أسرة كلود كفرانسيس وكاترين .

كانت شديدة الانفعال لا تشعر بأى ارتياح ، فقد كانت غريبة بينهم . أما دافيد ... فكان هو الخارج على القانون بالضرورة والخيار كذلك ... كانت هذه الأفكار تدور فى رأس لين وهى تأخذ مكانها أمام المائدة ... كانت هناك موجات من الاحساس فى الهواء... تيار كهربى قوى من ... ماذا ... ؟ من الحقد ؟ ... هل يمكن أن يكون الأمر كذلك ؟

فكرت لين فجأة :- ولكن هذه هى الحال فى كل مكان ... اننى لاحظت ذلك منذ عودتى ... هذا هو ما خلفته لنا الحرب ... الحقد ... والبغضاء .... انهما فى كل مكان ...

وقالت تحدث نفسها وقد صدمتها الحقيقة :- هل نبغضهما إلى هذا الحد ؟ ... هذين الغريبين اللذين أخذا ما كنا نعتقد أنه ملك لنا ؟

ثم عادت تقول :- كلا ... اننا لم نبغضهما بعد ... من الجائز أن نفعل ، ولكننا لا نبغضهما بعد ... انهما هما اللذان يبغضاننا .

وبدا لها اكتشافها هذا ساحقاً بحيث انها بقيت مكانها صامتة ، ونسيت أن تخاطب دافيد هنتر الذى جلس إلى جوارها .

وسمعته يقول لها :- هل تفكيرن فى شئ ؟

وقالت :- اننى اسفة . كنت أفكر فى التغيير الذى طرأ على العالم .

قال دافيد فى جفاء :- هذا غريب !

- نعم . انه أمر غريب فى الواقع . اننا نحمل كل شئ محمل الجد الآن ، ويبدو أن هذا غير مجد تقريباً .

- إن من المألوف عادة أننا نتمنى عمل الشر ، وقد فكرنا فى طريقة أو طريقتين عمليتين فى هذه الناحية فى السنين الأخيرة ، ومن ضمنها هذا الاختراع العظيم . وأعنى به القنبلة الذرية .

- هذا ما كنت أفكر فيه ... أعنى أننى لم أكن أفكر فى القنبلة الذرية بالذات وإنما كنت أفكر فى الحقد والبغضاء على أكبر مجال .

قال دافيد فى هدوء :- الحقد والبغضاء ... طبعاً . ولكننى اختلف معك وأقول لك أن المرء يميل إلى الشر عادة ، وهذا الميل موجود منذ العصور الوسطى .

- ماذا تعنى ؟

- السحر الاسود عموماً ... الميل إلى الشر ... الوجوه المصنوعة من الشمع ... والتعازيم حين يكون القمر بدراً ... وقتل أغنام الجار ... بل قتل الجار نفسه .

سألته لين غير مصدقة :- لا أظنك تعتقد أن هناك شيئاً اسمه السحر الاسود حقاً .

- قد لا يكون هناك سحر أسود ، ولكن هناك أشخاصاً مارسوه حقاً .. وفى أيامنا هذه .

وهز كتفيه واستطرد : بكل ما فى الدنيا من حقد وبغضاء ... وليس فى مقدورك أنت ولا فى مقدور أسرتك عمل شئ فيما يخصنى أنا وروزالين .

أجفلت لين ، وقالت فجأة وقد طاب لها الحديث :- لقد فات الأوان لكى نفعل أى شئ على كل حال .

ضحك دافيد هنتر ... بدا هو الآخر كأنه يستطيب الحديث وقال :-

- تعنين أننا قد حصلنا على الغنيمة ؟ ... نعم ... نحن أثرياء الآن .

- وهل يروق لك هذا ؟

- أن نكون أثرياء ؟ ... نعم ... هذا يروق لى .

- لم أكن أتكلم عن المال وإنما عنا نحن .

- آه . تعنين هل يروق لنا اننا أخذناه منكم ؟ ... ربما ... انكم كنتم دائماً مغرورين وراضين بما ينقدكم به جوردون العجوز وتتصورون أن ثروته فى جيوبكم .

- لا يجب أن تنسى أنه جعلنا نعتقد هذا منذ سنوات طويلة ... علمنا ألا ندخر وألا نفكر فى المستقبل وشجعنا على القيام بكل الخطط والمشروعات وفكرت فى رولى ... فى رولى فى المزرعة .

وقال دافيد فى رقة :- ولكن هناك شيئاً واحداً لم تتعلموه .

- وما هو ؟

- هو أن لا شئ مضمون فى هذه الدنيا .

وصاحت كاترين فى هذه اللحظة وهى تنحنى إلى الامام فى مقعدها على رأس المائدة :

- لين أن روح كاهن ينتمى إلى الأسرة الرابعة يتصل دائماً بمسز لستر . وقد قال لنا أشياء عجيبة ، ويجب أن نتبادل حديثاً طويلاً أنا وأنت يا لين ... وأظن أن جو مصر قد أثر عليك تأثيراً كبيراً .

قال الدكتور كلود فى حدة : ان لين أمامها أشياء كثيرة تستدعى اهتمامها خيراً من أن تزعج نفسها بهذه الخرافات السخيفة .

اعترضت زوجته قائلة :- انت متحيز جداً ياليونيل .

ابتسمت لين لعمتها ثم لزمت الصمت وقد راحت جملة دافيد تدور فى ذهنها ... لا شئ مضمون فى هذه الدنيا ... هناك أناس يعيشون فيها ... أناس كل شئ حولهم محفوف بالخطر ... ودافيد هنتر من هؤلاء الناس ... انها دنيا غير الدنيا التى عرفتها لين ولكنها دنيا فيها فتنتها وسحرها مع ذلك .

وقال دافيد فى نفس الصوت الخافت الطروب :- اما زلنا نطرق نفس الموضوع ؟

- أوه ، نعم .

- حسنا . أما زلت تحقدين على وعلى روزالين لأننا سلبناكم المال الذى لاحق لنا فيه ؟

أجابت فى شجاعة :- نعم .

- عظيم . وماذا تنوين أن تفعلى فى هذا الصدد ؟

- سأشترى شمعاً وأمارس السحر الأسود .

ضحك وقال :- كلا . كلا . انك لن تفعلى هذا ، فأنت لست من هؤلاء الناس الذين يلجأون إلى مثل هذه الوسائل العتيقة . ان وسائلك انت ستكون حديثة وذات فعالية

بلا ريب ، ولكنك لن تفلحى .

- وما الذى يحملك على الظن بأنه سيكون هناك صراع ؟ ... الم نقبل جميعاً الأمر الواقع ؟

- انكم تصرفتم جميعاً تصرفاً جميلاً ، وهذا أمر مضحك .

قالت لين فى صوت خافت :- لماذا تكرهنا ؟

ومض بريق غريب فى عينيه السوداوين وقال :- هذا أمر قد لا أستطيع أن أحملك على فهمه .

- بل أظن انك تستطيع .

لزم دافيد الصمت هنيهة ثم قال فى لهجة عادية :- لماذا تتزوجين رولى كلود ؟ ... انه أبله .

قالت فى حدة :- انك لا تعرف عنه شيئاً ... ولا يمكن أن تعرف .

وسألها دافيد دون أن يبدو عليه أنه يحاول أن يغير الحديث :

- ما رأيك فى روزالين ؟

- انها جميلة جداً .

- وماذا غير ذلك ؟

- يبدو أنها لا تستمتع بالحياة هنا .

قال دافيد :- هذا صحيح . ان روزالين غبية . وهى خائفة ... وقد عاشت حتى الآن وهى تخاف كل شئ ... انها تلقى بنفسها فى قلب الأحداث دائماً ثم لا تدرى ماذا تفعل بعد ذلك ... هل أحدثك عنها ؟

قالت لين فى لهجة مهذبة :- إذا كان الحديث عنها يسرك .

- هو ذلك . انها بدأت حياتها بأن عشقت التمثيل وأصبحت ممثلة ، لكنها لم تكن ممثلة ناجحة وانضمت إلى إحدى فرق الدرجة الثالثة ، وسافرت معها الى أفريقيا الجنوبية . ووصلت الفرقة إلى كيب تاون ، وهناك تزوجت بأحد الموظفين بنيجيريا ، ولم تكن تحب نيجيريا ، وأظن أنها لم تكن تحب زوجها كثيراً ، وأظن انه لو كان ممن

يشربون الخمر ويضربون زوجاتهم لكان الأمر على ما يرام . ولكنه كان رجلاً مثقفاً يملك مكتبة كبيرة ويعشق الحديث عن الميتافيريقيا ، ولهذا عادت إلى كيب تاون من جديد. وتصرف زوجها تصرفاً حميداً ومنحها نفقة لا بأس بها . ومن الجائز أنه طلقها ومن الجائز أنه لم يفعل لأنه كان كاثوليكياً . ولكن مهما يكن من أمر فانه مات متأثراً من الحمى وورثت روزالين دخلاً بسيطاً ، ثم اندلعت الحرب فاستقلت باخرة إلى أمريكا الجنوبية ، ولم تحب أمريكا الجنوبية كثيراً فاستقلت باخرة أخرى التقت فيها بجوردون كلود وحدثته عن حياتها الحزينة ، وهكذا تزوجا فى نيويورك وعاشا سعيدين طوال اسبوعين ثم قتلته قنبلة بعد ذلك بقليل وورثت بيتاً كبيراً ومجموعة من المجوهرات الغالية ودخلاً كبيراً .

قالت لين :- جميل أن تنتهى القصة هذه النهاية السعيدة .

قال دافيد هنتر :- نعم . ان روزالين ليست على أية درجة من الثقافة ولكنها كانت دائماً فتاة محظوظة ... وهذا أمر جميل . كان جوردون كلود رجلاً عجوزاً قوياً . كان فى الثانية والستين من عمره ... وكان من الجائز أن يعيش عشرين سنة أخرى ، بل كان من الجائز أن يعيش أكثر من ذلك ، ولم يكن هذا ليطيب لروزالين فقد كانت فى الرابعة والعشرين عندما تزوجته وهى الآن فى السادسة والعشرين من عمرها فحسب .

قالت لين فجأة :- يا للمسكينة .

عبس دافيد وقال فى حدة :- لماذا الرثاء ؟ ... اننى سأعنى بها .

- لست أشك فى هذا .

تجهمت أساريره وقال :- وكل من يتعرض لها سيجدنى واقفاً له بالمرصاد وأننى أعرف وسائل كثيرة للدفاع ... وبعضها وسائل معوجة غير مستقيمة .

قالت لين فى برود :- هل تنوى أن تقص على قصة حياتك الآن ؟

ابتسم وقال :- هى قصة مختصرة جداً . عندما اندلعت الحرب لم أر سبباً يدفعنى إلى أن أحارب فى صف انجلترا ، فأنا رجل ايرلندى ، ولكننى كجميع الايرلنديين أحب القتال . وقد أثار الكوماندوز اهتمامى فانضممت اليهم ، ولكن كان من سوء حظى

انني خرجت من الحرب بساق جريحة . وذهبت إلى كندا عندئذ . وهناك قمت بتدريب المتطوعين . وكنت أعاني من أزمة مالية عندما جاءتني برقية روزالين من نيويورك تقول أنها ستتزوج . ولم تقل لي أن الزوج ثري ولكنني أستطيع أن أقرأ بين السطور فسافرت اليها وحضرت الزواج السعيد ثم عدت معهما إلى لندن ... والآن ...

وابتسم في قحة وهو يستطرد قائلاً :- عاد البحار من البحر ليستقر في بيته ... عدت إلي الوطن كما عدت انت إليه ... ما الخبر ؟

أجابت لين :- لا شئ .

ونهضت مع الآخرين ، وفيما هم ذاهبون إلى غرفة الاستقبال قال رولي :

يبدو انك تبادلت حديثاً ممتعاً مع دافيد هنتر ... فيم كنتما تتحدثان ؟

أجابته :- لا شئ خاص .



دافيد ... متى نرجع إلى لندن ؟ ... ومتى نعود إلى أمريكا ؟

رفع دافيد هنتر عينيه وألقى إلى روزالين ، عبر مائدة الطعام ، نظرة سريعة تشوبها الدهشة وقال :-

- ليس هناك ما يدعو إلى العجلة ؟ ... ماذا تأخذين على هذا المكان ؟

وقطعت روزالين قطعة من الخبز وتمتمت :

- انك قلت أننا سنذهب إلى أمريكا سريعاً ، وانك ستدبر ذلك بأسرع ما يمكن .

- هذا صحيح . لكنه متعذر الآن ، وليس لدى ولا لديك من الأسباب ما نقدمها لنبرر بها ضرورة سفرنا . ان الأمور كثيراً ما تكون شديدة الصعوبة بعد الحرب .

تمتمت روزالين قائلة :- قلت لي أننا سنبقى هنا مدة قصيرة ، ولم تذكر أن المقام سيطول بنا .

- وماذا تأخذين على وارسلي فيل ؟ ... وعلى فيروبانك ؟ ... تكلمي .

- لا شئ ... وانما هم ... هم جميعا

- آل كلود ؟

- نعـم .

قال دافيد :- هذا هو وجه الطرافة فى الموضوع .

أحب أن أرى وجوههم النظيفة تأكلها الغيرة والحقد . لا تحرمى نفسك هذه المتعة يا روزالين .

قالت فى صوت خافت مضطرب :- وددت لو ان تغير من نفسك ... اننى لا أحب هذا .

- حكمى عقلك يا فتاة . اننا عشنا أنا وأنت ، عيشة كلها حرمان ، فى حين استمتع آل كلود بالحياة الرغدة ... الرغدة والهنيئة ... وقد عاشوا على حساب الأخ الكبير جوردون ، كالبراغيث الصغيرة التى تعيش على البرغوث ... اننى أكره هذا النوع ... وطالما كرهته طوال حياتى .

قالت فى اشمئزاز :- اننى لا أحب أن يكره الناس بعضهم بعضاً ... فهذا فظيع .

- وهل تحسبين انهم لا يكرهونك ؟ ... هل كانوا كرماء معك ... محبين ؟

أجابت فى شئ من التردد :- نعم ... لم يلحقوا بى أى أذى .

- ولكنهم يودون لو أن يفعلوا .

واستطرد وهو يضحك فى تهور :- وما كانوا ليتورعوا عن ذلك ، ولولا أنهم يخشون على أنفسهم لعثروا عليك ذات يوم وفى ظهرك خنجر .

اقشعر جسدها وقالت :- لا تنطق بمثل هذا الكلام الفظيع .

- حسناً ... قد لا يكون خنجراً ... ولكنهم قد يضعون لك السم فى الكأس .

- انك تمزح .

وعاد إلى الجد مرة أخرى فقال :- ولكن لا تزعجى نفسك يا روزالين ... اننى سأعنى بك وسأقف لهم بالمرصاد .

قالت فى كلمات متقطعة :- إذا كان حقاً ما تقول ... أعنى إذا كانوا يكرهوننا حقاً ... إذا كانوا يكرهوننى فلماذا لا نذهب إلي لندن ... سنكون فى أمان هناك ... فى أمان بعيد عنهم كلهم .

- ان الريف جميل لك يا عزيزتي ... ان جو لندن لا يصلح لك كما تعرفين .

ارتجفت وأطبقت عينيها قائلة :- كان ذلك عندما كانت القنابل تتساقط هناك ... لن أنسى ذلك أبداً ... أبداً ...

- أؤكد لك انك ستنسين .

وأخذها من كتفيها وراح يهزها فى رفق وهو يقول غيرى موقفك يا روزالين . انك أصبت بصدمة كبيرة جداً ، ولكن انتهى كل شئ الآن ... وانتهت القنابل فابعديها عن فكرك لا تتذكرى . لقد قال الطبيب انه يلزمك جو الريف وحياة الريف لمدة طويلة . ولهذا أريد أن تظلى بعيدة عن لندن .

قالت روزالين فى بطء : ظننت انك ربما تريد أن تبقى هنا بسببها .

- بسببها ؟ ... من تعنين ؟

- انك تعرف من أعنى ... فتاة الليلة الماضية ... تلك المتطوعة التى عادت ...

تجهم وجهه فجأة وقال : لين ؟ ... لين مارشمونت ؟

- انك مهتم بها يا دافيد .

- لين مارشمونت ؟ ... ولكنها فتاة رولى ... رولى الملازم لبلده ... ذلك الثور الغبى .

رأيتك تجاذبها أطراف الحديث فى تلك الليلة أليس هذا صحيحاً ؟

- نعم : التقيت بها بجوار المزرعة ، فى ذلك الصباح الذى امتطيت فيه الجواد .

- وسوف تلتقى بها بعد ذلك .

طبعاً ، سألتقى بها ، فإن القرية صغيرة ولا يمكن أن نخطو خطوتين دون أن نلتقى بأحد أفراد آل كلود . ولكن إذا كنت تحسبين اننى وقعت فى حبها فانك مخطئة . انها فتاة بغيضة ومتكبرة ليست على أى قدر من التهذيب ، وأرجو أن يستمتع رولى بها ... كلا يا روزالين ... انها ليست من النوع الذى أميل اليه .

قالت فى شئ من الخوف :- أعرف انك لا تحب أن استطلع الورق ، ولكنه صادق معى ... هناك فتاة ستأتى لنا بالمتاعب والأحزان ... فتاة قادمة من وراء البحر ،

وهناك رجل غريب اسمر سيتدخل فى حياتنا ويأتى معه بالخطر ... هناك ورقة الموت و...

ضحك دافيد وقال :- انك تثيرين طربى برجالك الأغراب السمر ... وبخرافاتك ... إذا أردت نصيحة فابتعدى عن كل شاب أسمر .

وغادر البيت وهو يضحك ، ولكنه ما كاد يبتعد حتى تجهمت أساريره فقد أدرك أنه غادر البيت فى هذه اللحظة بالذات على أمل أن يلتقى بالفتاة التى تكلم عنها مع أخته بكل هذه الغلظة .

وتابعته روزالين بعينيها وهو يعبر الحديقة ويتجاوزها إلى الباب الصغير الذى يؤدى إلى الطريق الممتد عبر الحقول ، ثم مضت إلى مخدعها وراحت تملى عينيها بثيابها . كانت تشعر بلذة ومتعة كبيرتين وهى ترى وتتحسس معطفها الفرو الجديد . ولم يخطر ببالها أبداً أنه سيأتى يوم تمتلك فيه معطفاً من هذا النوع .

وكانت لا تزال فى مخدعها عندما جاءتها الخادمة تقول لها أن مسز مارشمونت اقبلت لرؤيتها .

كانت اديلا تجلس فى غرفة الاستقبال وقد ضمت شفتيها فى توتر كبير وأخذ قلبها يدق أكبر من المعتاد . كانت قد جمعت كل قواها فى الأيام الماضية لكى تلجأ إلى روزالين ولكنها كانت تؤجل ذلك دائماً وقد استغربت حين رأت أن موقف لين قد تغير وأنها أصبحت تعارضها الآن بكل شدة فى طلبها قرضاً من أرملة جوردون تسد به حاجاتها .

ولكن جاء صباح اليوم خطاب آخر من مدير البنك حمل مسز مارشمونت على أن تقوم بخطوة عملية . ولم يكن باستطاعتها أن تنتظر أكثر من ذلك .

ومع ذلك فقد أحست بانفعال شديد وهى جالسة فى غرفة الانتظار التى تملؤها أشعة الشمس . ولكن لم يلبث أن زال انفعالها شيئاً ما عندما دخلت روزالين وكانت تبدو أكثر غباء عن ذى قبل .

قالت تحدث نفسها :- اننى لاتساءل إذا كان انفجار القنبلة هو السبب فى أنها تبدو كذلك .

وتمتمت روزالين تقول :- صباح الخير ... هل هناك شئ ... تفضلى . وقالت مسز مارشمونت فى ابتهاج :- يوم جميل ... ان كل زهور التيوليب فى حديقتى قد اينعت ... وزهورك انت ؟

حملقت الفتاة فيها فى شرود وقالت :- لا أعرف .

تساءلت اديلا فيم تتحدث مع هذه الفتاة التى لا تعرف شيئاً عن الفلاحة ولا عن الكلام نفسه وهما الشيئان الوحيدان اللذان يطرقهما الريفيون فى أحاديثهم . وقالت فى صوت مرتفع وهى لا تستطيع أن تتغلب على رنة المرارة فى صوتها :

- لديك بستانيون كثيرون طبعاً ، وهم الذين يقومون بكل شئ .

- اننا نعانى نقصاً فى الأيدى العاملة ... أن مولارد العجوز يريد رجلين آخرين ولكنه لا يجد أحداً .

وجاء حديثها كما لو كانت ببغاء تردد ما سمعته أو كما لو كانت طفلة تسمع درساً لقنه اياها شخص كبير .

نعم ، كانت أشبه بطفلة ، وتساءلت أديلا إذا كان هذا هو سبب فتنتها ، ولعل هذه الفتنة هى التى جذبت جوردون كلود رجل الأعمال الصارم واعمته عن سذاجتها وعدم ثقافتها ...

ولكن سمة الطفولة يمكن أن تكون لها فتنتها وسحرها لرجل بلغ الثانية والستين من عمره ... أيمكن أن تكون هذه السمة حقيقية أم أنها مصطنعة وأنها أتت ثمارها وأصبحت طبيعة ثانية لصاحبتها ؟

وسمعت روزالين تقول :- أن دافيد خرج وأخشى . أعادت هذه الكلمات مسز مارشمونت إلى نفسها ، فان دافيد يمكن أن يعود ، وهذه هى فرصتها ولا يجب أن تضيعها وقالت :-

- اننى أتساءل ... إذا كان يمكن أن تساعدينى ؟

- أساعدك ؟

نظرت روزالين اليها مشدوهة غير فاهمة . وقالت اديلا :- اننى ... ان الحياة

أصبحت صعبة جداً . وقد غيرت وفاة جوردون حياتنا جميعاً .

وقالت تحدث نفسها : أيتها الغبية ... هل يجب ان تتفرسى فى هكذا ...

وكرهت روزالين فى هذه اللحظة ... كرهتها لأنها هى اديلا مارشمونت كانت تجلس أمامها لاستجداء مبلغ من المال وفكرت قائلة : لا أستطيع أن أقدم على ذلك ... لا أستطيع .

وفى لحظة وجيزة خاطفة مرت أمامها كل ساعات الفكر والقلق والتدبير لشتى الخطط المبهمة الغامضة .

وسمعت صوتها ، وكان مضطرباً حاداً لأنها أزدرت نفسها وهى تقول :- أعنى اننى أريد نقوداً .

قالت روزالين :- نقوداً .

وبدت مشدوهة حقاً كما لو أن النقود كانت آخر شئ تتوقع سماعه ، واستطردت اديلا تقول فى اصرار :

- ان حسابى فى البنك مكشوف ويجب أن أسدد بعض الفواتير عن اصلاحات وترميمات قمت بها فى البيت ، ثم اننى لم أدفع الضرائب بعد ، وقد انخفض كل شئ حتى الدخل ... وكان جوردون يساعدنى .

وأمسكت وقد طواها الخجل فى طياته ولكنها أحست بالإرتياح فى نفس الوقت . ومهما يكن من أمر فان الأسوأ قد وقع ، وإذا رفضت الفتاة فليكن وليس هناك أسوأ من ذلك .

وبدا الارتباك على روزالين وقالت :- أوه يا عزيزتى ... لم يخطر لى ... لم أظن أبداً ... اننى ... حسناً سأستشير دافيد .

تشبثت اديلا بذراعى مقعدها وقالت فى اكتئاب :- الا تستطيعين أن تعطينى شيئاً الآن ؟

- بلى ... أستطيع طبعاً .

وأجفلت روزالين ونهضت واقفة ومضت إلى المكتب وفتشت فى أدراجه وأخرجت

أخيراً دفتر الشيكات قائلة :- هل ... كم تريدين ؟
قالت أديلا :- هل يمكن أن تعطيني خمسمائة جنيه .
كتبت روزالين في خضوع :- خمسمائة جنيه .
أحست أديلا أن حملاً ثقيلاً قد انزاح عن ظهرها . مهما يكن فقد كان الأمر سهلاً . ورأت في شئ من الأسى أنها لا تحس في هذه اللحظة بالذات بشئ من العرفان بالجميل لفرط ما كانت تحس به من ازدراء لسهولة انتصارها ... كانت روزالين ساذجة إلى حد كبير من غير شك .
ونهضت الفتاة عن المكتب وجاءت اليها وبسطت الشيك في شئ من الارتباك ... وكان الارتباك يتملكها هي وهي تقول :
- أرجو أن يكون الأمر على ما يرام ... انني آسفة حقاً .
أخذت أديلا الشيك ونظرت إليه ... خمسمائة جنيه تدفع لمسز مارشمونت والتوقيع روزالين كلود . وكان كل ذلك مكتوباً بخط صبياني متعرج .
- أوه ... هذه مكرمة كبيرة منك يا روزالين واشكرك .
- أوه ... لا بأس ... أعني ... كان يجب أن أفكر .
- انت كريمة جداً يا عزيزتي .
ودست مسز مارشمونت الشيك في حقيبتها وقد أحست بأنها أصبحت امرأة أخرى . كانت الفتاة كريمة حقاً معها ، وانه ليكون أمراً مربكاً لو أنها أطالت البقاء أكثر من ذلك فحيتها وانصرفت ، والتقت بدافيد في الطرقة التي أمام البيت فقالت له «صباح الخير» في لهجة دمثة ثم أسرعت في طريقها .



ما أن دخل دافيد حتى قال يسأل اخته :- ماذا كانت تفعل تلك المرأة مارشمونت هنا ؟
أجابته اخته :- أوه دافيد ... انها تعاني ضائقة مالية شديدة ... لم يخطر لي أبداً ...

نظر إليها فى قنوط :- وأظن أنك أعطيتها ما كانت تريد .

- أوه دافيد ... لم أكن لأستطيع أن أرفض .

- لا بأس ... كم أعطيتها ؟

قالت روزالين فى صوت خافت : خمسمائة جنيه .

وأحست بالارتياح عندما ضحك دافيد وقال :- مبلغ بسيط .

- ولكنه مبلغ جسيم يا دافيد .

وقال :- أى أختى الصغيرة العزيزة روزالين ، الا تستمتعين بكل ما تملكين ؟ ... هذا البيت المنيف وهؤلاء الخدم ... والمجوهرات ؟ أليس هذا حلماً قد تحقق ؟ ... الحمد لله . يخيل إلى أحياناً أننى سأصحو وأجد أننى كنت فى منام لا فى اليقظة .

انتهت بأن شاركته الضحك ، وأحس بالارتياح وهو يراها تضحك . كان يعرف كيف يعالجها . كان يرى أن من المزعج أن يكون لها ضمير وأن يبكتها هذا الضمير ، وقالت:

- هذا صحيح يا دافيد . انه أشبه بحلم ... أو بفيلم من هذه الأفلام التى نراها على الشاشة ، وأننى استمتع بكل ما لدى ... استمتع به حقاً .

قال محذراً :- ولكننا سنحتفظ بما نملكه . لا هدايا بعد الآن لآل كلود يا روزالين . ان كلا منهم أغنى بكثير مما كنا نحن فى أى يوم من الأيام .

- نعم ، أظن أن هذا صحيح .

- وبهذه المناسبة ، هل تعرفين أين ذهبت لين هذا الصباح ؟

- أظن أنها ذهبت إلى لونج ويلوز .

لونج ويلوز ... مزرعة رولى ... ذلك الغبى .. الثور ... وتغير مزاجه على الفور انها تنوى اذن أن تتزوج ذلك المأفون !

وخرج مكتئباً ومضى إلى التل ووقف ينظر إلى الطريق المنحدر الذى يمتد ويتجاوز مزرعة رولى ... وفيما هو واقف مكانه رأى لين مارشمونت ترقى المنحدر عائدة من لونج ويلوز ، وتردد لحظة ثم جز على أسنانه فى عزم واصرار وهبط المنحدر لملاقاتها .

والتقى بها فى منتصف الطريق إلى التل وبادرها قائلاً :

- صباح الخير ... متى هذا الزواج ؟

فأجابت :- سبق أن سألتنى ذلك وتعرف الموعد تماماً . فى يونيه .

- هل استقرت نيتك على المضى فى هذا الزواج ؟

- لا أدرى ماذا تعنى يا دافيد .

- بل تدرين .

وضحك فى ازدراء وقال :- رولى ... ومن يكون رولى هذا ؟

قالت بلا مبالاة :- هو رجل يفضلك بكثير ... تحرش به إذا جرؤت .

- لا أشك فى انه يفضلنى كما تقولين ولكننى سأجرؤ ... سأجرؤ على كل شئ فى سبيلك يا لين .

لزمت الصمت لحظة ثم قالت أخيراً :- هناك شئ لا تفهمه وهو أننى أحب رولى .

- هذا أمر مشكوك فيه .

احتدت قائلة :- بل أننى أحبه ... أحبه .

نظر دافيد إليها نظرة فاحصة ثم قال :- ان كلا منا يرسم لنفسه صورة كما يحب أن يكون . وانت ترين نفسك تعشقين رولى وتتزوجينه وترضين بالمعيشة معه هنا لا تنتقلين أبداً إلى أى مكان آخر . ولكن هذه الصورة ليست صورتك الحقيقية يا لين .

- أوه ، وما هى صورتى الحقيقية ... بل ما هى صورتك الحقيقية وماذا تريد أنت بالذات ؟

- أستطيع أن أقول أننى أريد الأمن والسلام ... الهدوء بعد العاصفة والطمأنينة بعد هدير الأمواج ، ولكننى لا أعرف ، أظن أحياناً يا لين أننا ، أنا وأنت نريد المتاعب.

وأردف يقول فى كآبة :- ليتك ما عدت هنا . كنت سعيداً جداً قبل قدومك .

- أو لستم سعيداً الآن ؟

نظر إليها فأحست بالانفعال يتملكها وتسارعت أنفاسها . ولم تحس أبداً بجاذبية

دافيد القوية كما تحس بها الآن . وبسط يده وأمسك بكتفها ولكنه لم يلبث أن رد يده عنها على الفور .

وأحست بيده تتخلى عنها فجأة ، وكان ينظر من فوق كتفها إلى أعلى التل ، وأدارت رأسها لترى ما الذى اثار اهتمامه .

كانت هناك امرأة تجتاز الباب الصغير المؤدى إلى فيروبانك . وقال دافيد فى حدة :

- من هذه ؟

قالت لين :- يبدو أنها فرانسيس .

عبس وقال :- فرانسيس ؟ وماذا تريد ؟

- لعلها تريد أن تطمئن على صحة روزالين .

- أى عزيزتى لين ... لا يقصد روزالين الا الذين يحتاجون إلى شئ . وقد سبق أن قصدتها أمك صباح اليوم .

ارتدت لين إلى الخلف وقالت عابسة :- أمى ؟ ... وماذا كانت تريد ؟

- ألا تعرفين ؟ ... كانت تريد مالاً . وقد حصلت على ما كانت تريد .

نطق دافيد بذلك وهو يبتسم تلك الابتسامة الباردة القاسية التى كانت تناسبه كل المناسبة . كانت قريبة منه وكان قريباً منها منذ أقل من دقيقة ولكنهما وقفا الآن تفصلهما الأميال ويؤرقهما العداء وصاحت :

- كلا . أوه ، كلا ، كلا .

ولكنه قال يقلدها :- بل نعم ... نعم ، نعم ..

- لا أصدق هذا ... كم ؟

- خمسمائة جنيه .

تنفست فى ضيق فى حين قال دافيد وقد استغرقته أفكاره :- اننى أتساءل كم ستطلب فرانسيس . الحق أنه ليس هناك أمان فى أن أترك روزالين لحظة واحدة أن الفتاة المسكينة لا تعرف أن تقول كلمة لا .

- هل كان هناك .... آخرون ؟

ابتسم دافيد ساخراً وأجاب :- قالت العمة كاتى أن عليها بعض الديون وأنها بحاجة إلى مائتين وخمسين جنيهاً لسدادها ، وخشيت أن يسمع الدكتور بأمرها فيغضب لأنها تدين بها إلى الوسطاء الذين تختلف اليهم .

وأردف يقول :- ولم تكن تعرف أن الدكتور نفسه سبقها إلى طلب قرض هو الآخر.

قالت لين فى صوت خافت :- ماذا تظن بنا ؟

ثم استدارت على عقبيها فجأة وانطلقت تجرى عائدة إلى المزرعة التى غادرتها منذ دقائق . وقطب دافيد حاجبيه إذ رآها تهرع إلى رولى ... وتلجأ اليه كما تلجأ الحمامة إلى عشها ، وقد ضايقه ذلك جداً ، أكثر مما أراد أن يعترف به .

ونظر إلى أعلى التل مرة أخرى وعقد ما بين حاجبيه ، وقال وهو يضم أسنانه :

- كلا يا فرانسيس ، لا أظن ذلك . انك لم تحسنى اختيار اليوم المناسب .

وعاد إلى فيروبانك مسرعاً ودخل غرفة الاستقبال فى نفس اللحظة التى كانت فرانسيس تقول فيها .

- أريد أن تفهمينى جيداً يا روزالين ... ولكن يتعذر على حقاً أن أشرح لك .

ارتفع صوت خلف ظهرها يقول :- حقاً ؟

استدارت فرانسيس على الفور . لم تحاول ، على خلاف اديلا مارشمونت أن تتعمد اللقاء بروزالين وحدها ، فان المبلغ الذى تحتاج إليه كان من الجسامة بحيث لم تكن روزالين تستطيع أن تتخلى عنه من غير أن تحصل على موافقة أخيها . والواقع أن فرانسيس كانت تؤثر بكثير أن تبحث المسألة مع روزالين ودافيد مجتمعين بدلاً من أن يشعر دافيد أنها حاولت الحصول على المبلغ من روزالين أثناء غيابه عن البيت .

لم تسمع الشاب وهو يدخل من الباب لانهماكها فى تقديم المسألة تقديماً معقولاً ، وقد أخذها سؤاله على غرة وأدركت فى نفس الوقت أن دافيد هنتر لسبب مجهول متغير المزاج .

وقالت فى بساطة :- أوه يا دافيد ... يسرنى انك أتيت . كنت أتكلم مع روزالين الآن بالذات . ان موت جوردون وضع جيريمى فى موقف شديد الحرج ، واننى اتسا ءل إذا

لم يكن فى مقدورها أن تمد لنا يد المساعدة ... وحقيقة الموقف

وانسابت الكلمات من بين شفتيها فى سهولة ويسر ... المبلغ الجسيم المطلوب ... والعون الذى يحتاج إليه جوردون ... والذى وعد بسداده شفوياً والقيودات الحكومية والبيت المرهون .

أحس دافيد بشئ من الاعجاب نحو هذه المرأة التى تكذب بمثل هذه السهولة والروعة ... كانت القصة كلها معقولة ، ولكنها لم تكن تستند على شئ من الحقيقة كلا ، كان على استعداد لأن يقسم على ذلك وتساءل فيما بينه وبين نفسه ماذا يمكن أن تكون هذه الحقيقة ... ايمكن أن يكون جيريمى فى ورطة ؟ ... لابد أنه فى موقف بائس والا ما سمح لزوجته بأن تأتى وتحاول الحصول على هذا القرض على الرغم من كبريائها وقالت :

- عشرة آلاف جنيه !

وتمتمت روزالين فى صوت عذب :- هذا مبلغ كبير .

أسرعت فرانسيس :- أوه ، اننى أعلم أنه كذلك ... وما كنت لآتى اليكما لو أنه كان من السهل اقتراضه من شخص آخر . وما كان جيريمى ليشترك فى هذه الصفقة أبداً لولا وعد جوردون له بمساندته ، وأن من سوء الحظ حقاً أن جوردون مات هكذا فجأة .

وقال دافيد :- انك تعرفين ان روزالين لا تستطيع أن تمس رأس المال ، وانه ليس لها الا حق الانتفاع بالريع ، ثم أنها تدفع للضرائب تسعة عشر شلناً عن كل جنيه .

تنهدت فرانسيس وقالت :- أوه ... اننى أعلم أن الضرائب أصبحت بغيضة جداً هذه الأيام ، ولكن من الممكن تدبير هذا المبلغ ، أليس كذلك . سندفعه لك ...

قاطعها قائلاً :- من الممكن تدبيره ، ولكننا لن نفعل . تحولت فرانسيس إلى روزالين وقالت :- روزالين ... انك كريمة ...

قطع دافيد عليها الكلام من جديد قائلاً :- هل تتصورون أن روزالين بقرة حلوب ؟ كلكم تتدافعون إليها تطلبون وتتوسلون وتستجدون ، وإذا ما أوليتموها ظهوركم تسخرون وتحتقرونها وتودون أن تموت .

صاحت فرانسيس :- ليس هذا صحيحاً .

- حقاً ؛ انكم تثيرون اشمئزازى جميعاً ، وهى أيضاً تشمئز منكم . لن تحصلوا منها على أية نقود فوفروا على أنفسكم مشقة القدوم والاستجداء مفهوم .

واحتقن وجهه من الغضب فنهضت فرانسيس جامدة الأسارير لا ينم وجهها عن شئ .

وتمتمت روزالين :- اننى آسفة جداً .

لم تعرها فرانسيس أية أهمية وكأنها لم تكن معها فى الغرفة وتقدمت خطوة نحو الباب ثم وقفت فى مواجهة دافيد وقالت :

- قلت أننى أحتقر روزالين يا دافيد ، وهذا ليس صحيحاً . اننى لم أحتقر روزالين ... ولكنى احتقرك أنت ، فان المرأة يجب أن تعيش وقد تزوجت روزالين برجل ثرى يكبرها بكثير وليس فى هذا ما يعيب ، ولكنك أنت تعيش عالة على أختك ، وتنعم بالحياة على حسابها .

- اننى أحميها من المستغلين والخطافين .

وقالت :- لن أنسى لك هذا أبداً يا دافيد .

وتجاوزته وخرجت من الباب .

وعجب بينه وبين نفسه لماذا خامره احساس غريب بأن فى كلماتها تهديداً ووعيداً .

وبكت روزالين قائلة :- أوه يا دافيد . ما كان يجب أن تقول لها مثل هذه الأشياء . أنها هى التى عاملتنى بكرم دوناً عنهم جميعاً .

أجابها محنقاً :- اسكتى أيتها الغبية الصغيرة . هل تريدين أن يطأوك بأقدامهم وأن يبتزوا منك كل أموالك .

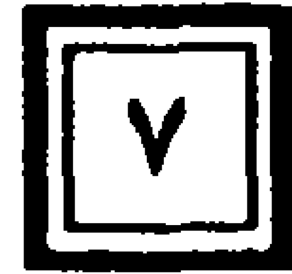
واستطرد قائلاً أن هناك خمسة ... أو ستة ... أو سبعة أشخاص لديهم كل النوايا لارسالك إلى قبرك قبل الأوان .

قالت مذعورة :- هل تعنى أنهم يريدون قتلى ... لا أظن ذلك فان آل كلود قوم مهذبون .

- بل اننى واثق ان الناس المهذبين أمثال آل كلود هم الذين يرتكبون جرائم القتل ، ولكنهم لن يتمكنوا من قتلك طالما كنت موجوداً معك أعنى بك وأحرص عليك . لابد لهم من التخلص منى أولاً . على أنهم إذا تمكنوا من ذلك وتخلصوا منى فيجب أن تحرصى على حياتك .

- دافيد . لا تنطق بمثل هذه الاشياء البغيضة .

أمسكها من ذراعها وقال :- اصغى إلى ... إذا حدث ولم أكن بجوارك لكى اعنى بك فكونى على حذر فان الحياة ليست آمنة ... انها خطرة ، بل شديدة الخطر ، واعتقد انها شديدة الخطر بالنسبة لك انت على الخصوص .



رولى ، هل تستطيع أن تعيرنى خمسمائة جنيه ؟

حدق رولى فى لين . كانت تقف أمامه لاهثة الأنفاس لفرط الجرى ، وكانت شاحبة اللون متوترة الشفتين . وقال فى رفق :

- مهلاً ... مهلاً . هدئى من روعك يا عزيزتى . ما الخبر ؟

- أريد خمسمائة جنيه .

- الواقع أننى أنا نفسى بحاجة إلى مثل هذا المبلغ .

- ولكنى لا أهزل يا رولى . الا تستطيع أن تعيرنى خمسمائة جنيه ؟

- ان حسابى فى البنك مكشوف فالجرار الجديد ...

قاطعته على الفور قائلة :- نعم ، ولكنك تستطيع الحصول على نقود بطريقة ما ، إذا كان لابد من ذلك .

- لماذا تحتاجين إلى هذا المبلغ يا لين ؟ ... هل أنت فى ورطة ما ؟

- اننى أريد أن أدفعه له .

وأشارت برأسها إلى أعلى التل فقال :- هنتر ؟ ... ولماذا بحق الشيطان ؟

- امى السبب ... استعارته منه ... كانت فى ضائقة .

- نعم . اعتقد ذلك . ولا أحسب الحياة سهلة بالنسبة لها . وددت لو استطعت مساعدتها ... ولكننى لا أستطيع .

- اننى لا أستطيع مجرد التفكير فى أنها استعارت نقوداً من دافيد .

- لا تبالى يا فتاتى العزيزة . انها انما استعارته من روزالين ، ولا أرى لماذا لا تفعل .

- لماذا ؟ ... ما هذا القول يا رولى ؟

- لا أرى لماذا لا تمد روزالين يد المساعدة من وقت لآخر . أن جوردون العجوز عندما مات من غير أن يكتب وصية وضعنا جميعاً فى مأزق . وأنا واثق اننا إذا شرحنا الموقف لروزالين فإنها لن تتأخر عن مساعدتنا .

- هل اقترضت منها أنت الآخر ؟

- كلا .. ان الأمر مختلف ، فأنا لا أستطيع أن أذهب وأطلب مساعدة مالية من امرأة فهذا عمل لا أقره .

- ألا تدرك أننى لا أريد أن أدين بالفضل إلى دافيد هنتر .

- ولكنك لست مدينة له فان المال ليس ماله .

- بل هو ماله الآن فعلاً لأن روزالين تخضع لسلطانه .

- جائز . ولكن المال ليس ماله قانوناً .

- ألا تريد ... ألا تستطيع أن تعيرنى هذا المبلغ ؟

- اسمع يا لين ... لو أنك فى ورطة حقاً ... لو أنك مدينة لأحد أو لو أن هناك من يهددك ويبتز نقوداً منك فاننى أستطيع أن أبيع قطعة من أرضى أو بعض المعدات الزراعية ، ولكن هذا التصرف يكون مدمراً لأننى أشق طريقى بشق النفس فى الوقت الحالى .

قالت لين فى مرارة :- اننى أعلم . لو أن جونى لم يلق حتفه ...

صاح بها :- دعى جونى وشأنه . لا تتكلمى عنه بعد الآن .

حدقت فيه مشدوهة . كان وجهه مضطرباً ومحتقناً . وكان يبدو أنه يسيطر على

نفسه بشق النفس فتحولت عنه وعادت بخطوات بطيئة إلى البيت الأبيض .

* * *

- ألا تستطيعين رد هذا المبلغ يا أماه .

- الحق يا عزيزتي لين انني ذهبت رأساً إلى البنك ، ثم سددت حساب آرثر وبودجهام وكنبوورث ، وكان هذا الأخير قد بدا يضيق بوعودي الكاذبة . لا يمكن أن تتصوري مدى ارتياحي يا عزيزتي . لقد مضت بي ليال لم أكن أستطيع أن أغمض فيها عيناً والحق أن روزالين كانت متفاهمة وكريمة معي .

قالت لين في مرارة :- وأظن انك ستقصدينها من وقت لآخر بعد ذلك ؟

- أرجو ألا أضطر إلى ذلك يا عزيزتي . سأحاول أن أتدبر وأقتصد . ولكن الأسعار قد ارتفعت في هذه الأيام وكل شئ يسير من سيئ إلى أسوأ .

- نعم . وسيسير بنا الأمر من سيئ إلى أسوأ ونستمر في الاستجداء .

اضطرم وجه اديلا وقالت :- ليس من الكياسة أن تنطقي بمثل هذا القول يا لين فإننا ، كما قلت لروزالين ، كنا نعتمد دائماً على جوردون .

- ما كان يجب علينا أن نعتمد عليه هذا هو الخطأ الذي وقعنا فيه . انه على حق في أن يحتقرنا .

- من هذا الذي يحتقرنا .

- هذا البغيض دافيد هنتر .

قالت مسز مارشمونت في وقار :- الحق انني لا يهمني أبداً أن أرى دافيد هنتر هذا. وهو لحسن الحظ لم يكن في فيروبانك هذا الصباح ... والا لاملي سلطته على أخته . انها تخضع لنفوذه تماماً .

راحت لين تنقل قدميها الواحدة تلو الأخرى ثم قالت :- ماذا كنت تعنين يا أماه حين تحدثت عنه في ذلك اليوم الذي عدت فيه إلى البيت «ذلك إذا كان أخوها حقاً» .

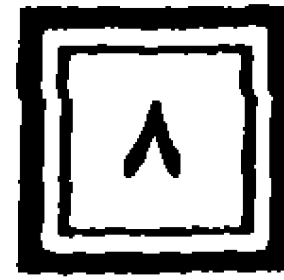
استولى الارتباك على مسز مارشمونت شيئاً ما وقالت :- حسناً . كانت هناك بعض الاشاعات كما لعلك تعلمين .

انتظرت لين متسائلة فسعلت مسز مارشمونت واستطردت :- إن هذا النوع من النساء . أعنى النساء الأفاقات (وقد خدع جوردون المسكين كلية) ... يحرصن دائماً على أن يكون برفقتهن شاب يظل بعيداً عن الأنظار ، ولنفرض أنها قالت لجوردون أن لها أخاً ، وأنها أبرقت اليه فى كندا أو فى أى مكان آخر . ويظهر هذا الشاب عندئذ ، فكيف يعرف جوردون إذا كان هنتر أخاها حقاً أم لا . إن جوردون المسكين كان متيماً بها بلا شك وصدق كل ما نطقت به . وهكذا يرافقهما أخوها إلى إنجلترا ... وجوردون المسكين لا يشك فى امره .

قالت لين فى عنف :- لا أستطيع أن أصدق هذا . رفعت مسز مارشمونت حاجبيها وقالت :- ولكن يا عزيزتى ...

- أنه ليس من هذا النوع .... ولا هى كذلك . لعلها غبية ولكنها لطيفة ... لطيفة حقاً . ان هى إلا إشاعات مجانين . اننى لا أصدق هذا أبداً .

قالت مسز مارشمونت فى وقار :- ليست هناك حاجة إلى أن تصرخى هكذا حقاً .



بعد ذلك بأسبوع توقف قطار الساعة الخامسة والثلث فى محطة وارسلى هيث وهبط منه شاب طويل القامة ملوح الوجه يربط إلى ظهره حقيبة كتلك الحقائب التى يستعملها الجنود ورجال الكشافة .

وفى لونج ويلوز كان رولى قد فرغ من أعداد قدح من الشاى لنفسه عندما وقع ظل على مائدة المطبخ جعله يرفع عينيه .

وإذا كان قد خطر له مجرد لحظة أن الفتاة الواقفة داخل الباب هى لين فان خيبة أمله لم تلبث أن تحولت إلى دهشة عندما رأى أنها روزالين كلود .

كانت ترتدى ثوباً بسيطاً ذا خطوط واسعة برتقالية وخضراء ، من ذلك النوع الذى تلبسه نساء الريف ، وكان على الرغم من بساطته قد تكلف مبلغاً كبيراً لم يكن ليخطر على بال رولى .

وكان قد رآها حتى الآن مرتدية أفخم الثياب وأغلاها . كان يخيل له أنها ترتديها في شئ من التصنع كما لو كانت عارضة أزياء تعرض ثياباً ليست ملكاً لها وإنما ملك للمحل الذى تعمل به .

قالت :- ان الجو جميل اليوم ، ولهذا خطر لى أن أقوم بنزهة .

وأردفت :- لقد ذهب دافيد إلى لندن .

ونطقت بهذه الكلمات الأخيرة كما لو كانت تقر بالذنب ثم اضطرم وجهها وأخرجت من حقيبتها علبة سجائر مصنوعة من الذهب الخالص قدمت واحدة منها لرولى ولكنه هز رأسه دلالة على الرفض ، ونظر حوله يبحث عن عود ثقاب ليشعلها ولكنها أخرجت قداحة ثمينة من الذهب هى الأخرى وحاولت أن تشعلها فلم تفلح فأخذها رولى منها وأشعلها بحركة خشنة من إبهامه . وفيما هى تميل برأسها نحوه لكى تشعل السيجارة لحظ رموشها الطويلة التى تلقى ظلالاً على وجنتيها فقال يحدث نفسه :

- لا عجب إذا كان جوردون العجوز قد وقع فى هواها .

وارتدت روزالين خطوة إلى الخلف وقالت :- أن البقرة التى ترعى فى المرج رائعة حقاً .

وأذهله إهتمامها وراح يحدثها عن مزرعته . وكان إهتماماً حقيقياً لا تصنع فيه ولا زيف . ورأى لدهشته أنها على دراية كبيرة بأعمال الريف : صناعة الزبدة . ومنتجات الألبان فابتسم وقال :

- ولكن فى مقدورك أن تتزوجى مزارعاً يا روزالين . تجهم وجهها وقالت :- كانت لدينا مزرعة فى ايرلندا ، قبل أن آتى هنا ... قبل أن ...

وترددت فقال :- قبل أن تشتغلى بالتمثيل قالت فى حزن :- ليس هذا ببعيد جداً اننى أتذكر كل شئ جيداً .

وأردفت تقول فى ابتهاج :- أستطيع أن أحلب بقراتك الآن يا رولى .

نعم ، قطعت روزالين هنتر شوطاً كبيراً منذ ذلك الوقت الذى كانت تحلب فيه الأبقار فى أيرلندا ، ولكنه وهو ينظر إليها الآن وجد من الصعب أن يصدق أنها كانت

فلاحة... كانت تبدو ساذجة لا تدل هيئتها على أنها صادفت أية مشاكل فى حياتها ثم انها كانت تبدو صغيرة جداً ... أصغر بكثير من سنواتها الست والعشرين .

سألته فجأة :- فيم تفكر يا رولى ؟

أجاب :- أتحبين زيارة المزرعة ... والملبنة ؟

- أوه ، يسرنى ذلك .

وطاف بها أرجاء المزرعة ولكنه حين عرض عليها أن يعد لها قدحاً من الشاى ارتسمت فى عينيها نظرة خوف وقالت :

- أوه ، كلا . أشكرك يا رولى . من الأوفق أن أعود الآن إلى البيت .

نظرت إلى ساعتها ثم أردفت :- أوه ... أن الوقت متأخر ... سيعود دافيد فى قطار الساعة الخامسة والثلث ، وسيتساءل أين أنا ... يجب أن أسرع .

وأردفت فى خجل :- اننى قضيت وقتاً ممتعاً حقاً يا رولى .

وكان هذا حقاً فقد أدرك أنها قضت وقتاً ممتعاً كما تقول ، وكانت على سجيتها ، غير متكلفة كما يجب أن تكون ارضاء لأخيها ، وكان واضحاً أنها تخشاه وأنه الرأس المدبر ...

ابتسم رولى فى كآبة وهو واقف بالباب ينظر إليها وهى تبتعد فى طريقها إلى فيروبانك . وقبل أن تبلغ قمة التل ظهر رجل وتساءل رولى ان كان هو دافيد ، ولكنه تحقق أنه أكبر منه قامة وأضخم جسماً ، وارتدت روزالين لتفسح له الطريق ثم أسرعت فى طريقها وهى تكاد تجرى .

نعم ، كانت كخادمة أخذت نصف يوم أجازة وأضاع رولى أكثر من ساعة من وقته الثمين ... ولكن لعل وقته هذا لم يضع سدى فقد رأى أن روزالين تميل اليه وقد يفيده ميلها هذا شيئاً ما .

وكان واقفاً مكانه وقد استغرقته أفكاره حين أجفل فجأة على صوت حاد ورأى رجلاً ضخماً يضع على رأسه قبعة رخوة من اللباد وفوق ظهره حقيبة يقف فى الطريق، فى الناحية الأخرى من الباب :

- أهذا هو الطريق إلى وارمسلى فيل ؟

وإذ حدق رولى فيه ردد الرجل سؤاله فجمع رولى شتات أفكاره بجهد جهيد وأجاب:

- نعم . خذ يمينك عبر الحقل المقبل ثم خذ يسارك ، وبعد نحو ثلاث دقائق ستجد نفسك فى القرية .

ذكر هذه العبارة بالذات مئات المرات فان الناس يقطعون الطريق العمومى عند هبوطهم من القطار ويرقون التل وعند هبوطهم إلى الناحية الأخرى يقفون حيارى مترددين فان غابة بلا كويل تخفى وارمسلى فيل عن الأنظار ، فقد أقيمت فى الوادى لا يكاد يظهر منها غير قمة برج الكنيسة .

وكان السؤال الذى تلى ذلك غريباً جداً ولكن رولى رد عليه من غير أن يفكر تقريباً فقال :-

- هناك فندقان ، فندق الستاج وفندق روبلزاند موتلى وإذا أردت رأيى فاذهب إلى «الستاج» انهما يتساويان فى الجودة أو فى الرداءة على كل حال أظن أنك ستجد فى أى منهما غرفة شاغرة .

وأخذه السؤال على غرة وراح ينظر فى اهتمام أكبر إلى محدثه . كان الناس فى هذه الأيام يحتاطون فيحجزون غرفة فى أية مدينة يذهبون إليها . وكان الرجل الطويل له وجه ملوح ولحية طويلة وعيناه شديدتا الزرقة . فى نحو الأربعين من عمره ، تبدو عليه القوة وعدم الخوف من المخاطر .

وخطر لرولى أنه آت من وراء البحار ، صوته فيه تلك اللهجة التى يتميز بها المستعمرون . والغريب أن وجهه لم يكن غريباً على رولى فقد خيل له أنه رآه قبل ذلك، وبينما كان يتساءل أين يمكن أن يكون قد رآه سأله الرجل قائلاً :

- هل تستطيع أن تقول لى إذا كان يوجد هنا بيت باسم «فيروبانك» .

أجابه رولى فى بطء : نعم . هناك فوق التل . لا ريب أنك مررت به وأنت قادم من المحطة .

- هذا صحيح ... انه اذن ذلك البيت الأبيض الكبير ؟ أنه بيت كبير ... لا ريب أنه يحتاج إلى صيانة كبيرة .

لم يجب رولى ، فقد ذكر الرجل الحقيقة ... فان صيانته تحتاج إلى مبلغ كبير من المال ... ولكنه لم يكن يعرف أن هذا المال مالهم هم آل كلود ... وعصف به الغضب إلى حد أنه نسى نفسه .

ولكنه لم يلبث أن رد إلى نفسه حين رأى الرجل الغريب يحدق النظر فى البيت القائم فوق التل فى شئ من التقدير ويقول :-

- ومن يقيم به ؟ ... أتقيم به ... مسز كلود .

أجاب رولى :- نعم ... مسز كلود .

رفع الغريب عينيه وقد بدا فيهما الطرب وقال :- أوه ... مسز جوردون كلود ؟ ... جميل ... جميل جداً ثم أومأ برأسه وقال :- أشكرك .

ورفع الصرة التى كان يحملها ومضى فى طريقه إلى وارمسلى فيل .

وعاد رولى إلى مزرعته فى بطء . وهو لا يزال يفكر فى هذا الرجل الغريب ويتسا ءل أين رآه قبل الآن .

* * *

وفى نحو التاسعة والنصف من مساء ذلك اليوم دفع رولى بكومة من الاستمارات فوق مائدة المطبخ ونهض . ونظر فى شرود إلى صورة لين الموضوعة فوق الموقد ثم قطب جبينه وغادر البيت .

وبعد عشر دقائق دفع باب حانة الستاج ودخل . وكانت بياتريس ليبنكوت واقفة أمام طاولة البار فابتسمت ترحب به . كان من رأيها أن مستر رولى كلود كان رجلاً وسيماً . وشرب قدحاً من البيرة ثم راح يتبادل الحديث مع الحاضرين عن تصرفات الحكومة والطقس والمحصول القريب .

واستطاع بعد قليل أن ينفرد ببياتريس لحظة وقال لها بصوت هادئ :-

- هل نزل عندك رجل غريب ، طويل القامة يرتدى قبعة رخوة ؟

- نعم يا مستر رولى . قدم فى قطار الساعة السادسة . هل تعرفه ؟

هز رولى رأسه وقال :- كلا . ولكنه طلب منى أن أرشده إلى الطريق .

- انه غريب عن هذه الناحية ، ويبدو أنه أجنبى .

قال رولى :- اننى أتساءل من يكون .

ونظر إلى بياتريس وابتسم . وردت له بياتريس ابتسامته قائلة :-

- هذا أمر من السهل معرفته يا مستر رولى .

وغادرت مكانها أمام طاولة البار ولم تلبث أن عادت ومعها سجل كبير فتحته عند آخر صفحة مكتوبة وقرأ رولى الاسم الأخير وهو :

اينوك آردن ... كيب تاون ... الجليزى .



كان اليوم جميلاً : وكانت العصافير تغرد وهبطت روزالين لتناول طعام الفطور وهى ترتدى ثوبها الريفى الغالى وهى تكاد تطير لفرط سعادتها .

كانت هناك سبعة أو ثمانية خطابات لروزالين وكلها عبارة عن فواتير وطلب معونات وبعض الدعوات ... أى لم يكن فيها ما يثير الاهتمام . ودفع دافيد فاتورتين بعيداً عنه وفض المظروف الثالث . كانت الرسالة مكتوبة بأحرف المطبعة كالعنوان تماماً . وكان هذا نصها :

عزيزى المستر هنتر .

أظن أنه من الأوفق أن أكتب إليك بدلاً من أختك «مسز كلود» خشية من أن يسبب لها مضمون خطابى هذا صدمة لها . وأوجز فأقول أن لدى أنباء عن الكابتن روبيرت اندرهاى قد يسرها سماعها . وأنا أقيم فى الستاج وإذا أردت أن تزورنى مساء الليلة فإنه يسرنى أن أتناقش معك فى الموضوع .

المخلص : اينوك آردن .

صدر صوت مكتوم من حلق دافيد ، ورفعت روزالين عينيها إليه مبتسمة ولكن لم تلبث أن تغيرت ملامحها وقالت مذعورة :

- دافيد ... دافيد ... ما الخبر ؟

ناولها الخطاب من غير أن ينطق فأخذته وقرأته ثم قالت :- ولكننى لا أفهم ... ما معنى هذا يا دافيد ؟

- انك تعرفين القراءة ، أليس كذلك ؟

نظرت إليه فى خوف وقالت :- هل تعنى ؟ ... ماذا نفعل ؟

عقد دافيد جبينه ... كان يدبر خطة سريعة فى ذهنه وقال :- ان الأمر على ما يرام يا روزالين .. لا حاجة إلى الجزع ... سأهتم بهذا .

- ولكن هل هذا يعنى ؟

- لا تبالى يا فتاتى العزيزة . ودعى الأمر لى . اصغى إلى ، اليك ما يجب أن تفعلى ... احزمى حقيبة على الفور واذهبى إلى لندن ... اذهبى إلى الشقة ... وابقى بها حتى اتصل بك . مفهوم .

- نعم . مفهوم طبعاً يا دافيد ... ولكن ..

- افعلى كما أقول لك يا روزالين .

وابتسم لها فى رفق يطمئنها واستطرد : اذهبى واحزمى حقيبتك . سأرافقك إلى المحطة ويمكنك أن تلحقى بقطار الساعة العاشرة والدقيقة الثانية والثلاثين ، وعندما تصلى إلى البيت قولى للبواب انك لا تريدين أن يزعجك أحد . وإذا سأله أحد عنك فليقل انك غير موجودة واعطه جنيهاً . مفهوم ؟ قولى له ألا يدع أحداً يصعد لزيارتك غيرى .

- أوه .

ورفعت يديها إلى وجنتيها ونظرت إليه بعينين مذعورتين فقال :-

- أقول لك أن الأمر على ما يرام يا روزالين ولكن يجب أن نكون على حذر . وبقاؤك هنا سيقيد يدى ، ولهذا السبب أريد اقصاءك عن القرية حتى أتمكن من اطلاق يدى ، وهذا كل شئ .

تحولت عنه ومضت خارج الغرفة . وقطب دافيد جبينه وهو ينظر إلى الخطاب الذى

فى يده . كان اسلوبه عادياً مهذباً لا يمكن أن يستدل منه على أى شئ من الجائز أن يكون الشخص الذى كتبه يريد أن يسدى خدمة ، ومن الجائز أن يكون تهديداً مستتراً وقرأ الرسالة مراراً ... لدى أنباء عن الكابتن روبيرت اندرهاى ... من الأوفق أن أكتب اليك أنت ... يسرنى أن أتناقش فى الموضوع معك ... «مسز كلود» .... عليه اللعنة ....

ونظر إلى التوقيع : اينوك آردن ... وتحرك شئ فى ذهنه ... تذكر قصيدة وبيتاً من الشعر على الخصوص .

* * *

وعندما دخل دافيد الحانة فى ذلك المساء كان البهو مقفراً كالعادة .

وعندما دق الجرس للمرة الثالثة ظهرت بياتريس ليبنكوت قادمة من البار . وأعادت الخصلات الشقراء لباروكتها فى حركة رشيقة ودخلت القفص الزجاجى الصغير وسألت مستر هنتر عما يمكنها أن تؤديه له وهى تبتسم فسألها قائلاً :

- هل لديك هنا نزيل باسم مستر آردن .

- آه ، نعم : مستر اينوك آردن . فى الغرفة رقم ٥ بالطابق الأول . لا يمكن أن تخطئها يا مستر هنتر . اصعد السلم ثم خذ يسارك واهبط ثلاث درجات تجد نفسك أمام الغرفة رقم ٥ .

وبعد أن اتبع دافيد هذه الارشادات المعقدة طرق باب الغرفة رقم ٥ فسمع صوتاً من الداخل يأمره بالدخول فدخل واغلق الباب خلفه .

خرجت بياتريس ليبنكوت من المكتب وصاحت تقول «ليلى» فظهرت فتاة غبية المظهر بوجنتيها المتورمتين وعينيها المستديرتين خاطبتها مس ليبنكوت قائلة

- ليلى ... هل لك أن تهتمى بالبار بضع لحظات . يجب أن استبدل بعض الملاءات.

- بكل تأكيد يا مس ليبنكوت .

وأردفت تقول وهى تتنهد :- أن مستر هنتر وسيم جداً ، أليس كذلك ؟

أجابت مس ليبنكوت فى ضجر :- أوه ، اننى رأيت الكثيرين من نوعه أثناء الحرب ... طيارين شبان وغيرهم فى قاعة الطيران ... شيكاتهم لم تكن مضمونة ولكن يتعين علينا أن نقبلها لأنهم من طبقة ممتازة .

وبهذه الكلمات الغامضة فارقت ليلى ووصعدت الدرج .

كان يتعين علينا أن نقبلها لأنهم من طبقة ممتازة .

وبهذه الكلمات الغامضة فارقت ليلى وصعدت الدرج .

ودخل دافيد هنتر الغرفة رقم ٥ ووقف ببابها ينظر إلى الرجل الذى وقع رسالته باسم اينوك آردن .

كان يبدو من هيئته أنه من المغامرين الذين لا يهابون الاخطار والذين لا يسهل منازلتهم . وقد بادر هنتر قائلاً :

- هالو ؟ ... هل أنت هنتر ؟ ... حسناً ، اجلس ... هل أقدم لك كأساً من الويسكى .

- أشكرك . لا بأس بقليل من الويسكى .

كانا ككلبين صغيرين يحاولان معرفة موقفهما ، يدور كل منهما حول الآخر وقد وقف شعر كل منهما فوق ظهره ، وكل منهما يتأهب لأن يصادق الآخر أو يعاديه . ورفع آردن كأسه قائلاً :- نخب صحتك .

- وصحتك .

وألقيا كأسيهما وقد خفت حدة كل منهما ، وبهذا انتهت الجولة الأولى .

وقال الرجل الذى يدعو نفسه اينوك آردن :- هل أثار دهشتك ؟

- لقد فهمت منه أنك عرفت زوج أختى الأول ... روبيرت اندرهاى .

- نعم . اننى عرفت روبيرت جيداً .

كان آردن يبتسم وهو يرسل سحباً من الدخان فى الهواء واستطرد :

- ولعلنى عرفته خيراً من أى شخص آخر . ألم تلتق به أبداً يا هنتر .

- كلا ...

- آه ... قد يكون هذا أفضل .

سأله دافيد فى حدة :- ماذا تعنى ؟

أجاب آردن فى هدوء :- لا شئ غير أن هذا يجعل الأمر أكثر سهولة .

وانني اعتذر إذ حملتك إلى المجيء هنا ولكنني ظننت أن من الأفضل أن تستبعد روزالين ، فليس هناك داع لكى نسبب لها أى إزعاج ؟

- هلا طرقت الموضوع ؟

- طبعاً . طبعاً ... حسناً ... ألم تشتبه أبداً فى أن وراء ... ماذا أقول ؟ ... وراء موت اندرهاى شيئاً مريباً ؟

- ماذا تعنى ؟

- حسناً . كانت لاندرهاى آراء غريبة بعض الشئ ... قد تكون شهامة منه ، وقد يكون شيئاً آخر ... ولكن لنقل أنه كانت هناك ظروف معينة كان من الأفضل فيها أن يكون اندرهاى ميتاً . وكان كريماً فى معاملته للسود ، ولم يكن من المتعذر عليه أن يخلق قصة يؤيدها بعض الشهود وكل ما كان عليه بعد ذلك هو الظهور فى مكان آخر يبعد بالآف الأميال ... وباسم جديد .

قال دافيد :- هذه قصة خيالية لا يمكن تصديقها .

وابتسم آردن وربت بيده على كتف دافيد وقال :- لنفرض أنها قصة حقيقية يا هنتر ... نعم ، لنفرض أنها حقيقية .

- سأطلب عندئذ أدلة محددة .

- حقاً ؟ ... حسناً . ليست هناك أدلة محددة طبعاً ، ولكن من الجائز أن يأتى اندرهاى بنفسه هنا ... فى وارمسلى فيل ... ألا يكون هذا دليلاً .

أجاب دافيد فى جفاء :- سيكون على الأقل دليلاً حاسماً .

- آه ، نعم ... دليل حاسم ... ولكنه سيكون دليلاً مزعجاً كذلك ، أعنى بالنسبة لمسز جوردون كلود . لأنها لن تكون مسز جوردون كلود عندئذ ... ويجب أن تعترف

أن الأمر سيكون بغيضاً جداً إذا حدث ذلك .

وقال دافيد :- كانت أختى حسنة النية عندما تزوجت للمرة الثانية .

- طبعاً يا صديقى العزيز ، طبعاً . اننى لا أجادلك فى هذه النقطة لحظة واحدة ، وأى قاض سيقول ذلك . لا يمكن لأحد أن يوجه إليها أى لوم .

قال دافيد فى حدة :- وما دخل القضاء فى هذا الشأن ؟

أجاب الآخر كما لو كان يعتذر :- كنت أفكر فى جريمة تعدد الأزواج .

سأله دافيد فى وحشية :- ماذا تقصد بالذات ؟

- لا داعى للانفعال يا صاحبى العزيز ... إن كل ما أريد هو أن نفكر معاً وأن نرى ما هو أفضل حل ... أعنى أفضل حل بالنسبة لأختك ، فما من أحد يريد الدعاية البغيضة أو التشهير ... كان اندرهاى شهماً دائماً . وهو مازال شهماً .

سأله دافيد فى حدة :- مازال ؟

- نعم .

- أتقول أن روبيرت اندرهاى على قيد الحياة ... أين هو اذن ؟

انحنى آردن إلى الأمام وقال فى همس :- هل تريد أن تعرف يا هنتر ؟ ... أليس من الأفضل ألا تعلم لنقل أنه بقدر ما تعلم أنت وبقدر ما تعلم روزالين أنه قد مات فى أفريقيا ، وأنه إذا كان حياً يرزق فإنه لا يعرف أن زوجته قد تزوجت للمرة الثانية وأنه ليست لديه أية فكرة عن ذلك . لأنه لو عرف ذلك لسارع بالمجئ طبعاً ... وقد ورثت روزالين مبلغاً جسيماً من زوجها الثانى ، وليس لها أى حق بالطبع فى هذه الثروة ، واندرهاى رجل على حساسية كبيرة من ناحية الشرف ولن يرضى أن ترث روزالين أموالاً بفضل إدعاءات كاذبة .

وأمسك لحظة ثم عاد يقول :- ولكن من الجائز طبعاً ان اندرهاى لا يعرف شيئاً عن زواجها الثانى . أن المسكين فى موقف سئ ... موقف سئ للغاية .

- ماذا تعنى ؟

هز آردن رأسه فى أسى وقال :- أنه مريض جداً وبحاجة إلى علاج خاص ...

يتكلف الكثير لسوء الحظ .

ووقعت الكلمات الأخيرة على هنتر وقوع الصاعقة ، فقد كانت هى الكلمات التى ينتظرها منذ مدة بعيدة وقال :-

- يتكلف الكثير .

- نعم ... فإن كل شئ له ثمنه واندرهاى المسكين مفلس ...

وأردف - وهو لا يملك شيئاً عملياً فيما عدا الثياب التى عليه .

ودارت عينا دافيد فى أرجاء الغرفة لحظة . ورأى حقيبة الظهر فوق أحد المقاعد ولكنه لم ير أية حقائب أخرى . وقال فى صوت خشن :

- اننى أتساءل هل اندرهاى رجل شهم حقاً كما تقول .

قال الآخر يطمئنه :- كان شهماً ذات مرة ولكن الحياة تغير الإنسان كما تعرف .

وأمسك لحظة ثم قال فى لهجة رقيقة :- كان جوردون رجلاً واسع الثراء ، والثروات الكبيرة توقظ فى الإنسان أحط الغرائز وأسفلها .

نهض دافيد وقال :- ليس لدى غير جواب واحد لك وهو أن تذهب إلى الشيطان .

ابتسم آردن وقال فى هدوء :- نعم ، كنت أتوقع منك هذا الرد .

- ما أنت الا مبتز حقير ، لا أكثر ولا أقل . افعل ما تريد فاننى لا أبالى بكل ما تقول .

- اظنك تستند إلى أننى لن استطيع الجهر بهذه المسألة خوفاً من أن يزج بى فى السجن . لن يكون هذا يا صاحبى ... لن أجهر بشئ منها لأنك إذا لم تشتر معلوماتى فلدى عملاء آخرون يستطيعون شراءها .

- ماذا تعنى ؟

- آل كلود ... سأذهب وأسر إليهم بأن روبيرت اندرهاى مازال حياً ... انهم سيطيرون من الفرحة عندئذ .

قال دافيد متهكماً :- لن يمكنك أن تحصل على شئ منهم ... فانهم مفلسون ... كلهم مفلسون .

- آه . ولكننى سوف أعقد معهم إتفاقاً واتفق معهم على مبلغ معين يدفعونه لى عندما يتم لهم تقديم الأدلة على أن روبيرت اندرهاى حى يرزق وأن مسز جوردون كلود لا تزال مسز روبيرت اندرهاى ، وأنه نتيجة لذلك فإن وصية جوردون كلود التى كتبها قبل زواجه مازالت نافذة المفعول .

جلس دافيد هنتر صامتاً بضع لحظات ثم قال :- كم ؟

وجاء الرد على الفور :- عشرون ألفاً .

- محال ... فلا حق لاختى فى أن تقرب رأس المال . ليس لها إلا حق الانتفاع بريعه فقط .

- عشرة آلاف اذن ... يمكنها أن تجمع هذا المبلغ بسهولة . لديها مجوهرات على ما اعتقد .

ساد صمت طويل ثم قال دافيد فجأة :- حسناً .

ولمجرد لحظة بقى آردن لا يسعفه النطق . بدا كأن سهولة انتصاره قد أدهشته . وأخيراً قال :-

- اننى لا أريد شيكات طبعاً . أريد أوراقاً مالية .

- لابد من إمهالنا بعض الوقت لكى نجمع هذا المبلغ .

- سأمهلك ثمانى وأربعين ساعة .

- بل لنقل حتى يوم الثلاثاء .

- ليكن . عليك أن تأتى بالنقود هنا .

وأردف يقول قبل أن يستطيع دافيد الكلام :- لن أذهب للقائك فى أى مكان موحش أو أى شاطئ مقفر ، فاطرح الأفكار السوداء عن رأسك . ستأتينى بالنقود هنا فى الحانة فى الساعة التاسعة من مساء الثلاثاء .

- انت رجل متشكك .

- اننى أعرف كيف أحافظ على نفسى ثم أعرف الناس الذين على شاكلتك .

- حسناً ... اتفقنا إذن .

وغادر دافيد الغرفة رقم ٥ وهبط السلم وقد احتقن وجهه لفرط الغضب .

وخرجت بياتريس من الغرفة رقم ٤ . كان هناك باب فاصل بين الغرفتين رقم ٤ ، ٥ وضع أمامه دولاب اخفاه عن الأنظار ولم يفطن إليه اينوك آردن .

وكان وجه مس ليبنكوت مضطرباً وعيناها تبرقان من الانفعال والسرور معاً .



كانت الشقة التى تشغلها مسز جوردون كلود تقع فى الطابق الثالث من عمارة شيفرد كورت وتتكون من غرفة معيشة أقيم بها بار صغير ومن غرفتين للنوم مزودتين بدواليب مبنية داخل الجدران ، وغرفة حمام فخمة يلمع فيها الفخار والكروم .

وفى غرفة المعيشة كان دافيد يسير جيئة وذهاباً فى حين جلست روزالين على أريكة كبيرة تنظر إليه . وكانت تبدو شاحبة مذعورة . وتمتم دافيد :

- تهديد ... وابتزاز . يا ألهى ... وهل أنا ممن يخضعون للتهديد والابتزاز ؟

هزت رأسها وقد استبدت بها الحيرة والقلق وقال دافيد :- لو أننى أعرف ... لو استطيع فقط أن أعرف ... ان ما يغيظنى هو أننى اتخبط فى الظلام .

وتحول إليها فجأة وقال :- هل عرضت هذه الزمردات على العجوز جريتوريكس ببوند ستريت ؟

- نعم .

- وكم عرض فيها ؟

أجابت روزالين فى صوت مختنق :- أربعة آلاف جنيه . قال أننى إذا لم أبعها فيجب على أن أؤمن عليها .

- نعم ، فان الاحجار الكريمة قد ارتفعت قيمتها إلى الضعف . أوه ، حسناً . يمكننا أن نجمع المال ، ولكن إذا نحن دفعنا له فستكون هذه هى البداية ... وسوف يستنزف كل ثروتنا يا روزالين .

صاحت :- أوه ... لنترك انجلترا ... فلنرحل عنها ... ألا نستطيع أن نذهب إلى

ايرلندا ... أو أمريكا أو أى مكان آخر .

نظر إليها فى ازدراء وقال :- انت لست مناضلة يا روزالين ... شعارك هو خذى واهربى .

قالت باكية :- كلا ... اننا أخطأنا ... اننا أقدمنا على عمل غير حميد .

- لا تقلقى . دعى الأمر لى وافعلى كما اقول لك . يمكنك أن تركنى إلى . كل . ما أطلبه منك هو أن تفعلى ما أقول لك .

- اننى افعل ما تقول دائماً يا دافيد .

ضحك وقال :- نعم . هذا صحيح . سنخرج من هذه الورطة فلا تخافى سأهتدى إلى طريقة أقهر بها مستر اينوك آردن .

- اليست هناك قصيدة يا دافيد تتكلم عن رجل عائد .

قاطعها بقوله :- نعم . وهذا هو ما يثير قلقى بالذات ... ولكننى سأتغلب عليه فى النهاية ، فلا داعى للخوف .

قالت :- هل تأخذ اليه النقود مساء يوم الثلاثاء ؟

أومأ بالإيجاب وقال :- سأعطيه خمسة آلاف وسأقول له انه يتعذر على أن أجمع الباقى فوراً . ولكن يجب أن أمنعه من الذهاب إلى آل كلود . وأظن أن هذا كان تهديداً منه فحسب ، ولكننى لا أستطيع التأكد .

ووقف وبدت عيناه حالمتين ولكن كان ذهنه يعمل ويدبر ويطرح الاحتمالات ثم ضحك ، وكانت ضحكة كبيرة تدل على عدم المبالاة ... ضحكة ما كان بعض الموتى إلا ليعرفوها لو أنهم سمعوها الآن . كانت ضحكة رجل يتأهب للعمل وللإندفاع فى مغامرة حافلة بالاخطار ... كانت ضحكة تنطلق بالمتعة والتحدى . وقال :-

- اننى أستطيع الاعتماد عليك يا روزالين ... نعم ، واحمد الله على ذلك .

رفعت عينيها اليه مستفهمة قائلة :- تعتمد على ... فى أى شئ ؟

ابتسم ثانية وقال :- بأن تفعلى ما أقول لك . هذا هو سر خطة ناجحة يا روزالين .

وضحك وأردف :- وأعنى بها عملية اينوك آردن .

١١

فض رولي المظروف البنفسجي الكبير في شئ من الدهشة وهو يتساءل عمن يمكن أن يكتب إليه مستخدماً مثل هذا النوع من ورق الكتابة وكيف استطاع الحصول عليه. لا ريب أن هذا النوع كان موجوداً لديه قبل اندلاع الحرب . وقرأ :

عزيزى مستر رولي .

أرجو ألا تظن أنني أتجاوز حدودى بالكتابة اليك . ولكن عذرى هو ان هناك أشياء ضرورية يجب أن تعرفها من غير شك .

واشير الآن الى ذلك الحديث الذي جرى بيننا فى تلك الليلة فيما يتعلق بشخص معين سألتنى عنه . وإذا أنت اتيت إلى الحانة فانه ليسرنى أن أتحدث اليك بشأنه . انك تعرف اننا جميعاً هنا قد وجدنا ان من العار ان يجردكم العم جوردون من ثروته بالطريقة التى أقدم عليها .

وأرجو مخلصة ألا تكون قد غضبت منى ، ولكننى أعتقد حقاً انه يجب أن تكون على علم بما يجرى من أمور .

المخلصة : بياتريس ليبنكوت

تفرس رولي فى الخطاب وقد أخذ ذهنه يعمل ويدور ما معنى هذا ؟ بى العجوز الباسلة ... انه عرف بياتريس طوال عمره . كان يشترى الدخان من محل ابيها ويقضى بقية النهار معها خلف طاولة البيع . كانت فتاة جميلة ، وقد سمع وهو طفل الاشاعات التى دارت طوال المدة التى غابتها عن وارمسلى فيل ، فقد قضت بعيداً عنها نحو سنة وقيل يومها انها غادرت القرية لكى تضع مولوداً غير شرعى .

وقد يكون هذا صحيحاً وقد لا يكون ولكنها أصبحت الآن امرأة محترمة جداً ومهذبة .

كانت الساعة قد تجاوزت الثامنة بقليل عندما دفع باب البار . وحياه الحاضرون كالعادة بهم ، ومضى بعد ذلك إلى البار وطلب قدحاً من البيرة .

وقالت بياتريس :- يسرنى أن أراك يا مستر رولى .

- مساء الخير يا بياتريس . اشكرك لرسالتك .

ألقت اليه نظرة سريعة وقالت :- سأكون معك بعد دقيقة واحدة يا مستر رولى .

هز رأسه وراح يشرب البيرة وهو يرى بياتريس تفرغ من خدمتها ثم تستدعى الفتاة ليلى وتكلفها بأن تقف مكانها ثم تقول له :

- هل لك أن تأتى معى يا مستر رولى .

وتقدمته إلى ممر صغير ومنه إلى باب عليه كلمة «خاص» ودلف معها إلى غرفة صغيرة جميلة الرياش .

وأدارت بياتريس مفتاح الراديو فأسكتته وأشارت إلى أحد المقاعد قائلة :-

- يسرنى جداً انك اتيت يا مستر رولى وأرجو أن تعذرنى لأننى كتبت اليك ، ولكننى ظللت أفكر فى الأمر طوال نهاية الاسبوع ورأيت انه لابد أن تعرف ما يدور .

كانت تبدو سعيدة مدركة بمدى أهميتها وراضية عن نفسها وسألها رولى فى فضول :- ما الخبر ؟

- حسناً يا مستر رولى . انك تعرف ذلك الرجل الذى نزل بالحانة باسم آردن ، ذلك الذى سألتنى عنه فى تلك الليلة .

- نعم .

- حدث هذا فى الليلة التالية . جاء مستر هنتر وطلب رؤيته .

- مستر هنتر ؟

- نعم مستر هنتر وكان يبدو متوتراً جداً كما لو أن شيئاً قد حدث له وأثار اضطرابه ولكننى لم أعلق على ذلك أهمية فى ذلك الوقت .

وتوقفت مبهورة الأنفاس ولم يقل رولى شيئاً واكتفى بالاصغاء . لم يحاول ابداً ان يتعجل احداً ، فلم يكن يضيره ان يأخذ محدثه كل وقته .

واستطردت بياتريس فى وقار :- وبعد ذلك بقليل ذهبت إلى الغرفة رقم ٤ لكى اتحقق من بعض الملاءات والمناشف . وهذه الغرفة تلاصق الغرفة رقم ٥ ويفصل بينهما

باب داخلى ولكن لا يراه أحد من الغرفة رقم ٥ لأن أمامه دولاباً كبيراً يخفيه عن العيان .

- وهكذا ترى يا مستر رولى انه لم يسعنى الا أن اسمع ما يقال . والحق اننى دهشت اكبر الدهشة .

واصغى رولى وهو يكاد يكون جامد الاسارير إلى بيان بياتريس عن الحديث الذى سمعته وعندما فرغت انتظرت فى شئ من التوقع ولكن مرت دقيقتان قبل أن يصحو رولى من جموده وعندئذ نهض وهو يقول :-

شكراً يا بياتريس ... شكراً جزيلاً .

وغادر الغرفة دون أن يزيد . وأحست بياتريس بخيبة أمل كبيرة ... لم تتوقعها ابداً ... وحدثت نفسها تقول ان مستر رولى كان يجب أن ينطق بشئ آخر .



بعد ظهر يوم الثلاثاء بالذات قامت لين مارشمونت بجولة كبيرة . كانت شديدة الاستياء من نفسها فقد خيل لها أنها بحاجة إلى أن تعيد النظر فى بعض أمورها .

لم تكن قد رأت رولى منذ بضعة أيام . كانا قد التقيا كعادتهما بعد ذلك اليوم الذى انفصلا فيه بذلك العنف بعد أن طلبت منه أن يعيرها خمسمائة جنيه . وكانت قد أدركت أن طلبها غير معقول وأن رولى لم يتجاوز حقوقه عندما رفض طلبها ... ومع ذلك فان العقل والحصافة لم تكن من صفات المحبين . وقد بقيت الامور بينها وبينه كما كانت فى الظاهر ولكنها لم تكن واثقة من حقيقة شعورها نحوه ، فقد بدت لها الأيام الأخيرة رتيبة وعلى وتيرة واحدة ، ولم تشأ أن تعترف بينها وبين نفسها أن هذه الرتابة ترجع إلى سفر دافيد هنتر واخته إلى لندن فجأة . واعترفت على مضض بينها وبين نفسها أن دافيد كان شاباً يثير الاعجاب .

أما عن أفراد أسرتها فقد رأتهم جميعاً فى هذه اللحظة أشخاصاً غير محتملين . كانت أمها فى أحسن حالاتها وضايقت ابنتها أثناء طعام الافطار فى ذلك اليوم حين

قالت لها انها ستعمل على الحاق بستانى ثان محتجة بأن توم العجوز لا يستطيع القيام وحده بكل شئ .

وصاحت لين فى استغراب :- ولكننا لا نستطيع أن نواجه نفقاته يا أماه .

- هراء . اننى اعتقد حقاً يا لين ان جوردون ما كان إلا لينزعج ازاء الاهمال الذى امتد إلى الحديقة انه كان يجب أن نبذل قصارى جهدنا دائماً بالسياج وبالعشب ولكن انظرى اليها الآن . اننى لأشعر أن جوردون ما كان إلا ليوافقنى على أن اهتم بها من جديد .

- حتى إذا اضطررنا إلى الاستدانة من أرملته فى سبيل ذلك .

- قلت لك أن روزالين كانت كريمة معى . والواقع اننى أظن أنها رأت وجهة نظرى وان لى رصيداً لا بأس به فى البنك الآن بعد أن سددت جميع ديونى . والحق اننى أعتقد أن بستانياً ثانياً سيكون أمراً اقتصادياً .

- نستطيع أن نشترى كمية كبيرة منها بالجنيهات الثلاثة التى ستعطينها للبستانى كل اسبوع .

- اظن اننى أستطيع الحصول على بستانى بأقل من هذا المبلغ يا عزيزتى ، فهناك رجال كثيرون قد سرحهم الجيش . وهم يبحثون الآن عن عمل ... قرأت هذا فى الجرائد .

قالت لين فى جفاء :- لا أظن انك ستجدين أحداً منهم فى وارمسلى فيل أو فى وارمسلى هيث .

ووقف الأمر عند هذا الحد ، ولكن ميل الام إلى الاعتماد على روزالين كمنبع منتظم للاعانة امض لين وأحيا فى ذهنها كلمات دافيد الساحرة .

وهكذا راحت تقوم بجولتها تحت تأثير شعور مزدوج من السخط والاستياء .

ولم تتحسن حالتها عندما التقت بالعمة كاتى خارج مكتب البريد ، وكانت العمة كاتى معتدلة المزاج وقد خاطبتها قائلة :

- اعتقد يا لين انه ستأتينا قريباً أنباء طيبة .

- ماذا تعنين بحق السماء يا عمتى كاتى ؟

هزت مسز كلود رأسها مبتسمة وبدا عليها الاهتمام وهى تقول :- جاءتنى أغرب رسالة فى حياتى ... ستنتهى متاعبنا وسنكون فى أسعد حال جميعاً . وقد أصبت بنكسة منذ قريب ولكن الروح التى تتصل بى عادت فقالت لى حاولى ... حاولى من جديد ... إذا لم تفلحى من أول مرة ولكننى لن اكشف لك عن أسرارى يا عزيزتى ، ولا أريد أن تتعلقى بآمال سابقة لأوانها . ولكننى أعتقد اعتقاداً جازماً بأن الامور سوف تتحسن قريباً . والحق أن الأوان قد آن لذلك فاننى شديدة القلق من أجل عمك ، فقد أرهق نفسه أثناء الحرب ثم انه يحتد أحياناً ويتملكه الانفعال . اننى كثيرة القلق من أجله فقد تقدمت به السن حقاً .

هزت لين رأسها فى تفكير فهى لم يفتها التغيير الذى طرأ على ليونيل كلود ولا على طباعه وقد ارتابت فى انه يتناول المخدرات لينبه نفسه وتساءلت إذا لم يكن قد أصبح مدمناً بعض الشئ .

وفى شارع هاى ستريت رأت لين جيرمى عائداً إلى بيته ، وتحققت انه ظهر عليه الكبر فى الاسابيع الثلاثة الأخيرة فجأة .

وحثت خطاها فقد أرادت أن تبتعد عن وارمسلى فيل بمسافة كبيرة وان ترقى التل وتمضى إلى الخلاء فقد تفيدها النزهة . ستمشى خمسة أو ستة أميال حتى يصفو ذهنها . كانت تعرف ما تريد وما لا تريد طوال حياتها ولم تحس أبداً قبل الآن بمثل هذا السرور وهى تمشى بعيداً هكذا .

وفى بطء امتدت الظلال مع الغسق ومع هبوط الليل ... وجلست لين لا تتحرك وقد اعتمدت ذقنها بين يدها فى دغل صغير فوق التل وراحت تنظر إلى الوادى ... فقدت حساب الزمن ، ولكنها كانت تعرف انها عازفة عن العودة إلى البيت ، وكانت لونج ويلوز ، مزرعة رولى تقع بعيداً ، أسفل التل ... لونج ويلوز بيتها إذا هى تزوجت رولى .

إذاً ...

هل أتزوج رولى ؟ ... هل أريد أن أتزوج رولى ؟ . هل أردت ان أتزوج رولى ... وهل استطيع احتمال عدم الزواج به ؟

لقد احبت رولى قبل ان تغادر البلد وفكرت قائلة : ولكننى عدت إلى البلد وقد تغيرت اما رولى فلم يتغير .

نعم ، هو ذلك ... ان رولى لم يتغير ، فرولى هو هو كما تركته منذ أربع سنوات .

هل تريد ان تتزوج رولى ؟ ... واذا لم تكن تريد ذلك فماذا تريد ؟

وانكسرت بعض الاغصان خلفها وارتفع صوت رجل يسب وهو يتقدم فى الطريق وصاحت :

دافيـد .

- ليـن .

ونظر اليها مشدوهاً وهو يخرج من خلف الاشجار وقال :- ماذا تفعلين هنا بحق الشيطان ؟

كان يجرى ، وكان مبهور الانفاس وأجابت وهى تضحك مترددة :- لا أدرى ... كنت أفكر ... أظن ان الوقت متأخر .

- أليست لديك فكرة عن الوقت الآن ؟

نظرت إلى ساعتها فى غموض وقالت :- انها وقفت ثانية ... اننى اتلف الساعات دائماً .

قال دافيد :- بل أكثر من الساعات ... ان الكهرباء تسرى فيك ... والحيوية والحياة ... ودنا منها فأسرعت ناهضة وقد انزعجت فجأة وقالت أن الظلام قد جاء ، يجب أن أعود إلى البيت . كم الساعة الآن يا دافيد ؟

- التاسعة والربع . يجب أن أجرى كالأرنب لكى الحق بقطار التاسعة والثلث الذاهب إلى لندن .

- لم أكن أدرى انك عدت من لندن .

- احتجت إلى بعض الأوراق من فيروبانك ويجب أن ألحق بالقطار الآن ، فان

روزالين وحدها فى الشقة وهى تخاف أن تقضى الليل وحدها فى لندن .

قالت لين فى سخرية :- فى بيت مأهول بالسكان ؟

قال دافيد فى حدة :- ان الخوف ليس منطقياً خاصة إذا كنت قد عانيت من انفجار القنابل .

احست لين بالخجل فجأة وقالت نادمة :- آسفة اننى نسيت .

وفى مرارة مفاجئة صاح دافيد يقول :- نعم ، سرعان ما ننسى كل شئ . فقد عادت الحياة كما كانت ... وعاد الهدوء ... وعاد الأمان الذى كان سائداً قبل أن تندلع الحرب . ونسينا ما عانيناه ... أنت أيضاً يا لين ... أنت كغيرك تماماً .

أجفلت ازاء السرعة التى تكلم بها ، وكان قد احاطها بذراعيه وضمها اليه وقبلها بشفتيه المحموتين الغاضبتين . وقال :

- رولى كلود ... هذا الغر الأحمق ... بالله يا لين ... أنت ملكى أنا .

وفجأة افلتها من بين ذراعيه كما ضمها ... اقصاها عنه وهو يقول : سيفوتنى القطار .

وأسرع يجرى هابطاً المنحدر . فصاحت :- دافيد .

حول رأسه اليها وقال :- سأتصل بك تليفونياً عندما أبلغ لندن .

نظرت اليه وهو يجرى ، خلال الظلام الذى أخذ يتكاثف ... كان رشيقاً وقوياً .... وأخذت طريقها الى البيت وهى تضطرب كريشة فى مهب الريح . وخفق قلبها بشدة واختلط الأمر عليها .

وترددت قليلاً قبل أن تدخل ونفرت من ترحيب أمها واسئلتها ... امها التى اقترضت خمسمائة جنيه من قوم تزدريهم ... وقالت تحدث نفسها وهى تصعد السلم فى بطء .

- ليس لنا الحق فى ازدراء روزالين ودافيد فنحن مثلهما تماماً ... نفعل أى شئ فى سبيل المال .

ووقفت فى مخدعها وراحت تنظر فى شئ من الاستغراب إلى وجهها فى المرآة ...

كان وجه فتاة غريبة عنها .

وفجأة عصف الغضب بكيانها وقالت :- لو كان رولى يحبنى حقاً لجمع لى الخمسمائة جنيه بأية طريقة ولما تركنى وحدى أشعر بالذل والهوان لاضطرارى إلى أخذها من دافيد .... دافيد .

لقد قال دافيد انه سيتصل بها تليفونياً عندما يبلغ لندن .

وهبطت السلم وهى تمشى فى حلم ، ومن الاحلام ما هو شديد الخطر .



غادر رولى الحانة ومضى فى طريقه إلى المزرعة فى خطوات آلية . وبعد أن قطع بضع مئات من الأمتار توقف فجأة وعاد أدراجه .

كان ذهنه يدور فى بطء وقد اذهلته أقوال بياتريس ليبنكوت . وبدأ يدرك مدى اهميتها فى هذه اللحظة . إذا كانت المعلومات التى نقلتها اليه صحيحة ، وهو لا يشك فى هذه النقطة ، فان الموقف يتغير بالنسبة لكل أفراد اسرة كلود ، والشخص الوحيد الذى يستطيع التصرف عندئذ هو عمه جيريمى كلود ، فهو بصفته محامياً يعرف ماذا يجب أن يفعل وكيف يمكن أن يستفيد بأحسن ما يكون من هذه المعلومات .

وعلى الرغم من أن رولى كان يود أن يشرع فى العمل بنفسه إلا أنه أدرك على مضض منه أن من الأفضل أن يضع الأمر بين يدى محام قدير . وكلما أسرع وأخذ جيريمى بهذه الوقائع كان هذا أفضل ، ولهذا اتجه إلى بيت جيريمى فى هاى ستريت .

وفى غرفة الطعام قالت فرانسيس لزوجها :- اننى اتساءل ماذا يريد رولى .

هز جيريمى كتفيه وقال :- لا ريب أن هناك استمارة حكومية لا يفهمها . ان أكثر المزارعين لا يفقهون شيئاً فى الاستمارات الحكومية ولا يعرفون كيف يملأونها . ورولى رجل دقيق ، ويضطرب لأقل شئ .

قالت فرانسيس :- انه ظريف ، ولكنه بطئ الفهم جداً . يخامرنى احساس بأن الأمر بينه وبين لين على ما يرام .

- لين ؟

كان جيريمى قد تكلم فى شرود ولكنه لم يلبث أن قال :

- آه ... نعم ، معذرة . يبدو اننى لا أستطيع التركيز ... ان هذه المشاكل .

أسرعت فرانسيس تقول :- اطرحها من رأسك . سيكون الأمر على ما يرام ... واننى أؤكد لك هذا .

- انك تخيفيننى فى بعض الأحيان يا فرانسيس لا يبدو عليك أى اكتراث ... ولا تدركين ....

- بل اننى أدرك كل شئ ... ولست خائفة والحق يا جيريمى اننى استطيب الأمر .

قال جيريمى :- وهذا هو ما يسبب لى أكبر الانزعاج يا عزيزتى .

ابتسمت وقالت :- ما عليك لا يجب أن ندع مزارعنا الشاب ينتظر أكثر من ذلك . اذهب وساعده على ملء خانات الاستمارة التى معه .

وفيما هما ينهضان من مقعديهما أمام المائدة سمعا الباب الخارجى للبيت يغلق ، ولم تلبث أدنا أن جاءت وأخبرتهما أن مستر رولى قال انه لا يستطيع الانتظار وأن الأمر ليس بذى أهمية تذكر .



- آه . أهذه أنت يا لين ؟

كان صوت مسز مارشمونت حاداً تشوبه رنة من الارتياح واستطردت :

- لم أسمعك تعودين ... هل عدت منذ وقت طويل ؟

- نعم . منذ دهور . كنت فى غرفتى .

- أحب أن أعلم بعودتك بعد ذلك يا لين فاننى أشعر بالقلق دائماً وأنت بالخارج وحدك بعد هبوط الليل .

- هل تعتقدين حقاً يا أماه . أننى لا أستطيع أن أدافع عن نفسى .

- ان الجرائد حافلة بالحوادث المخيفة هذه الأيام ... كل هؤلاء الجنود المسرحين ...

انهم يهاجمون الفتيات .

- انهم إنما يهاجمون الفتيات اللاتى يردن ذلك .

وابتسمت ابتسامة ملتوية ... نعم ... فتيات يبحثن عن الخطر ويلعبن بالنار ... ولكن من الذى يصبو الآن إلى الأمان ؟

- لين ، عزيزتى ... هل تسمعيننى ؟

ارتدت لين إلى نفسها وقالت :- ماذا كنت تقولين يا أماه ؟

- كنت أحدثك عن اشبينتيك يا عزيزتى ... أظن أنه يجب أن تتحدثى فى ذلك إلى جوان ماكرى ، فقد كانت أمها صديقة حميمة لى وأخشى أن تغضب إذا ...

- اننى أكره جوان ماكرى ...

- أعرف ذلك يا عزيزتى ولكن هل لهذا أهمية حقاً . اننى واثقة أن مارجورى ستغضب .

- ولكنه زواجى أنا يا أماه .

- بدون شك يا لين ، ولكن ...

- ذلك إذا كان هناك زواج على كل حال .

لم تكن تنوى أن تقول ذلك ولكن الكلمات أفلتت منها على الرغم من إرادتها وودت لو تسحبها ولكن كان السيف قد سبق العذل . وتفرست مسز مارشمونت فى ابنتها فى ذعر وقالت :

- عزيزتى لين ... ماذا تعنين ؟

- أوه ، لا شئ يا أماه .

- هل تشاجرت مع رولى ؟

- كلا طبعاً ... لا تزعجى نفسك يا أماه فكل شئ على ما يرام .

ولكن أديلا راحت تنظر إلى ابنتها فى ذعر حقيقى وقد أدركت الاحتياج الذى تعانيه فى الداخل وقالت فى لهجة يرثى لها :

- كنت أشعر دائماً بأنك ستكونين فى أمان إذا تزوجت برولى .

قالت لين متهكمة :- ومن الذى ينشد الأمان ... أهذا هو التليفون ؟

- كلا . لماذا ... هل تنتظرين مكالمة ؟

هزت لين رأسها وقد أحست بالمهانة لإنتظارها مكالمة من دافيد ، فقد قال لها أنه سيتصل بها من لندن ... ويجب أن يتصل بها ... وقالت تحدث نفسها : «أنت مجنونة ... مجنونة» .

وصلصل جرس التليفون فى هذه اللحظة فأخذت نفساً عميقاً وأسرعت إلى البهو ورفعت السماعة .

وأحست بصدمة غريبة عندما جاءها صوت العمة كاتى عبر أسلاك التليفون :

- لين ؟ ... أهذه أنت ؟ ... أوه ... اننى مسرورة جداً ... أخشى أن يكون الأمر قد اختلط على بخصوص اجتماع الجمعية .

واستطرد الصوت الرفيع المرتعش فى الحديث وأصغت لين ثم تمتمت ببعض الكلمات المطمئنة وشكرتها كاتى أخيراً وأنهت المكالمة قائلة :-

اننى أشعر الآن بارتياح كبير يا عزيزتى لين .

انك ظريفة دائماً وعملية ، والحق اننى لا أستطيع أن أتصور كيف اخلط بين الأمور هكذا .

واستطردت العمة تقول :- ولكننى أقول أن كل شئ لم يعد على ما يرام هذه الأيام، فإن التليفون معطل ، واضطررت أن أخرج لكى أتكلم من كشك عمومى ، ولكننى عندما بلغت الكشك لم أجد معى قطعة من ذات البنسين . لم يكن معى غير أنصاف البنسات وكان على أن أطلب من بعض المارة .

وانتهت المكالمة أخيراً وأعادت لين السماعة مكانها وعادت إلى غرفة المعيشة .

وسألتها أديلا مارشمونت على الفور :

- من الذى تكلم ؟

أجابت لين فى هدوء :- العمة كاتى .

- وماذا كانت تريد ؟

- أوه ... احدى مشاكلها العادية .

وجلست لين وبيدها كتاب وراحت تنظر إلى الساعة ... نعم ... كان الوقت لا يزال مبكراً ولا يمكن أن تأتيها المكالمة قبل وقت آخر . وبعد أن تجاوزت الساعة الحادية عشرة بخمس دقائق صلصل جرس التليفون من جديد ، فمضت إليه فى بطء ، ولم تتوقع أن تكون المكالمة منه ... ولم تكن تشك فى أنها العمة كاتى من جديد .

ولكن لم تكن المكالمة من العمة كاتى ... سمعت من يقول لها : «وارمسلى فيل رقم ٣٤ ؟ ... هل تستطيع مس لين مارشمونت أن تأخذ مكالمة من لندن» .

وخفق قلبها بشدة وقالت :- أنا لين مارشمونت .

- انتظرى لحظة من فضلك .

وأعادت السماعة وعادت إلى غرفة المعيشة . ودق الجرس للمرة الثانية فأسرعت إلى التليفون .

وفجأة سمعت صوت دافيد يقول :- لين ، أهذه أنت ؟

- دافيد .

- اسمعى يا لين ... أظن أن من الأوفق أن أغادر المكان .

- ماذا تعنى ؟

- أعنى أن من الأوفق أن أغادر انجلترا . ان الأمر من السهولة بمكان وان ادعيت غير ذلك لروزالين فلم أكن أريد مغادرة وارمسلى فيل ... ولكن ما الجدوى من كل هذا ... وأنا وأنت لا يمكن أن نتوافق أبداً ، فأنت فتاة رقيقة أما أنا فلص محتال ، وكنت كذلك دائماً ... ولا تشبعى غرورك فتقولين أننى سأستقيم من أجلك ... من الجائز أن أستقيم ولكن زواجنا لن ينفع ... كلا . من الأوفق أن تتزوجى ذلك السمج رولى فلن تعرفى معه معنى القلق أبداً . أما معى أنا فستكون حياتك جحيماً لا يطاق .

وقفت مكانها والسماعة فى يدها لا تستطيع النطق .

- لين ... أما زلت معى ؟

- نعم .

- ألا تقولين شيئاً ؟
- وماذا يمكن أن أقول ؟
- لين ؟
- حسناً ؟

ومن الغريب أنها استطاعت أن تشعر بمدى انفعاله واضطرابه على الرغم من بعد الشقة بينهما . وانفجر فجأة قائلاً :

- أوه ... فليذهب كل شئ إلى الجحيم .

وأعاد السماعة مكانها :

وأتت مسز مارشمونت فى هذه اللحظة من غرفة المعيشة وقالت :- من الذى يتكلم؟

أجابت لين :- النمرة غلط ...

وصعدت السلم مسرعة إلى غرفتها .



وفى صباح يوم الأربعاء وقفت جلاديس بباب الغرفة رقم ٥ ، كما هى العادة وهى تصيح «الساعة الثامنة والربع يا سيدى» وألقت الصينية فوق الحصيرة فى شئ من العنف بحيث انسكب بعض اللبن من القدح ثم هبطت لكى تقوم بواجباتها الاخرى .

وكانت الساعة العاشرة عندما رأت أن الصينية لا تزال فى موضعها أمام باب الغرفة رقم ٥ فطرقت الباب بضع مرات فى قوة وإذ لم تسمع رداً فتحته ودخلت . ولم يكن النزيل رقم ٥ من هذا النوع من الرجال الذين يستغرقون فى النوم . وقد تذكرت أن هناك سطحاً مناسباً خارج النافذة وأن من الجائز أن يكون الرجل قد غادر الغرفة من هذه الناحية متهرباً من سداد حسابه .

ولكن الرجل الذى سجل اسمه على أنه اينوك آردن لم يهرب ، فقد كان ملقى على وجهه فى وسط الغرفة . ولم تشك جلاديس ، على الرغم من عدم درايتها بالطب ، فى انه مات . وطوحت برأسها إلى الخلف على الفور وهى تطلق صيحة مدوية ثم

أسرعت خارج الغرفة وهبطت الدرج وهى لا تزال تصرخ .

- أوه ... مس لبينكون ... مس ليبنكوت ... أوه ...

وكانت بياتريس ليبنكوت فى غرفتها الخاصة ، يقوم الدكتور ليونيل كلود بتضميد يدها على أثر جرح أصيبت به . وأفلت الدكتور الرباط من يده والتفت إلى الفتاة التى اندفعت داخل الغرفة .

- انه ذلك السيد بالغرفة رقم ٥ ... انه ملقى على الأرض وقد فارق الحياة .

حدق الطبيب فى الفتاة ثم تحول إلى مس ليبنكوت . وحدقت هذه الأخيرة فى جلاديس ثم تحولت إلى الطبيب .

وأخيراً قال الدكتور ليونيل متشككاً :- هراء .

فقالت جلاديس :- انه ميت ...

وأردفت تقول فى شئ من الارتياع :- انه مهشم الرأس .

نظر الدكتور ليونيل إلى مس ليبنكوت وقال :- لعل من الأوفق أن ...

- نعم ، أرجوك يا دكتور كلود . ولكن الواقع انتى لا أعتقد ... ان الأمر محال ...

وصعدا السلم تتقدمهما جلاديس . وألقى الدكتور كلود نظرة واحدة ثم انحنى فوق الرجل الميت .

ونظر إلى بياتريس وقد تغيرت ملامحه وقال فى لهجة جافة حازمة .

- من الأوفق أن تتصلى برجال البوليس تليفونياً . خرجت مس ليبنكوت تتبعها جلاديس . وقالت هذه الأخيرة هامسة :- أوه مس ... هل تظنين أنها جريمة قتل ؟

مرت بياتريس بيدها المضطربة على باروكتها وقالت فى حدة :- امسكى لسانك يا جلاديس . إذا وصفت شيئاً بأنه جريمة قتل قبل أن تتأكد ى من أن الأمر كذلك فان ذلك يعتبر طعناً ويمكن مقاضاتك لهذا السبب وفيه دعاية سيئة للحانة .

واردفت تقول فى رفق :- يمكنك أن تذهبى وتعدى لنفسك قدحاً من الشاى ، فاننى أرى انك بحاجة اليه .

- هذا صحيح يا مس ... اننى شديدة الاضطراب . وسأحضر اليك قدحاً انت أيضاً .

ولم ترفض مس ليبنكوت .



نظر المفتش سبنس فى تفكير إلى بياتريس ليبنكوت ، وكانت تجلس أمامه متوترة الشفتين ، وقال :

- أشكرك يا مس ليبنكوت . هل هذا كل ما تذكرين ؟ سأنقل أقوالك على الآلة الكاتبة لكى تقرئيها ثم توقعى عليها بعد ذلك .

- أوه ، أرجو ألا أضطر إلى الإدلاء بشهادتى فى المحكمة .

ابتسم المفتش يحاول تهدئتها وقال كاذباً :- نرجو ألا نضطر إلى ذلك .

أوحت بياتريس فى رجاء :- ربما يكون قد انتحر . لم يشأ سبنس أن يقول لها أن الإنسان لا ينتحر بأحداث فجوة فى مؤخرة رأسه بملقطين من الملاقط الحديدية التى تستعمل فى تحريك النار ، ولكنه بدلاً من ذلك اجابها يقول فى نفس اللهجة الهادئة :-

- لا يجب أن نقفز إلى الاستنتاجات . شكراً لك يا مس ليبنكوت ... أشكرك للأدلاء بأقوالك هذه هكذا سريعاً .

نظر المفتش إلى المائدة التى أمامه . كانت هناك ساعة يد تحطم زجاجها ، وقداحة صغيرة من الذهب عليها الحرفان الأولان من اسم صاحبها ، وأصبع أحمر للشفاه فى قاعدة من الذهب ، وملقطين ثقيلين تلوث رأس كل منهما بطبقة من الصدأ الأسمر .

فتح السرجنت جريفس الباب ، وقال أن مستر رولى كلود ينتظر فهز سبنس رأسه ، وأدخل السرجنت رولى .

كان المفتش يعرف رولى كلود كما كان يعرف بياتريس ليبنكوت . وإذا كان رولى قد أتى من تلقاء نفسه إلى قسم البوليس فذلك لأن لديه شيئاً يريد أن يدلى به ، ولأن هذا الشئ لابد أن يكون على جانب من الأهمية ويستحق أن يستمع إليه ، ومن ناحية

أخرى فان رولى كان من ذلك النوع المتروى الذى لا يحب أن يدفعه أحد وعليه أن يأخذه بالصبر والاناة إذا أراد أن يعرف ماذا أتى به .

- صباح الخير يا مستر كلود . يسرنى أن أراك . هل يمكن أن تلقى ضوءاً ما على هذه الجريمة ... أعنى ذلك الرجل الذى قتل فى الحانة .

ودهش سبنس إذ رأى رولى يسأله قائلاً فى إيجاز : هل عرفتم شخصية القتيل ؟ وأجابه فى بطء :- كلا . لا أظن ذلك ، ولكنه سجل اسمه فى سجل الحانة على أنه اينوك آردن ، ولم يكن معه أى شئ يثبت انه اينوك آردن حقاً .

عبس رولى وقال :- أليس هذا غريباً ؟

كان الأمر غريباً حقاً ولكن المفتش سبنس لم يكن ينوى المناقشة فى هذه النقطة ، واكتفى بأن قال فى هدوء :-

- اصغ إلى يا مستر كلود ... أنا الذى ألقى الاسئلة . انك ذهبت لزيارة القتيل فى الليلة الماضية ، فلماذا ؟

- هل تعرف بياتريس ليبنكوت أيها المفتش ؟ ... صاحبة الحانة ؟

- نعم طبعاً . وقد سمعت قصتها ... فقد جاءتنى منذ لحظات وروتها لى من تلقاء نفسها .

بدا الارتياح على رولى وقال :- حسناً . كنت أخشى أنها قد لا تريد أن تزج بنفسها فى شأن من شئون البوليس ، فان أصحاب الحانات يخشون الدعاية السيئة ... حسناً ، لقد روت بياتريس الحديث الذى سمعته ، وبدت لى قصتها بعيدة التصديق ... ولا أدرى إذا كان هذا هو رأيك أم لا ... ولكن حسناً ... اعنى أن هذه القصة تخصنا جميعاً .

وأردف :- لا أظن أننى بحاجة لكى أشرح لك أيها المفتش أنه إذا كان الزوج الأول لمسز كلود لا يزال على قيد الحياة . فان هذا يعنى أن الأمر يصبح شديد الاختلاف بالنسبة لنا كأسرة ، فان قصة بياتريس كانت أول تصريح بأن مثل هذا الأمر ممكن أن يكون . لم أحلم أبداً بمثل هذا الامر كنت أظن أنها أرملة حقاً وأستطيع أن أقول أن هذا

النبأ قد هزنى تماماً ، ومضى بى وقت قبل أن أدرك معناه .

هز سبنس رأسه للمرة الثانية . أدرك أن رولى يجتر النبأ ويقلبه فى رأسه :

- كان أول ما خطر لى هو أن أفضل شئ هو أن أذهب إلى عمى ... أعنى المحامى.

- مستر جيريمى كلود ؟

- نعم . وقد ذهبت إليه ، وكانت الساعة بعد الثامنة وكانا لم يفرغا من تناول طعام العشاء فجلست فى غرفة مكتب جيريمى ، وانتظرت وأنا أقلب الأمر فى رأسى .

- حسناً ؟

- ورأيت آخر الأمر أنه يجب أن أقوم بشئ أنا بنفسى قبل أن أشرك عمى فى الموضوع فان المحامين كلهم سواسية أيها المفتش . يتسمون بالبطء الشديد والحرص المتناهى ، ويجب أن يكونوا متأكدين من الحقائق قبل أن يقدموا على أى شئ . والمعلومات التى جاءتنى جاءتنى بطريقة سرية ، وتساءلت إذا كان جيريمى يستطيع أن يتعرف مستنداً عليها ، وهكذا عقدت العزم على أن أذهب إلى الحانة وأن أرى ذلك الرجل بنفسى .

- وهل فعلت ؟

- نعم . ذهبت إلى الحانة .

- كم كانت الساعة ؟

فكر رولى ثم قال : دعنى أرى ... اننى ذهبت إلى جيريمى فى الثامنة والثلث تقريباً ... وبقيت هناك نحو خمس دقائق ... حسناً ، لست متأكداً يا سبنس ولكننى أظن أن الساعة كانت التاسعة إلا الثلث .

- حسناً يا مستر كلود ... وبعد ؟

- كنت أعرف اين غرفته ... وكانت بى قد ذكرت لى رقمها ... ولهذا ذهبت إليه وطرقت الباب ، واذن لى بالدخول فدخلت .

وأمسك رولى قبل أن يستطرد قائلاً :- وأظن أننى لم أحسن التصرف ، فقد كنت أعتقد وأنا ذاهب إليه أننى فى مركز القوى ولكن الرجل كان ذكياً فلم أفلح فى أن

أحمله على الاعتراف بشئ محدد . وظننت أنني سأخيفه إذا قلت له أن عمله هذا يعد تهديداً وابتزازاً للمال ولكن بدا على الطرب وسألني يمكن أن أكون أنا الآخر عميلاً بدوري فقلت له «لا يمكن أن تلعب لعبتك القذرة معي ، فليس لدى ما أخفيه ولكنه أجابني بأنه لم يعن ذلك وان الواقع أن لديه شيئاً يبيعه وهو يسألني إن كنت مشترياً له ، فقلت له «ماذا تعنى ؟» فأجاب «كم تدفع أنت والاسرة مجتمعة ثمناً للدليل الحاسم على أن روبيرت اندرهاى الذى يقال أنه مات فى أفريقيا مازال حياً يرزق ؟ فسألته «ولماذا تدفع شيئاً ما بحق الشيطان ؟ ... فضحك وقال : «لأن لدى عميلاً قادماً الليلة وسيدفع لى من غير شك مبلغاً جسيماً نظير الدليل الحاسم على أن روبيرت اندرهاى مات» وعندئذ ... عندئذ أظن أنني فقدت رشدى وقلت له أن أسرتى لم تتعود القيام بمثل هذا العمل القذر . وان اندرهاى إذا كان على قيد الحياة حقاً فان من السهل إثبات ذلك وهممت بالخروج على أثر ذلك ولكنه ضحك وقال فى لهجة غريبة: لا أظن انك تستطيع أن تثبت ذلك من غير مساعدتى» .

- وبعد ؟

- حسناً . إذا أردت الصراحة فقد عدت إلى البيت منزعجاً . أحسست بأننى أفسدت كل شئ وأنه كان من الأوفق أن أدع الأمر لجيريمى . فهو محام وقد تعود على معالجة مثل هذه الأمور مع أمثال هذا الرجل المخادع .

- متى كانت الساعة عندما غادرت الحانة ؟

- ليست لدى أية فكرة . انتظر لحظة . لا ريب انها كانت قبيل التاسعة لأننى سمعت المقدمة الموسيقية لنشرة الأخبار وأنا أجتاز المدينة .. من خلال إحدى النوافذ .

- هل قال لك آردن اسم العميل الذى كان ينتظره ؟

- كلا .افترضت أنه دافيد هنتر ... فمن يمكن أن يكون غيره ؟

- ألم يبد لك أنه كان يشعر بأى خوف من هذه الزيارة ؟

- أقول لك أن الرجل كان يبدو راضياً عن نفسه كما لو كان سيد العالم .

أشار سبنس إلى الملقطين الحديدين الثقيلين وقال :- هل رأيت هذين الملقطين بجوار الموقد ؟

- كلا ... لا أظن ذلك . لم تكن النار مشتعلة .

قال المفتش فى غير تحيز :- يقول التقرير الطبى أن القاتل ضربه على رأسه من الخلف من أسفل ، وأنه عاد فضربه بالملقطين من أعلى .

قال رولى فى تفكير :- كان واثقاً من نفسه بالطبع ، ولكن مهما يكن من أمر فما كنت لأولى ظهرى لرجل فى غرفتى أحاول ابتزاز أمواله خاصة إذا كان هذا الرجل قد اشترك فى الحرب . ان آردن هذا لم يكن رجلاً حريصاً أبداً .

قال المفتش فى برود :- لو أنه كان حريصاً لبقى على قيد الحياة .

وقال رولى متحمساً :- ليته كان كذلك . أما ونحن أمام الأمر الواقع فيبدو أننى أفسدت الامر ، فلو أننى لم أغضب وبقيت لأستطعت أن أحصل منه على ما يفيد . كان يجب أن أوافقه على أننا عملاء محتملين ، ولكن الأمر مضحك ... أعنى من نكون نحن لكى ندخل فى صراع مع روزالين ودافيد . أن المال كله معهما فى حين أننا لا نستطيع مجتمعين أن نجمع خمسمائة جنيه .

أخذ المفتش القداحة الذهبية وقال :- هل رأيت هذه من قبل ؟

عقد رولى ما بين حاجبيه وقال فى بطء :- نعم ، رأيتها فى مكان ما ولكننى لا أستطيع أن أتذكر أين كان ذلك منذ وقت قصير ... كلا ... لا أتذكر .

لم يضع سبنس القداحة فى يد رولى المبسوطة وإنما أعادها مكانها فوق المنضدة والتقط أحمر الشفاه وأخرج الأصبع من القاعدة وقال :

- وهذه ؟

ضحك رولى وقال :- الحق أن هذه لا تدخل فى إختصاصى .

حك سبنس الأصبع فى ظهر يده فى تفكير ثم نظر إلى يده فاحصاً وقال :

- انه من النوع الذى تستعمله النساء السمر .

قال رولى :- أنكم تعرفون أشياء غريبة أنتم معشر رجال البوليس .

ونهض واقفاً وأردف :- ألا تعرف ... ألا تعرف حقاً شخصية القتيل ؟

- ألديك أنت نفسك فكرة عن ذلك يا مستر كلود ؟

قال رولى في بطء :- كلا ... وإنما ألقيت سؤالى هذا لأن الرجل كان المفتاح

الوحيد الذى يقودنا إلى أندرهاى ... أما الآن وقد مات ... حسناً ، ان البحث عن اندرهاى الآن أصبح كالبحث عن ابرة فى كومة من القش .

قال سبنس :- ستتكلم الجرائد عن هذه الجريمة كثيراً ، وإذا كان اندرهاى لا يزال على قيد الحياة فسينتهى به الأمر إلى أن يعرف ذلك ... ومن الجائز عندئذ أن يتقدم ...

قال رولى فى ارتياب :- نعم من الجائز .

- ولكنك لا تعتقد ذلك .

قال رولى كلود :- أظن أن دافيد هنتر قد كسب الجولة الأولى .

وبعد أن انصرف رولى التقط سبنس القداحة الذهبية ونظر إلى الحرفين المحفورين عليها د . هـ . وقال مخاطباً السرجنت جريفس :

- قداحة ثمينة . من السهل أن نتحرى عن صاحبها ... سل جريتوريكس أو أصحاب محال المجوهرات فى شارع بوند .

- سمعاً وطاعة يا سيدى .

ونظر المفتش إلى الساعة ... كان زجاجها قد تهشم ، وكانت العقارب تشير إلى الساعة التاسعة والدقيقة العاشرة . ونظر إلى السرجنت وسأل :

هل جاء التقرير الخاص بهذه ؟

- نعم يا سيدى ... الزنبرك مكسور .

- والعقارب ؟

- سليمة يا سيدى .

- ما رأيك يا جريفس ؟ ... هل تدلنا هذه الساعة على شئ ؟

تمتم جريفس فى إعياء :- يبدو أنها تحدد الساعة التى وقعت فيها الجريمة .

قال سبنس :- آه . عندما تقضى فى إدارة الشرطة مدة كبيرة مثلى فستتردد كثيراً قبل أن تقبل الساعة المهشمة كدليل إثبات . قد يكون دليلاً حاسماً ولكنها خدعة معروفة ... ما على القاتل إلا أن يدير العقربين ويشير إلى الساعة التى تناسبه ثم يحطمها بعد ذلك وبهذا يقدم دليلاً قاطعاً على أنه لم يرتكب الجريمة . اننى لست

متأكداً تماماً من ساعة الجريمة ، ولكن التقرير الطبى يقول أنها وقعت فيما بين الساعة الثامنة مساء والحادية عشرة مساء .

تنحنح السرجنت جريفس وقال :- يقول ادوارد البستانى الثانى بفيروبانك أنه رأى دافيد هنتر يخرج من الباب الجانبى فى نحو الساعة السابعة والنصف . ولم يكن الخدم يعرفون أنه موجود هنا . كانوا يعتقدون أنه فى لندن مع مسز جوردون كلود .

قال سبنس :- يهمنى أن أسمع بيان هنتر عن حركاته وسكناته .

قال جريفس وهو ينظر إلى الحرفين المنقوشين على القداحة : يبدو أنها قضية واضحة يا سيدى .

قال المفتش :- آه ... وعلينا أن نعمل حساباً لهذا أيضاً .

وأشار إلى أحمر الشفاه فقال السرجنت :- انه تدحرج تحت المكتب يا سيدى ، ومن الجائز انه كان موجوداً فى مكانه منذ مدة طويلة .

قال سبنس :- اننى تحريت هذا الأمر ... وآخر مرة نزلت امرأة بهذه الغرفة كانت منذ ثلاثة أسابيع . وأعرف أن الخدمة ليست ممتازة فى أيامنا هذه ولكننى أعتقد أن الخدم كنسوا تحت المكتب ولو مرة واحدة خلال هذه الأسابيع ... أن الحانة نظيفة ومرتبة .

- ليس هناك ما يدل على أن هناك امرأة مشتركة فى قتل آردن .

قال المفتش :- أعرف ذلك . ولهذا السبب أقول أن أحمر الشفاه هو ما نصطلح على تسميته بالكمية المجهولة .



١٧

ألقى المفتش سبنس نظرة على مبنى شبرد بحى مايفير قبل أن يدفع بابه الفخم ويدخل . كان البيت مشيداً بجوار سوق شيبرد ، وكان يدل على أن ساكنيه من الأثرياء وعلية القوم .

وغاصت قدماه فى سجاد ناعم سميك . ورأى أمامه أريكة من المخمل وحوضاً مملوءاً بالزهور والنباتات ، ومصعداً أوتوماتيكياً صغيراً بجوار سلم . ورأى على يمينه باباً عليه لافتة تقول أنه «المكتب» فدفعه ودخل فإذا به فى غرفة صغيرة بها مكتب كبير

بجواره منضدة عليها آلة كاتبة .

ورأى جرساً على المكتب الماهوجينى فضغط عليه . وإذ لم يحدث شئ ضغط عليه للمرة الثانية . وبعد نحو دقيقة فتح باب فى آخر البهو وظهر منه رجل متألق يرتدى زياً خاصاً .

- نعم يا سيدى ؟

- مسز جوردون كلود ؟

- الطابق الثالث ياسيدى . هل اتصل بها بالتليفون وأخبرها بقدومك .

سأله سبنس :- أهى فى مسكنها ؟ كنت أحسب أنها فى الريف .

- كلا يا سيدى . انها جاءت منذ يوم السبت الماضى .

- ومستر دافيد هنتر ؟

- انه موجود هنا هو الآخر .

- ألم يتغيب ؟

- كلا ياسيدى .

- هل قضى الليل هنا ؟

قال المشير وقد تملكه الحنق فجأة :- ولكن ... ما معنى كل هذا ... هل تريد أن تعرف تاريخ حياة كل شخص هنا ؟

ومن غير أن ينطق ، اخرج سبنس البطاقة التى تدل على أنه من رجال البوليس وتبخرت وقاحة المشير على الفور وقبل التعاون قائلاً .

- اننى آسف . لم أكن أعلم .

- هل قضى مستر هنتر الليلة الماضية هنا ؟

- نعم يا سيدى . أو أظن هذا على الأقل ، فهو لم يذكر أنه ينوى قضاء الليل بالخارج .

- هل يمكن أن تعرف إذا كان قد خرج ؟

- إذا أردنا التعميم فلا ... لا أعرف . ان الناس عادة يقولون لى إذا كانوا ينوون

المبيت خارج مساكنهم ويذكرون لى ما يجب أن أفعل برسائلهم أو بماذا أرد على من يسأل عنهم .

- وبقدر ما تعرف قضت مسز كلود وأخوها الليلة الماضية هنا ؟

- نعم يا سيدى .

- وماذا عن الطعام ؟

- هناك مطعم ، ولكن مسز كلود ومستر هنتر يتناولان طعامهما فيه نادراً .منهما يخرجان لتناول عشائهما فى الخارج فى العادة .

- وطعام الإفطار ؟

- انه يقدم لهما فى مسكنهما .

- هل يمكن أن نعرف إذا كان طعام الافطار قد قدم اليهما صباح اليوم ؟

- نعم يا سيدى . استطيع أن أسأل غرفة الخدمات .

هز سبنس رأسه وقال :- اننى صاعد اليهما الآن . وأريد أن أعرف ذلك عندما أهبط .

- حسناً جداً يا سيدى .

دخل سبنس المصعد وضغط على مفتاح الطابق الثالث . وكانت هناك شقتان بكل طابق فضغط سبنس على زر الشقة رقم ٩ ففتح له دافيد ، ولم يكن يعرف المفتش شخصياً فبادره يقول فى خشونة :

- حسناً . ماذا تريد ؟

- مستر هنتر ؟

- نعم .

- المفتش سبنس من شرطة أوتشاير . هل أستطيع أن أتحدث إليك ؟

- معذرة أيها المفتش . حسبتك سمساراً تحاول أن تبيع شيئاً . تفضل .

وتقدمه إلى غرفة صغيرة جميلة الرياش . وكانت روزالين واقفة أمام النافذة ، تولى ظهرها للباب .

وقال دافيد :

- المفتش سبنس يا روزالين . تفضل بالجلوس أيها المفتش ؟ ... هل تريد شراباً .

- كلا . شكراً لك يا مستر هنتر .

أحنت روزالين رأسها فى رشاقة ثم جلست وظهرها إلى النافذة وقد عقدت يديها على حجرها وقال دافيد وهو يقدم السجائر :

- هل تدخن ؟

- شكراً .

أخذ سبنس سيجارة وانتظر ... وراقب دافيد وهو يدس يداً فى أحد جيوبه ثم يخرجها عابساً وينظر حوله ثم يلتقط علبة ثقاب أخذ عوداً منها وأشعل سيجارة المفتش ثم قال فى هدوء :

- حسناً . ماذا حدث فى وارمسلى فيل ؟ ... هل تتعامل طاهيتنا مع السوق السوداء ، انها تزورنا بأنواع مدهشة من الطعام ، وطالما تساءلت إذا لم يكن هناك شيئاً مشبوهاً خلف ذلك .

أجاب المفتش :- ان الأمر أكثر خطورة من ذلك ، فقد مات رجل فى حانة «الستاج» ليلة الأمس ، ولعلك قرأت ذلك فى الجرائد .

هز دافيد رأسه وقال :- كلا . لم ألحظ ذلك ... من هو ؟

- انه لم يمت فحسب وإنما قتل ... والواقع أن رأسه تهشمت .

أفلتت من بين شفتى روزالين صيحة ذعر وأسرع دافيد يقول :- لا تدخل فى أية تفاصيل من فضلك أيها المفتش ، فان أختى رقيقة ، ولا حيلة لها فى ذلك . وإذا تعرضت فى حديثك للدم والقتل أمامها فسيغمى عليها من غير شك .

- أوه ، اننى آسف . ولكن ليس هناك أى حديث عن الدم ، على الرغم من أن فى الأمر جريمة قتل .

وأمسك . واتسعت عينا دافيد وقال فى رفق :-

- انك تثير إهتمامى . وما شأننا نحن ؟

- كنا نظن أنك قد تستطيع أن تدلى إلينا ببعض المعلومات عن هذا الرجل يا مستر هنتر فانك ذهبت لزيارته مساء يوم السبت الماضى ، واسمه ... أو الأسم الذى كتبه فى سجل الفندق هو «اينوك آردن» .

- نعم ، طبعاً ... اننى أتذكر الآن .

وكان دافيد قد تكلم فى هدوء وبدون أى إرتباك . وقال المفتش :-

- حسناً يا مستر هنتر .

- أخشى أننى لا أستطيع أن أقدم لك أية مساعدة أيها المفتش ، فأنا لا أعرف شيئاً تقريباً عن ذلك الرجل .

- هل اسمه اينوك آردن حقاً ؟

- اننى أشك فى ذلك كثيراً .

- لماذا ذهبت لزيارته ؟

- القصة القديمة العادية ... ذكر لى بعض الأماكن وبعض المواقع الحربية وكذلك بعض المعارف .

وهز دافيد كتفيه واستطرد :- مجرد معلومات يعرفها كل شخص .

- هل أعطيته أية نقود يا سيدى ؟

كانت هناك سكتة قصيرة ثم قال دافيد :- خمسة جنيهات لا غير ... لكى تجلب له الحظ ... انه اشترك فى الحرب على كل حال .

- هل ذكر أسماء معينة ... لبعض معارفك ؟

- نعـم .

- هل كان بين هذه الأسماء اسم الكابتن روبيرت أندرهاى ؟

ووقع التأثير الذى كان ينتظره أخيراً ، فقد توترت أعصاب دافيد .

وصاحت روزالين صيحة خافتة مذعورة . وقال دافيد أخيراً وعيناه تومضان ببريق غريب .

- ما الذى يحملك على هذا الاعتقاد أيها المفتش ؟

أجاب المفتش :- جاءتنا معلومات تفيد ذلك .

ساد صمت قصير . كان المفتش يعلم ان عينا دافيد تراقبانه وتتفحصانه وتقيمانه . وانتظر هو نفسه فى هدوء . وقال دافيد أخيراً :

- هل تعرف من هو روبيرت أندرهاى أيها المفتش ؟

- هلا أخبرتنى أنت من هو ؟

- كان روبيرت اندرهاى الزوج الأول لأختى ، وقد مات فى أفريقيا من سنوات .

سأله سبنس على عجل :- هل أنت واثق من هذا يا مستر دافيد ؟

- كل الثقــة .

وتحول إلى روزالين وسألها : أليس كذلك يا روزالين ؟

أسرعت ترد لاهثة :- أوه ، نعم . لقد مات روبيرت من الحمى ... حمى البول الأسود ... وهى نهاية محزنة جداً .

- أحياناً ما تكون الأنباء غير صحيحة يا مسز كلود .

لم تنطق . ولم تنظر إليه وإنما إلى أخيها ثم قالت بعد لحظة:- إن روبيرت قد مات.

قال المفتش :- طبقاً للأنباء التى لدى أن هذا الرجل اينوك آردن ادعى أنه صديق قديم للفقيد روبيرت اندرهاى وانه أخبرك فى نفس الوقت أن روبيرت اندرهاى هذا ما مازال على قيد الحياة .

هز دافيد رأسه وقال :- هراء ... هراء تماماً .

- هل تؤكد أن أسم روبيرت اندرهاى لم يذكر فى الحديث الذى دار بينكما .

ابتسم دافيد وقال :- بل جاء ذكره أيها المفتش فان ذلك الرجل المسكين كان يعرف اندرهاى .

- ألم يكن الأمر يتعلق بأى تهديد يا مستر هنتر ؟

- تهديد ؟ ... اننى لا أفهمك أيها المفتش .

- حقاً يا مستر هنتر ؟ ... وبهذه المناسبة . وكسؤال روتينى ، أين كنت فى الليلة الماضية ، فيما بين الساعة السابعة والحادية عشرة .

- لنفرض أننى أرفض أن أقول لك ذلك أيها المفتش .

- أليس هذا تصرفاً صبيانياً منك يا مستر هنتر ؟

- لاأظن ذلك انني أكره وطالما كرهت أن يدفعنى أحد .

أعتقد أن هذا جائز حقاً ، فقد عرف شهوداً على غرار دافيد هنتر ... شهوداً يعرقلون سير التحقيق لا لشئ إلا لكى يعرقلوه ، لا لأن هناك شيئاً يريدون إخفاءه . كانت مجرد حقيقة استجوابهم عن حركاتهم وسكناتهم تثير شيئاً من الكبرياء والغضب فى نفوسهم ، وكانوا يحاولون ، بسبب ذلك عرقلة التحقيق بقدر ما يستطيعون .

وعلى الرغم من أن المفتش سبنس كان يعتقد انه غير متحيز فقد أقبل إلى عمارة شيبرد وهو يعتقد إعتقاداً جازماً بأن دافيد هنتر قاتل .

ولكنه لم يعد واثقاً من ذلك الآن ، فان تحدى دافيد الصبيانى أثار شكوكه . ونظر سبنس إلى روزالين كلود فقالت على الفور :

- لماذا لا تجيب يا دافيد ؟

- الواقع يا مسز كلود اننا نريد استجلاء الامور فقط و ...

قاطعه دافيد فى حدة :- دع اختى وشأنها ...

هل تسمع ؟ ما شأنك انت سواء كنت فى وارمسلى فيل أو فى تمبكتو .

قال سبنس محذراً : سوف نستدعيك للتحقيق يا مستر هنتر ، وستضطر عندئذ أن ترد على أسئلتنا .

- سأنتظر التحقيق إذن ... هل لك أن تنصرف الآن أيها المفتش ؟

- حسناً جداً يا سيدى .

ونهض المفتش وهو رابط الجأش وقال :- ولكننى أريد أن ألقى سؤالاً على مسز كلود أولاً .

- لا أريدك أن تزعج أختى .

- حسناً . ولكننى أريدها أن ترى الجثة وان تخبرنى إذا كانت تستطيع التعرف عليها . اننى لا أتجاوز حدودى فى طلبى هذا ، وسوف يتم هذا ان عاجلاً وإن آجلاً

فلماذا لا تدعها ترافقنى الآن ونفرغ من هذا الاجراء . لقد سمع بعضهم الفقيد يقول انه عرف روبيرت اندرهاى . ولعله كان يعرف مسز اندرهاى كذلك، واذا صح هذا فمن الجائز ان تعرفه مسز اندرهاى . واذا لم يكن اسمه اينوك آردن فيهمنى ان نعرف اسمه الحقيقى طبعاً .

وعلى غير انتظار نهضت روزالين كلود وقالت :- سأذهب معك .

توقع سبنس اعتراضاً من دافيد ولكن لدهشته اكتفى هذا الأخير بأن قال مزمجراً :

- حسناً ياروزالين . الحق اننى اعترف بأن الفضول يدفعنى أنا الآخر . ومهما يكن فقد تستطيعين معرفة هذا الرجل .

خاطبها سبنس قائلاً :- ألم تريه انت نفسك فى وارمسلى فيل ؟

هزت رأسها وأجابت :- اننى فى لندن منذ يوم السبت الماضى .

- فى حين أقبل آردن فى مساء يوم الجمعة ... نعم .

سألته روزالين قائلة :- هل تريد أن أرافقك الآن ؟

ألقت سؤالها فى خضوع طفلة صغيرة . وذهل المفتش سبنس على الرغم منه فقد كان فيها سهولة انقياد وطاعة لم يتوقعهما منها وقال :

- يكون هذا جميلاً منك يا مسز كلود ، فكلما فرغنا من هذه المسألة بأسرع ما يمكن كان هذا أفضل ... ولكننى لم آت معى بسيارة البوليس .

مضى دافيد إلى التليفون وهو يقول :- سأتصل بمكتب سيارات الاجرة . وأرجو أن تقوم أنت بسداد الاجرة لأن هذا يدخل فى نطاق القانون .

- أظن أن من الممكن تدبير ذلك يا مستر هنتر .

ونهض واقفاً وقال :- سأنتظركما فى البهو .

وهبط فى المصعد ، ودفع باب المكتب ، وكان المشير فى إنتظاره فسأله :

- حسناً ؟

ان حالة الفراشين كانت تدل على انهما قضيا الليل هنا يا سيدى ، وقد استخدما الحمام والمناشف كما قدم إليهما الفطور فى الساعة التاسعة والنصف ؟

- ولا تعرف فى أية ساعة عاد مستر هنتر ليلة الأمس ؟

أخشى أننى لا أستطيع أن أقول لك أكثر من هذا ياسيدى .

لم يجد سبنس بدا من أن يكتفى بما سمع ، وراح يتساءل إذا كان هناك شئ خلف رفض دافيد للحديث غير التحدى الصبيانى ... لم يكن هناك أى شك فى انه كان يعلم أن الشبهات تحوم حوله وأنه كلما أسرع فى سرد قصته كان هذا أفضل ، وانه لا خير أبداً فى عرقلة سير التحقيق ، ولكن لم يكن هناك شك كذلك فى أن عرقلة سير التحقيق كانت من الأمور التى تروق لدافيد هنتر .

ولم يتبادلوا أثناء الطريق غير كلمات قلائل . وعندما بلغوا المشرحة كانت روزالين شاحبة اللون ، وكانت يداها ترتعشان . وقلق دافيد عليها وراح يخاطبها ويحنو عليها كما يحنو الرجل على طفل فى المهد .

وقال :

- لن يستغرق الأمر أكثر من دقيقة أو دقيقتين يا عزيزتى . ان الأمر بسيط فلا تقلقى ستدخلين مع المفتش ، اما أنا فسأنتظرك هنا . لا تنزعجى ... سيبدو كما لو كان يغط فى نومه .

أومأت برأسها إيماءة صغيرة ، وتبعت المفتش وهى تقول :- لا ريب أنك تظن اننى جبانة أيها المفتش ، ولكننى مازلت أفكر فى تلك الغارة ... ان كل من كان فى البيت فيما عداى أنا ...

قال فى رفق :- اننى أفهمك يا مسز كلود ... اعرف انك قضيت ساعات عصيبة فى تلك الليلة التى قتل فيها زوجك ... ولكن لن يستغرق الأمر أكثر من دقيقة أو دقيقتين .

وبإشارة من سبنس رفع الموظف الملاءة ، ووقفت روزالين تنظر إلى الرجل الذى أطلق على نفسه اسم اينوك آردن . وكان سبنس واقفاً بجوارها يراقبها فى دقة . ونظرت إلى الرجل المسجى فى فضول ولم تصدر منها أية اشارة أو أى دليل على الانفعال أو على أنها عرفته وإنما وقفت تنظر إليه فى استفهام . وفجأة ، وفى هدوء رسمت علامة

الصليب على صدرها وقالت :

- فليرحمه الله ... اننى لم أره أبداً ولا أعرف من هو .

وقال سبنس يحدث نفسه :- أما انها ممثلة قديرة واما انها تقول الحقيقة .

وفيما بعد اتصل سبنس برولى كلود وقال له :- اننى آتيت بالأرملة هنا ، وهى تجزم أنه ليس روبيرت اندرهاى وأنها لم تره قبل الآن . وهذه نقطة مفروغ منها ؟

ساد صمت قصير ثم قال رولى فى بطء :- مفروغ منها ؟

- أظن أن أية هيئة من المحلفين ستصدقها ، فليس هناك دليل يثبت العكس .

قال رولى :- نعم .

ثم أعاد السماعة عابساً والتقط دليل التليفون الخاص بمدينة لندن وراح يجرى بأصابعه على الأسماء التى تبدأ بحرف الـ (ب) ولم يلبث إن وجد ضالته .

القسم الثـانى

١

طوى هركيول بوارو آخر الجرائد التى أتاه بها چورج . كانت الأخبار التى جاءت بها واهية . وقد أثبت التقرير الطبى أن الرأس تهشمت على أثر عدة ضربات من آلة ثقيلة وتأجلت جلسة التحقيق اسبوعين . ونشرت رجاء إلى كل من يعرف اينوك آردن الذى أقبل حديثاً من مدينة الكاب أن يدلى بمعلوماته إلى رئيس البوليس بمقاطعة أوتشاير

دفع بوارو الجرائد بعيداً عنه وغرق فى أفكاره . فقد أثارت الجريمة إهتمامه . وما كانت لتثير منه هذا الاهتمام لولا الزيارة الجريئة التى قامت بها مسز ليونيل كلود فقد أعادت إلى ذهنه ذلك الحديث الذى دار فى نادى كورونيش أثناء الغارة الجوية وتذكر بكل وضوح الكلمات التى ذكرها الميجور بورتر «لعل رجلاً يدعى مستر اينوك آردن يظهر فى مكان آخر يبعد بآلاف الأميال لكى يبدأ حياته من جديد» . وأحس الآن برغبة شديدة فى أن يعرف المزيد عن اينوك آردن الذى قتل بمثل هذه الوحشية فى وارمسلى فيل . وتذكر أنه يعرف المفتش سبنس بشرطة أوتشاير معرفة سطحية . وكان يفكر فى أن يكلمه فى التليفون عندما جاء چورج فى هذه اللحظة يقول له أن شخصاً يدعى رولى كلود يريد أن يراه . فقال فى شئ من الارتياح : - آه . دعه يدخل .

وبعد بضع لحظات دخل شاب وسيم يبدو عليه الارتباك ولا يدرى كيف يبدأ الحديث فساعده قائلاً :

- حسناً يا مستر كلود . ماذا أستطيع أن أؤدى لك ؟ وقال رولى أخيراً فى بطء:- أظن انه لابد لى من أن أقول لك من أنا فانى أخشى أن يكون اسمى غريباً عليك .

قاطعه بوارو قائلاً :- بل اننى أعرف اسمك جيداً فان عمتك جاءت لزيارتى فى الاسبوع الماضى .

وقف رولى فاغر الفم مشدوهاً : كان الخبر جديداً عليه ، وأقصى بوارو احساسه الأول بأن الزيارتين متصلتان ، وبدا له لمجرد لحظة أنها مصادفة غريبة أن يقصده شخصان من أسرة واحدة فى مثل هذه الفترة الوجيزة . ولكنه لم يلبث أن أدرك انه ليست هناك اية مصادفة وان الزيارتين لهما سبب واحد مشترك وقال فى صوت مسموع :

- أظن أن مسز ليونيل كلود عمتك .

اتسعت عينا رولى لفرط دهشته وقال :- العمة كاتى ... ولكن لماذا أتت اليك ؟

ولكن بوارو تنهد وقال :- انك أتيت لتطلب منى شيئاً ، فما هو ؟

عاد الارتباك فاستولى على الشاب وهو يقول :- انها قصة طويلة وأخشى ... كان جوردون كلود عمى و ...

قال بوارو فى رقة يوفر له المقدمات ويحثه على الحديث : انني أعرف كل شئ عن جوردون كلود .

- حسناً . لا حاجة بى إلى الشرح اذن . انه تزوج قبل موته باسبوعين ... بأرملة تدعى اندرهاى . ومنذ أن مات وهى تعيش فى وارمسلى فيل مع أخ لها . وكنا نظن جميعاً أن زوجها مات من الحمى فى افريقيا ، ولكن يبدو أن الأمر غير ذلك حقاً .

اعتدل بوارو فى جلسته وقال :- آه . وما الذى يحملك على هذا الظن ؟

حدثه رولى عن مجئ مستر اينوك آردن إلى وارمسلى فيل وعن نهايته المفجعة وعن الحديث الذى انهته اليه بياتريس ليبنكوت وأردف :

- ولا نعرف ماذا سمعت حقاً ، ومن الجائز انها بالغت بعض الشئ ... أو أنها أساءت الفهم .

- هل روت قصتها للبوليس ؟

هز رولى رأسه وقال :- اننى نصحتها بأن تفعل ذلك .

- ولكننى لا أرى ، ومعذرة إذ أقول ذلك ، لا أرى لماذا أتيتنى يا مستر كلود ؟ هل تريد أن أحقق فى جريمة القتل ؟ ... لاننى أعتقد أنها جريمة قتل .

صاح رولى :- أوه . كلا . لا أريد شيئاً من هذا فانه من اختصاص البوليس . كل ما أريده هو أن تعرف من كان هذا الرجل .

ضيق بوارو ما بين حاجبيه وقال :- من تظنه يا مستر كلود ؟

- حسناً ... أعنى أن اسمه ليس اينوك آردن . ان اينوك آردن اسم جاء ذكره فى إحدى القصائد كما تعرف ، وهو اسم لرجل عاد ليجد زوجته قد تزوجت بغيره .

وقال بوارو فى هدوء :- إذن فأنت تظن أن اينوك آردن هذا إنما هو روبيرت اندرهاى بنفسه ؟

- هذا جائز ، وقد استجوبت بياتريس أكثر من مرة طبعاً ولكنها لا تستطيع أن تتذكر الحديث الذى دار بينهما بالتدقيق . قال الرجل ان روبيرت اندرهاى انحدر إلى الهاوية وأن صحته سيئة وأنه بحاجة ماسة إلى المال ، فما أدرانا انه لم يكن يتكلم إلا عن نفسه . يبدو أنه أسر بشئ لدافيد هنتر يفهم منه أنه هو نفسه اندرهاى .

- وما هى الأدلة التى اتخذت فى التحقيق تدل على أنه هو اندرهاى ؟

هز رولى رأسه وقال :- أدلة غير قاطعة . قالت بياتريس ليبنكوت والخادمة التى تعمل لديها انه هو الرجل الذى أقبل وسجل اسمه على أنه هو اينوك آردن .

- وماذا بخصوص أوراقه ؟

- لم تكن معه أية أوراق .

قال بوارو فى دهشة :- ماذا ؟ ... لم تكن معه أية أوراق ؟

- لم يكن معه شئ ... لا شئ غير زوجين من الجوارب وقميص وفرشاة أسنان .

- ألم يكن معه جواز سفر أو رسائل ما أو حتى بطاقة تموين ؟

- لم يكن معه شئ على الإطلاق .

قال بوارو :- هذا أمر يثير الاهتمام .

واستطرد رولى يقول :- وقد اعترف دافيد هنتر ، وهو أخو روزالين بأنه ذهب لزيارته فى الليلة التالية لقدومه . وكانت قصته التى أدلى بها للبوليس أن الرجل أرسل إليه رسالة يقول له فيها أنه صديق روبيرت اندرهاى وأن هذا الأخير قد انحدر

إلى الهاوية وأن صحته سا ءت . وانه بايعاز من اخته ذهب إلى الحانة وأعطى الرجل خمسة جنيهات . هذه هى القصة التى ذكرها ويمكنك أن تثق انه لن يحيد عنها . ولم يذكر له البوليس طبعاً كلمة واحدة من قصة بياتريس .

- هل قال دافيد هنتر انه لم تكن له معرفة سابقة بهذا الرجل ؟

- هذا هو ما يدعيه . ومهما يكن فاننى أعتقد أن هنتر لم يسبق له رؤية اندرهاى.

- ماذا قالت روزالين گلود ؟

- عرض عليها رجال البوليس الجثة فقالت انها لرجل غريب عنها لا تعرفه .

قال بوارو :- حسناً ... ألا يضع هذا حداً لمشكلتك ؟

أجاب رولى متجهماً :- كلا . إذا كان القتيل هو اندرهاى حقاً فان روزالين لم تكن زوجة عمى قط ، ونتيجة لذلك لا يكون لها الحق فى مليم واحد من ثروته . هل تظن انها كانت ترضى أن تتعرف عليه فى مثل هذه الظروف ؟

- ألا تثق بها ؟

- اننى لا أثق بهما معاً .

- لا ريب أن هناك أشخاصاً كثيرين يمكنهم أن يقولوا إذا كان القتيل هو اندرهاى أم لا .

- ليس هذا بالأمر اليسير . وهذا هو ما أريدك أن تقوم به بالذات ... أن تجد شخصاً يكون قد عرف اندرهاى . يبدو انه ليس له أقارب فى انجلترا وأنه رجل غير إجتماعى لم يعاشر أحداً . ومع ذلك فلابد أن هناك أناساً عرفوه ، حتى وإن كانوا من الخدم ولكن اين نجد مثل هؤلاء الأشخاص بعد الحرب التى ... قلبت الدنيا رأساً على عقب . أنا نفسى لا أعرف كيف أبدأ أبحاثى . ومهما يكن من أمر فاننى لا أملك الوقت الكافى لذلك فأنا مزارع وافتقر إلى الأيدى العاملة .

- ولماذا تلجأ إلى ؟

بدا الارتباك على رولى ، وومضت عينا بوارو وقال فى صوت خافت :

- هل جئت إلى بتوصية من الأرواح ؟

صاح رولى مروعاً : أوه ، كلا ، سمعت بعضهم يتحدث عنك ويقول انك ساحر فى مثل هذه الأشياء لا أعرف شيئاً عن أتعابك ... وأظن أنها مرتفعة ... ونحن جميعاً مفلسون ، ولكننى أعتقد أننا نستطيع أن نجمع لك أتعابك مع ذلك إذا قبلت أن تقوم بهذا التحقيق طبعاً .

قال بوارو فى بطء : نعم ، أظن اننى أستطيع مساعدتكم .

وجرت ذاكرته إلى الماضى ... إلى نادى كورونيش وإلى الجرائد التى احتمى خلفها الأعضاء لكى يفلتوا من ثرثرة العجوز السمج ... ما أسمه ؟ ... انه لا يذكر اسمه الآن ولكن يمكنه أن يتقصى الأمر ويعرفه ... ولكن آه ... انه يتذكر ... ان اسمه بورتر ... الميجور بورتر .

نهض هركيول بوارو وقال :- هل يمكنك أن تعود بعد ظهر اليوم يا مستر كلود .

- الحق اننى لا أدرى : نعم ، أظن أنه يمكن أن أدبر أمرى ... ولكنك لن تستطيع أن تصل إلى أية نتيجة فى مثل هذه المدة الوجيزة .

ونظر إلى بوارو فى شئ من الرهبة وعدم التصديق ... وما كان بوارو ليكون من البشر لو أنه لم يتظاهر بالفخر والمباهاة فقد قال فى شئ من الوقار :

- إن لدى وسائلى الخاصة يا مستر كلود ؟

وكان واضحاً أن هذا ما كان يجب أن يقوله تماماً فقد نظر رولى إليه فى احترام بالغ وقال :

- نعم . طبعاً . لا أدرى كيف تصل إلى مثل هذه النتائج الباهرة .

- وبعد أن انصرف رولى جلس بوارو وكتب كلمة قصيرة أعطاها لجورج وطلب منه أن يذهب بها إلى نادى كورونيش وأن ينتظر الرد .

وكان الرد مرضياً جداً فان الميجور بورتر قال انه يرحب بمستر هركيول بوارو وانه يسعده أن ينتظره فى مسكنه برقم ٧٩ بشارع أوجواى بكامبدن هيل فى الساعة الخامسة من مساء اليوم .

* * *

أقبل رولى كلود فى الساعة الرابعة والنصف وقال :

- حسناً يا مستر بوارو ... ألديك أنباء طيبة ؟

- نعم يا مستر كلود ... سنذهب الآن لزيارة صديق قديم للكابتن روبيرت اندرهاى .

فغر رولى كلود فمه . وحدق فى بوارو مذهولاً . ذهول الطفل الصغير وهو يرى حاوياً يخرج أرنباً من قبعته . وقال :- ماذا ؟ هذا غريب لا أستطيع أن أصدق ... فى مثل هذا الوقت القصير .

واستمتع بوارو بذهوله ودهشته ولكنه لم يكشف له كيف قام بهذه اللعبة المدهشة .

وخرج الرجلان معاً وركبا سيارة اجرة إلى كامبدن هيل .

* * *

بسط بورتر يده إلى بوارو قائلاً :- لا أتذكر اننى التقيت بك يا مستر بوارو ؟ ... تقول فى النادى ؟ ... منذ سنتين ؟ ... اننى أعرفك بالاسم طبعاً .

قدم بوارو صديقه واستطرد الميجور يقول :- يسرنى أن أتعرف بك ... يؤسفنى اننى لا أستطيع أن أقدم لكما كأساً من الويسكى فان التاجر الذى يزودنى به فقد مخزنه أثناء الغارات ولكننى أستطيع أن أقدم لكما كأساً من البيرة .

وأخرج الميجور علبة سجائره وقدم سيجارة لبوارو وأشعلها له وهو يقول :

- اننى أعلم انك لا تدخن يا مستر رولى . لعلكما لا تمانعان فى أن أدخن الغليون .

وأشعل غليونه فى عناية فائقة ثم تحول إلينا قائلاً :- والآن ، ما الخبر ؟

وكان بوارو هو الذى أجاب :- لعلك قرأت فى الجرائد أن رجلاً قتل فى وارمسلى فيل .

هز بورتر رأسه وقال :- يجوز. ولكننى لا أتذكر .

- كان اسمه آردن ... اينوك آردن ... وقد وجد قتيلاً فى حانة «الستاج» ... تهشمت رأسه .

قطب بورتر جبينه وقال :- مهلاً ... نعم . أظن أننى قرأت شيئاً كهذا ... منذ بضعة أيام .

- نعم . ومعى صورة ... قطعتها من الجريدة ، وأخشى أن تكون غير واضحة . وكل ما نريد معرفته يا ميجور بورتر هو إذا كنت قد رأيت هذا الرجل من قبل .

وأخذ بورتر الصورة ونظر إليها عابساً ثم لبس نظارته وفحص الصورة عن كثب ، وما كاد يفعل حتى أجفل وصاح :- يا إلهى !

- هل تعرفه يا ميجور ؟

- طبعاً أعرفه ... انه اندرهاى ... روبيرت اندرهاى .

قال رولى وفى صوته رنة انتصار :- هل أنت واثق ؟

- طبعاً . انه هو روبيرت اندرهاى ، واننى لأقسم على هذا .



دق جرس التليفون فأسرعت لين اليه وسمعت صوت رولى يقول :- الو ... لين ؟ ماذا تفعلين ؟ ... اننى لم أرك منذ أيام .

- أوه ... العمل الروتينى المعروف ... أقضى الساعات الطويلة فى الصف فى انتظار السمك وأخرى فى انتظار الخبز .

- اننى أريد أن أراك فلدى أنباء لك .

أية أنباء ؟

ضحك وقال :- أنباء طيبة . سأنتظرك بجوار غابة رولاند ... اننى أقوم بالحرث هناك .

وعندما بلغت لين غابة رولاند ترك رولى الجرار وأسرع للقائها قائلاً :

- هالو لين !

- صباح الخير يا رولى ... انك تبدو مختلفاً فما الخبر ؟

ضحك وقال :- طبعاً ، فقد دارت عجلة الحظ يا لين .

- ماذا تعنى ؟

- هل تذكرين حديث العم جيريمى عن ذلك الرجل المدعو هركيول بوارو ؟

- هركيول بوارو ؟ ... نعم ... اننى أذكر هذا الاسم .

- كان ذلك منذ وقت طويل - أثناء الحرب ... كان يجلس فى قاعة نادى كورونيش ووقعت غارة جوية . وكان بوارو موجوداً هو الآخر .

قطبت لين حاجبيها وقالت :- انه مخبر سرى ، أليس كذلك ؟

- هو ذلك ، وقد خطر لنا أن الرجل الذى قتل فى حانة الستاج والذى ادعى ان اسمه اينوك آردن ما هو إلا روبيرت اندرهاى ، الزوج الاول لروزالين .

- يا لها من فكرة سخيفة ... لانه زعم ان اسمه اينوك آردن ...

- لم تكن فكرة سخيفة يا عزيزتى . لقد أخذ المفتش سبنس روزالين وعرض عليها الجثة فاقسمت بكل هدوء انه ليس زوجها .

- اذن فقد انتهى الأمر .

- لولاى لانتهى الأمر كما تقولين .

- لولاك ؟ ... ماذا فعلت ؟

- ذهبت إلى هركيول بوارو ، وقلت له اننى أبحث عن رجل يكون قد عرف روبيرت اندرهاى ... ان هذا الرجل لساحر حقاً فقد عثر على رجل كان صديقاً حميماً لاندرهاى اسمه بورتر .

وأمسك رولى وضحك من جديد ، وكان فى ضحكته رنة الانفعال التى أدهشت لين واستطرد يقول :

- واسمعينى جيداً الآن يا لين . اننى أقسمت للمفتش أن أكتم السر ، ولكننى أستطيع أن أقول لك ذلك ... ان القتيل هو روبيرت اندرهاى .

- ماذا ؟

وأرتدت لين خطوة إلى الوراء وحدقت فى رولى وقد شحب لونها وقال رولى :

- انه روبيرت اندرهاى نفسه . وبورتر على يقين من هذا .

واستطرد رولى يقول فى انفعال :- وبهذا ترين اننا ربحنا يا لين ... ربحنا وتغلبنا على هذين اللصين اللعينين .

- من تعنى ؟

- هنتر واخته ؟ ... لقد ضاعت منهما الثروة ، وليس لروزالين أى حق فى ثروة جوردون . انها عادت الينا فهى من نصيبنا نحن . ان الوصية التى كتبها جوردون قبل زواجه ما زالت نافذة المفعول وهو يوصى فيها بأن توزع ثروته علينا بالتساوى . سيكون نصيبى الربع لأنه إذا كان زوجها الأول حياً عندما تزوجت بجوردون فان زواجها بجوردون يصبح باطلاً من الناحية القانونية .

- هل أنت واثق ... هل أنت واثق مما تقول ؟

نظر إليها وقد أخذته الدهشة لموقفها وقال :- طبعاً . واثق . هذا أمر منطقى لقد أصبح كل شئ على ما يرام ، وكما كان يريد جوردون ... كل شئ على ما يرام تماماً كما لو أن هذين الشخصين العزيزين لم يكن لهما وجود إطلاقاً .

راحت لين تفكر ... كل شئ كما كان ... ولكن لا يمكن محو الامور بمثل هذه السهولة . لا يمكن الادعاء بأن شيئاً من كل هذا لم يحدث .

- وماذا سيفعلان ؟

- ايه ؟

ورأت أن رولى لم يكن قد اهتم بهذا الأمر فقد قال :- لا أدرى ... أظن أنهما سيعودان من حيث أتيا ... نعم ، أظن اننا نستطيع أن نفعل شيئاً لها . أعنى أنها تزوجت جوردون بحسن نية ، وأظن انها كانت تعتقد أن زوجها مات حقاً . ليس الذنب ذنبها . يجب أن نفعل شيئاً من أجلها وان نمنحها معاشاً نربطه عليها نحن جميعاً.

قالت لين :- انك تميل إليها ، أليس كذلك ؟

فكر لحظة قبل أن يقول :- اننى أميل إليها شيئاً ما ، فهى فتاة ظريفة وهى تعرف البقرة عندما تراها .

قالت لين :- أما أنا فلا .

قال رولى فى رفق :- سوف تتعلمين .

سألته :- ودافيد ؟

قطب رولى جبينه وقال :- فليذهب إلى الجحيم . ان الثروة لم تكن ثروته أبداً . انه انما يعيش عالة على اخته .

- كلا يا رولى . ليس الأمر كذلك . انه لا يعيش عالة على أحد ... ربما يكون أفاقاً ...

- انه أفاق وقاتل بالتأكيد .

قالت لاهثة :- ماذا تعنى ؟

- من تظنين قتل اندرهاى اذن ؟

صاحت :- اننى لا أصدق ذلك ... لا أصدق ذلك .

- انه قتل اندرهاى طبعاً . ومن غيره يمكن أن يكون قتله . كان هناك فى تلك الليلة . أتى فى الساعة الخامسة والنصف . كنت ذاهباً إلى المحطة ببعض الخضر ورأيته من بعيد .

قالت لين فى حدة :- عاد إلى لندن بالليل .

وقال رولى فى انتصار :- بعد أن قتل اندرهاى .

- لا يجب أن تنطق بشئ كهذا . فى اية ساعة قتل اندرهاى ؟

- حسناً ... لا أدرى بالدقة ... ولا أظن أننا سنعرف ذلك قبل جلسة التحقيق غداً أظن فيما بين الساعة السابعة والتاسعة وعشر دقائق .

- انه لحق بقطار التاسعة والثلث المنطلق إلى لندن .

وكيف تعرفين ذلك يا لين ؟

- اننى ... اننى التقيت به ... كان يجرى لكى يلحق بالقطار

- وكيف تعرفين انه لحق به ؟

- لأنه كلمنى بالتليفون من لندن .

عبس رولى وقال غاضباً :- ولماذا كلمك في التليفون بحق الشيطان ؟! .... اسمعى يا لين لو اننى ...

- وماذا يهم كلمنى فى التليفون أم لم يكلمنى يا رولى ؟! .... مهما يكن فقد كلمنى وفى هذا الدليل على انه لحق بالقطار .

- ولكن كان لديه الوقت الكافى لكى يقتل اندرهاى ثم يجرى ليلحق بالقطار بعد ذلك .

- ليس إذا كانت الجريمة قد وقعت بعد الساعة التاسعة .

- من الجائز أن يكون أندرهاى قد قتل قبيل التاسعة .

وتمتمت تقول :- ولكن لماذا يقتل اندرهاى ؟

- يا الهى . كيف تلقين مثل هذا السؤال يا لين ؟ ... اننى قلت لك أن وجود اندرهاى حى يرزق معناه عودة ثروة جوردون لنا . مهما يكن من أمر فقد كان اندرهاى يهدده .

آه . هذا أمر آخر يتطابق . فان دافيد يمكن أن يقتل رجلاً يهدده ويحاول أن يبتز ماله ... والواقع أليست هذه هى الطريقة التى يمكن أن يتعامل بها مع أى مهدد ؟ ... نعم هذا جائز ... عجلة دافيد وانفعاله وعنف حبه ، ثم عدوله عنها فيما بعد ... نعم، كل هذا يتطابق .

وعادت من مكان سحيق ، على صوت رولى وهو يسألها قائلاً :- ما الخبر يا لين ؟ ... هل أنت مريضة ؟

- كلا . طبعاً .

- حسناً . لا تكتئبى هكذا . الحمدلله فانه سيمكننا أن نقوم ببعض التحسينات فى المزرعة الآن ، فإننى لا أريد أن تقيمى فى مكان لا يفترق عن الاسطبل .

لم تنطق ... نعم ، سيكون هذا بيتها ... بيتها هى ورولى .

وفى الساعة الثامنة من صباح أحد الأيام سيلتف حبل حول عنق دافيد لشنقه .



ألقى دافيد يديه على كتفى روزالين ونظر إليها فى حزم وإصرار وقال :

- أقول لك أن الأمر على ما يرام . ولكن يجب أن تحتفظى بهدوئك وأن تفعلى ما أقول لك تماماً .

- وإذا ألقوا القبض عليك . انت نفسك قلت انك تتوقع ذلك .

- هذا احتمال . ولكن لن يطول الأمر ، هذا إذا احتفظت بهدوئك .

- سأفعل كما تقول يا دافيد .

- مرحى . كل ما عليك يا روزالين هو ان تتمسكى بقصتك وأن تؤكدى ان القتيل ليس زوجك روبيرت اندرهاى .

- ولكننى أخشى أن ينصبوا لى فخاخاً .

- كلا . لن يفعلوا ذلك . أقول لك أن الامر سيكون على ما يرام .

- كلا . انه أمر شائن ... شائن جداً ... ان نأخذ أموالاً ليست ملكاً لنا . ان عينى لا يغمض لهما جفن طول الليل وأظل ساهرة أفكر يا دافيد ... كيف نأخذ ما لا حق لنا فيه ... ان الله يعاقبنا على ذلك .

نظر إليها عابساً ... انها تتهاوى ... تتهاوى فعلاً ... وضميرها يؤرقها ، فانها نشأت نشأة دينية نوعاً ما ... وما لم يحالفه الحظ فان شجاعتها ستخونها تماماً ، ولم يعد أمامه غير شئ واحد للحيلولة بينها وبين ذلك وسألها فى صوت رقيق ؟

- قولى لى يا روزالين ... هل تريدين أن أشنق ؟ اتسعت عيناها ذعراً وقالت :-

أوه ... دافيد ... هل تعنى ... انهم لن ...

- لا يوجد غير شخص واحد يمكن أن يتسبب فى شنقى ... وهو أنت ؟ إذا أقررت ولو مرة واحدة بالنظرة أو بالاشارة أو بالكلمة أن الرجل الميت يمكن أن يكون اندرهاى فانك بذلك تضعين حبل المشنقة حول عنقى . هل تفهمين .

أخذتها الرجفة وتملكها الذعر وقالت :- اننى غبية حقاً يا دافيد .

- أنت لست غبية ومهما يكن فأنت لست بحاجة إلى الذكاء . ما عليك إلا أن تقسمى أن القتيل ليس زوجك . هل يمكنك أن تفعلى ذلك ؟

هزت رأسها وقالت :- نعم . سأفعل كل ما تقول لى تماماً يا دافيد .

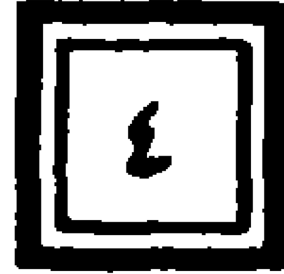
- مرحى ! عندما ينتهى كل شئ سنغادر البلد ... سنذهب إلى جنوب فرنسا أو إلى أمريكا . سوف نرى وفى انتظار ذلك احرصى على نفسك ، وداومى على الاقراص التى وصفها لك الدكتور ليونيل كلود لكى تستطيعين النوم . خذى قرصاً واحداً كل ليلة ولا تنزعجى وتذكرى الوقت السعيد الذى ينتظرنا .

ونظر الى ساعته وقال :- حان الوقت لكى أذهب الى جلسة التحقيق . ستبدأ الجلسة فى الساعة الحادية عشرة .

وردد البصر حوله فى الغرفة الجميلة الفخمة ... انه استمتع بكل ذلك ... بيت جميل ... فيروبانك ... لعله يودعه الآن إلى الأبد .

لقد زج بنفسه فى موقف عسير ... وهذا أمر مؤكد ... ولكنه لا يندم . وفى المستقبل ... حسناً ... ما له والمستقبل الآن ونظر إلى روزالين . كانت تنظر إليه فى توسل ورجاء ، وكان يعرف ما تريد فقال فى رفق :

- كلا يا روزالين . اننى لم أقتله ، وأقسم لك على ذلك .



دار التحقيق فى القاعة الكبرى لسوق القمح .

وفتح قاضى التحقيق الجلسة فاستدعى الدكتور ليونيل كلود ، وسأله قائلاً :

- انك كنت موجوداً بحانة «السياج» تعالج الآنسة ليبنكوت عندما جاءتك جلاديس اتيكنسن فماذا قالت لك ؟

- قالت أن نزيل الغرفة رقم ٥ ملقى على الأرض ميتاً .

- ولهذا صعدت إلى الغرفة رقم ٥ ؟ هل لك أن تخبرنا ماذا وجدت ؟

روى الدكتور كلود قصته على عجل ... الجثة الملقاة فوق الأرض ، والجراح فى الرأس ... والملقاطان .

- هل تعتقد أن هذين الملقاطين قد تسببا فى تلك الجراح ؟

- انهما تسببا فى بعضها بدون أى شك .

- وهل كانت هناك ضربات كثيرة .

- نعم . لم أفحص الجراح فحصاً شاملاً لأنى رأيت انه يجب استدعاء البوليس قبل أن نلمس أى شئ .

- أصبت . هل كان الرجل ميتاً ؟

- نعم . كان قد مات منذ بضع ساعات .

- منذ كم ساعة فى رأيك ؟

- هذه نقطة لا أستطيع البت فيها ... إحدى عشرة ساعة على الأقل ، ولكن يحتمل أن يكون ذلك ثلاث عشرة ساعة أو أربع عشرة . لنقل أن الجريمة ارتكبت بين الساعة السابعة والنصف والعاشرة والنصف من الليلة السابقة .

شكراً لك يادكتور .

وأدلى الطبيب الشرعى بشهادته بعد ذلك مستخدماً الاصطلاحات الفنية وقال ان القاتل ضرب القتيل على رأسه بالملقطين خمس أو ست مرات ، وأن بعض هذه الضربات وقعت بعد الموت .

- كانت جريمة وحشية إذن ؟

- هو ذلك .

- هل من الضرورى أن يكون القاتل على جانب كبير من القوة لكى يقوم بهذا الهجوم ؟

- كلا . ليس من الضرورى أن أى شخص عادى إذا أمسك بهذين الملقطين من

نهايتهما يكون من السهل عليه أحداث مثل هذه الضربات الوحشية ، بل أن أى شخص ضعيف يمكن أحداث هذه الضربات إذا ما استولت عليه نوبة من الغضب .

شكراً لك يا دكتور .

وجاء دور بياتريس ليبنكوت بعد ذلك فتكلمت عن قدوم القتيل إلى الحانة وانه سجل اسمه على أنه اينوك آردن ، وانه قادم من مدينة الكاب .

- هل قدم لك بطاقة التموين ؟

- كلا .

- ألم تطلبيها منه ؟

- لم أطلبها على الفور فاننى لم أدر كم يوماً سيبقى .

- ولكنك طلبتها منه بعد ذلك ؟

- نعم ياسيدى . انه أقبل يوم الجمعة . وفى يوم السبت قلت له انه إذا كان سيقضى أكثر من خمسة أيام فلابد له من أن يعطينى بطاقة تموينه .

- وبماذا أجابك ؟

- قال انه سيبحث عنها ويعطيها لى .

- ألم يقل لك انه فقدها أو أنه لا يملك بطاقة ؟

- كلا . اكتفى بأن قال أنه سيبحث عنها .

- هل استمعت إلى حديث معين فى مساء يوم السبت يا مس ليبنكوت ؟

شرحت مس ليبنكوت فى إسهاب كبير انه كان يتعين عليها أن تصعد إلى الغرفة رقم ٤ لتغيير الأغطية والملاءات . ولم يقاطعها القاضى حتى فرغت من قصتها . وعندئذ قال :

- هل أعدت هذا الحديث على مسامع أحد ؟

- نعم . حدثت مستر رولى كلود به .

- لماذا ؟

اضطرم وجه مس ليبنكوت وقالت :- ظننت انه يجب أن يعلم .

نهض رجل طويل نحيف يدعى مستر جايتورن واستأذن فى إلقاء سؤال ثم قال :-

- اثناء الحديث الذى دار بين الفقيد ومستر دافيد هنتر هل ذكر الفقيد فى أية لحظة انه هو نفسه روبيرت اندرهاى ؟

- كـلا .

- أى انه تكلم عن روبيرت اندرهاى هذا كما لو كان رجلاً آخر غيره ؟

- نعـم .

- أشكرك يا سيدى القاضى . هذا كل ما أردت أن تحدده الشاهدة .

واستدعى رولى كلود بعد فعزز أقوالها وتكلم عن الحديث الذى دار بينه وبين الفقيد .

- كانت آخر كلماته لك هى أنه لن يمكنكم اثبات ذلك إلا بمساعدته ، فهل كان يعنى «بذلك» أن روبيرت اندرهاى لا يزال على قيد الحياة ؟

- هذا ما ذكره لى بالذات . وقد ضحك بعد ذلك .

- ضحك ؟ ... وما هو المعنى الذى فهمته من هذه الكلمات ؟

- حسناً ... خطر لى انه يحاول أن يحملنى على أن أقدم له عرضاً ، وقد ظننت فيما بعد ...

- لا شأن لنا بما ظننت بعد ذلك يا مستر كلود .

هل نفهم أن هذا الحديث الذى دار بينكما دفعك إلى أن تبحث عن شخص يكون قد عرف روبيرت اندرهاى وانك أفلحت فى ذلك نتيجة لمساعدة معينة ؟

- نعم يا سيدى القاضى .

- كم كانت الساعة عندما غادرت الفقيد ؟

- كانت التاسعة إلا خمس دقائق تقريباً .

- وكيف استطعت تحديد الوقت هكذا ؟

- ذلك لأننى كنت أقطع الشارع ومررت بنافذة مفتوحة فسمعت المقدمة الموسيقية لنشرة الأخبار التى تذاع فى الساعة التاسعة .

- هل ذكر لك الفقيد فى أية ساعة ينتظر عميله .

- قال لى «من لحظة لأخرى ؟» .

- الم يذكر لك اسمه ؟

- كـلا .

واشرأبت جميع الاعناق عندما استدعى القاضى دافيد هنتر وتفرس أهالى وارمسلى فيل فى اهتمام كبير فى ذلك الشاب الطويل النحيف الذى تقطر عيناه مرارة والذى يقف أمام القاضى فى تحد واضح .

- هل ذهبت لزيارة الفقيد فى مساء السبت ؟

- نعم . جاءتنى منه رسالة يقول فيها أنه يحتاج لإعانة وانه عرف الزوج الأول لأختى وهو فى أفريقيا .

- هل معك هذه الرسالة ؟

- كلا . اننى لا احتفظ برسائلى ابداً .

- انك سمعت شهادة بياتريس ليبنكوت بخصوص الحديث الذى دار بينك وبين الفقيد ، فهل هذا الحديث صحيح ؟

- أبداً . كان حديث الفقيد لى يتلخص فى انه عرف زوج اختى فى أفريقيا وعن سوء الحظ الذى لازمه واختتم حديثه كما كنت اتوقع فسألنى أن أقدم له مساعدة مالية فى صورة قرض قال انه واثق انه سيستطيع رده لى بالتالى .

- هل قال لك أن روبيرت اندرهاى لا يزال على قيد الحياة ؟

ابتسم دافيد وقال :- طبعاً لا . انه انما قال «إذا كان روبيرت لا يزال على قيد الحياة فانه ما كان ليتأخر عن مساعدتى» .

- هذا يختلف عما ذكرته لنا بياتريس ليبنكوت إختلافاً كبيراً .

قال دافيد : ان من يسترقون السمع لا يسمعون عادة إلا جزءاً من الحديث الذى

يدور ويخطئون الفهم أحياناً ويلجأون إلى خيالهم الخصب لسد النقص الذى ينقصهم .

هبت بياتريس وصاحت تحتج غاضبة . ولكن القاضى أمرها بالتزام الصمت ثم تحول إلى دافيد وسأله قائلاً :

- هل قمت بزيارة أخرى للفقيد مساء يوم الثلاثاء يا مستر هنتر ؟

- كلا .

- هل سمعت مستر رولى كلود يقول أن الفقيد كان ينتظر زائراً ؟

- من الجائز انه كان ينتظر زائراً ، وإذا كان الأمر كذلك فلست أنا ذلك الزائر . انني أعطيته خمسة جنيهات ، وقد قدرت أن هذا المبلغ كاف فلم يكن هناك ما يثبت أنه اندرهاى حقاً . وقد أصبحت أختى ، منذ أن ورثت هذه الثروة الكبيرة عرضة لطلب إعانات من كل من المتسولين وكل الذين يعيشون عالة على غيرهم فى المنطقة .

واتم قوله هذا وهو ينظر إلى آل كلود .

- هل ذكرت لنا أين كنت فى مساء يوم الثلاثاء يا مستر هنتر ؟

- عليكم أن تتحروا ذلك .

هوى القاضى بمطرقته على مكتبه وقال :- مستر هنتر ، هل تدرك مدى حماقة هذا الرد ؟

- لماذا أذكر لكم أين كنت وماذا كنت أفعل ؟ سأذكر لكم ذلك عندما تتهموننى بأننى قتلت ذلك الرجل .

- إذا اصررت على موقفك هذا فقد نتهمك بذلك بأسرع مما تظن . هل تعرف هذه يا مستر هنتر .

انحنى دافيد إلى الأمام وأخذ القداحة الذهب وجعل يديرها فى يده ، وارتسمت دلائل الحيرة فى عينيه وأعادها وهو يقول فى بطء :

- هذه قداحتى .

- متى كانت معك آخر مرة ؟

- انها ضاعت منى .

وأمسك فقال القاضى فى صوت معسول :- نعم يا مستر هنتر ؟

- كانت معى يوم الجمعة الماضى ... صباح يوم الجمعة ... لا أظن اننى رأيتها بعد ذلك .

نهض مستر جايتورن وقال :- إذا سمحت يا سيدى القاضى ... انك زرت الفقيد مساء يوم الثلاثاء ، الا يمكن أن تكون قد نسيتها هناك ؟

أجاب دافيد فى بطء :- ربما ... يقيناً اننى لا أتذكر أننى رأيتها بعد يوم الجمعة.

وأردف :- أين وجدتموها ؟

قال القاضى :- سندخل فى التفاصيل فيما بعد . هل لك أن تنسحب الآن يا مستر هنتر .

عاد دافيد إلى مقعده فى بطء ، ومال نحو روزالين كلود وهمس : الميجور بورتر :

وتقدم هذا الأخير متردداً ، وكان مشدوداً متوتراً كما لو كان فى عرض عسكرى .

ولم ينم عن انفعاله شئ فيما عدا انه راح يبلل شفتيه بطرف لسانه .

- انك تدعى جورج دوجلاس بورتر ، وكنت ضابطاً فى الجيش برتبة ميجور ؟

- نعم .

- هل عرفت روبيرت اندرهاى جيداً ؟

رد الميجور بورتر بالإيجاب ذاكراً بعض الأماكن وبعض التواريخ .

- هل رأيت حثة الفقيد ؟

- نعـم .

- هل استطعت أن تتعرف عليها ؟

- نعم . انها جثة روبيرت اندرهاى .

ارتفعت همسات الدهشة بين الموجودين . وقال القاضى :- هل تؤكد ذلك بطريقة قاطعة ؟

- نعـم .

- ألا يمكن أن تكون قد أخطأت ؟

- كـلا .

- شكراً لك يا مستر بورتر . مسز جوردون كلود .

نهضت روزالين والتقت بالميجور فنظر إليها فى شئ من الفضول . أما هى فلم تلق إليه نظرة .

- مسز كلود ... هل رأيت جثة الفقيد ؟

قالت وهى ترتجف : نعـم .

- هل تصرين على انها جثة رجل لا تعرفينه ؟

- نعـم .

- بعد البيان الذى ألقاه الميجور بورتر هل تريدين الرجوع عن شهادتك هذه أو تعديلها ؟

- كـلا .

- أما زلت تؤكدين أن هذه الجثة ليست جثة زوجك روبيرت اندرهاى ؟

- لم تكن جثة زوجى . كانت جثة رجل لم أره فى حياتى قط .

- ولكن الميجور بورتر تعرف على الجثة وقال أنها جثة صديقه روبيرت اندرهاى .

قالت روزالين فى لهجة عادية :- أن الميجور بورتر قد أخطأ .

- انك لم تقسمى اليمين قبل الادلاء بشهادتك ، ولكن من الجائز أن تنتقل هذه القضية إلى محكمة الجنايات فى وقت قريب ، فهل أنت مستعدة لأن تقسمى عندئذ بأن الجثة التى رأيتها ليست جثة روبيرت اندرهاى وأنها جثة رجل غريب عنك .

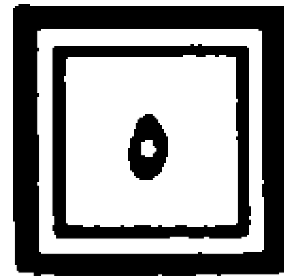
- اننى مستعدة لأن أقسم أن الجثة ليست جثة زوجى وأنها جثة رجل لا أعرفه .

كان صوتها واضحاً هادئاً . ولم تتهرب عيناها من عين القاضى فتمتم .

- يمكنك أن تنسحبى .

وخلع نظارته الأنفية وتحول إلى هيئة المحلفين وقال لهم أنهم اجتمعوا لكى يكتشفوا كيف لقى القتيل مصرعه وانه ثبت أن الرجل قتل ولم ينتحر وانه ولا شك أن القتيل هو روبيرت اندرهاى نفسه فان شاهداً له كلمته وله وزنه ، وهو الميجور بورتر الضابط السابق بالجيش أكد أن القتيل هو صديقه السابق روبيرت اندرهاى الذى اشيع انه مات قبل ذلك فى أفريقيا وأن أرملة اندرهاى التى أصبحت الآن تعرف باسم مسز جوردون تؤكد أن الجثة ليست جثة زوجها روبيرت أندرهاى وأنها تختلف فى هذه النقطة مع الميجور بورتر ، وأنهم وقد انتهوا الآن من هذه النقطة فان عليهم أن يقرروا من الذى قتله وهل هناك أى دليل يشير إلى هذا القاتل . وعليهم كذلك أن يقرروا إذا كان هذا التقرير كافياً وإذا كان هناك دافع دفع القاتل إلى إرتكاب جريمته ، وإذا كان هذا القاتل المفروض موجوداً فى مكان الجريمة فى الساعة المناسبة أما إذا كان هذا الدليل غير موجود فان أفضل شئ هو أن ينتهوا من قرارهم إلى أن الجريمة ارتكبت عمداً وأن القاتل مجهول ، فإن مثل هذا الحكم كفيل بأن يطلق يد البوليس لعمل التحريات اللازمة .

وصرفهم بعد ذلك للتداول ، ودامت المداولة ثلاثة أرباع الساعة عادوا بعدها لإصدار حكمهم بأن الجريمة ارتكبت عمداً وأن القاتل هو دافيد هنتر .



٥

قال القاضى يعتذر :- كنت واثقاً أن هذا سيكون حكمهم ... تحامل محلى ، حيث العاطفة قبل المنطق .

كان القاضى ورئيس البوليس والمفتش سبنس وهركيول بوارو يجلسون معاً ، وقال رئيس البوليس مخاطباً القاضى .

- انك بذلت ما فى وسعك .

وقال سبنس :- أقل ما يمكن أن يقال هو أن إلقاء القبض على دافيد هنتر قد تم قبل الأوان وأنه يعوق سير التحقيق ... هل تعرف مستر هركيول بوارو ؟ انه عاوننا

فى العثور على الميجور بورتر .

قال القاضى فى رفق :- اننى سمعت عنك يا مستر بوارو .

وقام بوارو دون أن يفلح بمجهود كبير لكى يبدو متواضعاً وعاد سبنس يقول :- أن مستر بوارو مهتم بهذه القضية .

قال بوارو :- هذا صحيح ... اهتممت بها قبل أن تقع جريمة القتل .

ورداً على نظرات الاستفهام اخبرهم بالحديث الغريب الذى دار فى نادى كوورونيش عندما سمع اسم روبيرت اندرهاى أول مرة .

وقال رئيس البوليس فى تفكير : هذه نقطة جديدة تعزز شهادة بورتر عندما تأتى القضية إلى محكمة الجنايات ، فيبدو أن اندرهاى دبر موتاً مزعوماً وتكلم عن انتحاله اسم اينوك آردن . ولكن هل تقبل المحكمة هذه النقطة كدليل ؟

قال بوارو مفكراً : قد لا تأخذ بها ، ولكنها ستثير الإهتمام على كل حال .

قال سبنس :- انما نحن بحاجة إلى حقائق ملموسة ... إلى شخص يكون قد رأى دافيد هنتر فى حانة «الستاج» مساء يوم الثلاثاء مثلاً .

ولم يلبث أن انصرف رئيس البوليس وقاضى التحقيق ، ولبث المفتش وبوارو وحدهما وقال بوارو متعاطفاً .

- انك لا تحب هذه القضية ، أليس كذلك ؟

أجاب سبنس :- إن هذا الشاب يثير قلقى ، فانه من ذلك النوع الذى يثير الشك ولا يوحى بالثقة .

سأله بوارو :- هل تظن انه مذنب ؟

قال سبنس :- ألا تظن أنت ذلك ؟

بسط بوارو يديه وقال :- يهمنى أن أعرف ما هى الأدلة التى تملكها ضده .

- لعلك لا تتكلم من الناحية القانونية ، ولعلك تعنى الإحتمالات الممكنة ؟

أومأ بوارو فقال سبنس :- هناك القداحة .

- أين وجدتها ؟

- تحت الجثة .

- وهل عليها بصمات ؟

- كلا . وهذا أمر لا يروق لى كثيراً ، ثم أن ساعة القتيل توقفت على الساعة التاسعة وعشر دقائق . وهذا يتطابق تماماً مع التقرير الطبى ومع شهادة رولى كلود التى قال فيها أن اندرهاى كان ينتظر زائره ما بين لحظة وأخرى . والأمر الذى لا أستطيع أن أقصيه عن ذهنى يا مستر بوارو هو انه هو وأخته الشخصان الوحيدان اللذان لديهما دافعاً للقتل .

وعلى ذلك أما أن يكون دافيد هنتر هو الذى قتل اندرهاى وأما أن يكون قد قتله شخص آخر تبعه إلى هنا بسبب لاندريه ، وهذه النظرية الأخيرة بعيدة الاحتمال .

أن تكون له علاقة باندرهاى فى الماضى .

- هذا رأيى أنا أيضاً .

- ليس بين أهالى وارمسلى فيل من لديه أى دافع محتمل للقتل إلا إذا كان بينهم شخص ما شاءت الصدفة وأنا لا أبعد الصدفة عن ذهنى أبداً ... ولكن ليس هناك ما يدل على ذلك .

كان الرجل غريباً تماماً عن جميع الأهالى هنا فيما عدا دافيد هنتر وأخته وبالنسبة لآل كلود فان روبيرت اندرهاى كان شيئاً عزيزاً لديهم بحيث يحرصون عليه كل الحرص إذا أرادوا أن تعود اليهم الثروة .

- انى أوافقك على ذلك يا صديقى العزيز .

- وبهذا لا يبقى أمامنا غير روزالين ودافيد هنتر .

وكانت روزالين كلود فى لندن ، ولكننا نعرف أن دافيد كان فى وارمسلى فيل فى ذلك اليوم وانه بلغ محطة وارمسلى هيث فى الساعة الخامسة والنصف ... ثم لننظر الآن إلى قصة بياتريس ليبنكوت اننى أصدق قصتها ، انها سمعت الحديث الذى دار

بينهما سمعته وربما أضافت عليه من عندها فهذا من طبيعة البشر ... أقول أنها سمعت ذلك الحديث لأنه لا يمكن أن تكون قد اخترعته ثم انها لم تسمع أبداً عن روبيرت اندرهای قبل ذلك ، ولهذا أصدق قصتها عن الحديث الذى دار بين الرجلين ولا أصدق قصة دافيد هنتر .

قال بوارو :- وأنا أيضاً أعتقد أنها شاهدة صادقة .

- ولهذا أصدقها . لأى سبب تعتقد أن الأخ والأخت قد ذهبا إلى لندن ؟

- وددت لو أن أعرف ذلك .

- حسناً . اليك الموقف المالى اذن . أن روزالين كلود ليس لها إلا حق الانتفاع بريع الثروة والأملاك طوال حياتها ، ولا تستطيع أن تأخذ شيئاً من رأس المال فيما عدا ألف جنيه على ما أعتقد ولكن المجوهرات ملكها . وأول شئ فعلته عند ذهابها إلى لندن هو انها أخذت بعض مجوهراتها الثمينة وباعتها ... كانت بحاجة ماسة إلى مبلغ كبير من المال ... ويقول آخر كان يجب أن تدفع لمهدد .

- وهل تتخذ هذا دليلاً ضد دافيد ؟

- ألا تعتبره أنت دليلاً ؟

هز بوارو رأسه وقال : دليل على الخضوع للتهديد ، نعم . أما دليل على ارتكاب جريمة القتل فلا ... يجب التفرقة بين الامرين يا عزيزى . فأما أن ذلك الشاب كان ينوى أن يدفع وأما انه ينوى ارتكاب جريمة القتل . وهذا الدليل الذى قدمته الآن يثبت انه كان ينوى الدفع .

- نعم ، نعم ... ربما كان الأمر كذلك ، ولكن من الجائز أن يكون غير رأيه .

وهز بوارو رأسه وسادت لحظة صمت ثم قال أخيراً :- اننى أوافقك على انه مثال للقاتل وهذا كل شئ لا أكثر .

تأمل سبنس بوارو فى دهشة وقال :- يبدو انك تهتم بهذه القضية كثيراً يا مستر بوارو ؟

- نعـم .

- هل أستطيع أن أسأل لماذا ؟

بسط بوارو يديه وقال :- إذا أردت الصراحة فلا أدرى . لعل ذلك لأننى كنت جالساً منذ سنتين ، وكانت معدتى تؤلمنى لأننى لا أحب الغارات الجوية ، كنت جالساً فى غرفة التدخين بالنادى أحاول ألا أتلوى من الألم لأن لى غرورى الذاتى عندما بدأ الميجور بورتر يذكر قصة طويلة لم يكن أحد يصغى اليها ، ولكننى أصغيت إليها حتى لا أفكر فى القنابل ولأن الوقائع التى كان يذكرها كانت على جانب من الأهمية قد خطر لى عندئذ انه قد ينتج عنها شئ ذات يوم ، وهذا هو ما حدث بالذات .

- تعنى أن المستحيل قد وقع ؟

- بل بالعكس . وقع ما كنت أتوقع أن يقع ... وهذا فى حد ذاته رائع .

قال سبنس متشككاً :- هل كنت تتوقع جريمة قتل ؟

- كلا ، كلا . ولكن امرأة تزوجت للمرة الثانية ، وكان هناك احتمال فى أن زوجها الأول لا يزال حياً . وقد ثبت ذلك . وانه يمكن أن يعود ، وقد عاد . وكان هناك احتمال فى أن يقع تهديد وقد وقع التهديد . وأن هناك احتمال فى أن يلاقى المهدد حتفه وقد مات .

قال سبنس وهو ينظر إلى بوارو فى غير اقتناع : أظن أن هذا يتطابق مع صاحبنا فهى جريمة قتل عادية ... جريمة قتل نتيجة للتهديد ....

- لعلك تريد أن تقول أنها جريمة عادية لا تثير أى اهتمام ... ولكننى لا أوافقك على هذا فهى جريمة على جانب كبير من الأهمية لأن كل شئ فيها خاطئ جداً .

- خاطئ جداً ... ماذا تعنى ؟

- ان كل شئ فيها ليس فى وضعه الصحيح .

حملق المفتش سبنس فيه وقال :- ان المفتش جاب يقول عنك دائماً انك ملتوى الذهن . اذكر لى مثالاً عما تقول انه خاطئ .

- حسناً . أن القتيل مثلاً ليس فى وضعه الصحيح .

هز سبنس رأسه فسأله بوارو :- ألا تشعر بهذا ؟ ... أوه ، حسناً ... لعلنى أتوهم. ومع ذلك دعنا ندرس هذه النقطة . جاء اندرهاى إلى حانة «الستاج» وبعث برسالة إلى دافيد هنتر . وأخذ هنتر هذه الرسالة فى صباح اليوم التالى ، فى وقت الافطار .

- هو ذلك ... وقد اعترف بأنه تسلم الرسالة من اينوك آردن .

- كان هذا هو التلميح الأول عن وصول اندرهاى إلى وارمسلى فيل ، أليس كذلك؟ فما هو أول شئ قام به دافيد ... انه بعث بأخته إلى لندن على الفور .

هذا أمر مفهوم . أراد أن يكون حراً لكى يتصرف كما يريد ، وخشى أن تضعف اخته . ولا تنس انه هو الرأس المدبر وان اخته تنصاع لآوامره .

أوه ، نعم . هذا أمر واضح . بعثها اذن إلى لندن وذهب لزيارة اينوك اردن .

ونعرف عن طريق بياتريس ليبنكوت الحديث الذى دار بينهما ، والشئ الوحيد الذى يتضح لنا هو أن دافيد هنتر لم يكن يدرى حقاً ان كان يتكلم مع روبيرت اندرهاى أم لا ... كان يشك فى ذلك ولكنه لم يكن واثقاً .

- ولكن ليس فى هذا أية غرابة يا مستر بوارو فقد تزوجت روزالين هنتر بأندرهاى فى مدينة الكاب وذهبت معه إلى النيجر مباشرة . ولم يلتق هنتر واندرهاى أبداً . وإذا كان هنتر يشك فى أمره كما تقول فذلك لأنه لا يعرفه ولأنه لم يلتق به قط .

نظر بوارو إلى المفتش سبنس متأملاً وقال :

ألا تجد فى هذا الأمر شيئاً غريباً يثير إهتمامك ؟

- اننى أرى ما تعنيه لماذا لم يفصح اندرهاى على الفور أنه هو اندرهاى ؟ حسناً . أظن أن هذا مفهوم أيضاً ومتوقع من قوم محترمين يتصرفون فجأة تصرف المجرمين ، فهم يحرصون على تصوير الأشياء بحيث تبعدهم عن الشبهات . كلا ، كلا . أن سلوك اندرهاى فى هذه المناسبة يبدو طبيعياً ويجب أن تنظر إلى الطبيعة البشرية بعين الاعتبار .

قال بوارو :- نعم . الطبيعة البشرية . لعل هذا هو السبب الحقيقى لإهتمامى بهذه القضية . كنت أردد البصر حولى أثناء التحقيق . ونظرت على وجه الخصوص إلى آل كلود ، وكلهم تربطهم فائدة مشتركة على الرغم من اختلاف طباعهم ومشاعرهم . اعتمدوا على جوردون إعتماداً مباشراً ، فان لكل منهم موارده الخاصة . ولكن انتهى الأمر بهم إلى أن يعتمدوا عليه مباشرة ، وماذا يحدث للبلاب أيها المفتش إذا ما هوت شجرته ؟

قال سبنس :- ولكننا نخرج عن نطاق موضوعنا .

- هل تظن ذلك ؟ ان طباع المرء لا تبقى على استقرار ، فأما أن تظل قوية وأما أن تحيد عن الطريق القويم ، ولا يمكن أن نعرف الرجل على حقيقته إلا عند التجربة فإما أن يظل صامداً وإما أن يهوى .

بدت الحيرة على ملامح سبنس وقال : لا أدرى حقاً ماذا تعنى يا مستر بوارو . وعلى كل حال فإن آل كلود على ما يرام اليوم ، أو سيكونون على مايرام إذا ما انتهت الاجراءات الرسمية .

قال بوارو أن ذلك قد يتطلب وقتاً طويلاً وأردف :- فما زالت شهادة مسز جوردون فى حاجة إلى التحرى ، ومهما يكن فان أية امرأة يجب أن تعرف زوجها عندما تراه .

وأحنى رأسه فوق كتفه قليلاً وانتظر رد الفعل عند المفتش . وسأله هذا الأخير فى شئ من الشك .

- ألا ترى أن أية امرأة على شئ من العقل لابد أن تدعى انها لا تعرف زوجها إذا كان الأمر يتعلق بنحو مليونين من الجنيهات وفوق ذلك إذا لم يكن هو روبيرت اندرهاى فلماذا قتل ؟

قال بوارو :- هذا هو السؤال فى الواقع .

***



عندما بلغ بوارو ميدان السوق وقف يردد البصر حوله ، رأى بيت جيريمى كلود ومن الناحية الأخرى من الشارع رأى بيت الدكتور كلود بلا فتاته النحاسية القديمة التى بلاها الزمن ، ورأى أمامه الكنيسة الكاثوليكية وهى كنيسة متواضعة لا تقاس بشئ بجوار الكنيسة البروتستانتية التى تقف شامخة فى وسط الميدان .

وأخذته نزوة فدخل الكنيسة الكاثوليكية ، وخلع قبعته ومضى أمام المذبح ، وقطع عليه صلاته شخص يتنهد فأدار رأسه ورأى فى أحد الكراسى التى خلفه امرأة ترتدى السواد تبكى وقد دفنت رأسها بين يديها ولم تلبث أن قامت ومضت إلى الباب وهى لا تزال تبكى ، واتسعت عينا بوارو من الدهشة عندما عرف فى المرأة روزالين كلود . ووقفت عند الباب وحاولت أن تسيطر على أعصابها . ودنا بوارو منها عندئذ وقال فى رفق :

- سيدتى . هل استطيع أن أقدم لك أية مساعدة ؟ لم تبد عليها الدهشة وأجابته فى بساطة كالطفل البائس :- كلا . لا يمكن لأحد أن يقدم إلى اية مساعدة .

- أراك منزعجة جداً .

قالت :- انهم ألقوا القبض على دافيد . اننى وحدى الآن ... ويقولون انه هو الذى قتل ذلك الرجل ... ولكنه لم يقتله ... انه لم يقتل أحداً .

وعرفت بوارو فى هذه اللحظة فقالت :- انك كنت فى جلسة التحقيق الآن ... اننى رأيتك .

- نعم . ويسرنى أن أقدم لك أية مساعدة .

- اننى خائفة . كان دافيد يقول لى دائماً انه سيحرص على ويعنى بى طالما بقى معى ولكنهم أخذوه بعيداً عنى الآن ... اننى خائفة ... قال لى انهم كلهم يتمنون لى الموت ... وانه لبغيض أن أقول هذا ... ولكن من الجائز أن تكون هى الحقيقة .

- دعينى إذن أساعدك يا سيدتى .

هزت رأسها وقالت :- كلا . لا يستطيع أحد أن يساعدنى . اننى حتى لا أستطيع الاعتراف . وعلى أن أحمل وحدى وزر أخطائى . اننى حتى محرومة من رحمة الله .

قال بوارو : لا أحد محروم من رحمة الله . وانك تعرفين ذلك جيداً يا سيدتى .

نظرت إليه مرة اخرى . نظرة بائسة محزونة وقالت :- أود أن أعترف بخطاياى ... أود لو أن أستطيع .

- ألا تستطيعين الاعتراف ؟ ... ولكنك أتيت إلى الكنيسة لذلك .

- جئت انشد شيئاً من السلوى والعزاء ... ولكن أين أجدهما ... اننى أثمت كثيراً.

- اننا كلنا آثمون .

- نعم ، ولكننا نندم ونعترف ... ولكننى لا أستطيع .

وغطت وجهها بيديها وقالت :- اننى كذبت كثيراً ... كثيراً جداً .

- هل كذبت بخصوص زوجك ؟ ... بخصوص روبيرت اندرهاى ؟ ... روبيرت اندرهاى هو الذى قتل هنا ، أليس كذلك ؟

نظرت إليه فى حدة وفى عينيها شك وحذر وصاحت فى حدة :- لم يكن زوجى ... لم يكن يشبهه أبداً .

- وما هى أوصاف زوجك ؟

تفرست فيه وقد شحب لونها واتسعت عيناها رعباً وصرخت :- لن أقول لك المزيد .

وتجاوزته وانطلقت مسرعة ولم يأت بأية حركة لاحتجازها ، ولم يحاول أن يتبعها ولكنه هز رأسه فى رضا ومضى فى طريقه فى بطء ، وإذ بلغ القرية اتجه إلى حانة «الستاج» وكان رولى ولين مارشمونت يقفان أمام الباب .

واقترب بوارو وهو ينظر إلى الفتاة فاحصاً فى اهتمام . كانت جميلة ولم يكن هناك شك فى أنها ذكية ، ولكنها لم تكن من ذلك النوع الذى يعجب به ، وكان يفضل أن

تكون الفتاة أكثر رقة وأكثر أنوثة . أما لين مارشمونت فكانت من طراز حديث ، من ذلك الطراز المتحرر الذى لا يفكر إلا فى نفسه والذى يهوى الشبان المغامرين الأفاقين .

قال رولى :- اننا مدينون لك كثيراً يا مستر بوارو ... انك أتيت بلعبة أشبه بلعبة الساحر حقاً ، وبفضلك ستكون حياتنا الزوجية مختلفة جداً عما كان يمكن أن تكون .

قالت لين فى حدة :- وما أدراك ؟ ستكون هناك إجراءات وإجراءات .

وقال بوارو يسألهما فى لهجة مهذبة :- ومتى تتزوجان ؟

- فى يونيه ؟

- ومنذ متى وانتما مخطوبان ؟

أجاب رولى :- ما يقرب من ست سنوات . لقد سرحت لين من الجيش منذ أيام قلائل .

- وهل يمنع الجيش الزواج ؟

قالت لين فى لهجة جافة :- لم أكن فى انجلترا .

لحظ بوارو أن رولى قطب جبينه ، وقال فى ايجاز :- تعالى يا لين . يجب أن نعود أظن أن مستر بوارو يتعجل العودة إلى لندن .

قال بوارو مبتسماً :- ولكننى لست عائداً إلى لندن .

- ماذا ؟

ووقف رولى مشدوهاً فى حين قال بوارو :- سأبقى هنا ، فى الحانة بضعة أيام أخرى.

- ولكن لماذا ؟

أجاب بوارو فى برود :- إن البلد جميل .

قال رولى فى غير اقتناع :- طبعاً ... ولكن ، أليس لديك ما يستدعيك ؟

- كلا . وقد تدبرت أمرى ولدى من الوسائل ما يسمح لى بأن أعيش كما أشاء ... وقد عقدت العزم على أن أقضى وقتاً ما فى وارمسلى فيل .

رأى بوارو لين ترفع رأسها وتنظر إليه ملياً ، أما رولى فقد بدا عليه الضيق وقال :

- أظن انك تلعب الجولف . هناك فندق أفضل فى وارمسلى هيث ، اما هذا الفندق فلا يصلح لك .

قال بوارو :- ان اهتمامى محصور بوارمسلى فيل .

قالت لين :- هيا بنا يا رولى .

تبعها رولى على مضض ، وتوقفت لين عند الباب ثم أسرعت عائدة وخاطبت بوارو فى صوت خافت قائلة :

- انهم ألقوا القبض على دافيد هنتر بعد التحقيق . هل تظن .. هل تظن أن هذا الاجراء له ما يبرره .

- لم يكن بوسع رجال البوليس غير ذلك نتيجة للتحقيق يا آنسة .

- وهل تظن انه مذنب .

- وأنت ؟ ... هل تظنين ذلك ؟

ولكن رولى كان قد عاد هو الآخر فلم تجب على سؤاله واكتفت بأن قالت :

- إلى اللقاء يا مستر بوارو ... أرجو أن نلتقى ثانية .

ابتسم بوارو ولم يصدق انها ترجو ان تلتقى به ثانية .

وبعد أن حجز لنفسه غرفة بالفندق خرج ثانية وقادته قدماه إلى بيت الدكتور ليونيل كلود . وفتحت له العمة كاتى الباب ، وما كادت تراه حتى أرتدت خطوة إلى الوراء قائلة :-

- أوه ... مستر بوارو .

انحنى بوارو وقال :- فى خدمتك يا سيدتى . اننى اتيت أقدم لك تحياتى .

- هذا جميل منك حقاً ... ولكن تفضل بالدخول . أرجو ألا تخبر زوجى بأننى ذهبت لاستشارتك فى لندن .

- ان شفتى مطبقتان .

- أعنى اننى لم أكن أدرى فى ذلك الوقت أن ذلك الرجل المسكين روبيرت اندرهاى كان موجوداً فى وارمسلى فيل ... يبدو لى أن الأمر كان مصادفة عجيبة .

قال بوارو موافقاً :- كان الأمر يبدو سهلاً لو أن الأرواح وجهتك إلى حانة «الستاج» مباشرة .

ابتهجت العمة كاتى قليلاً عندما طرق بوارو موضوع الأرواح وقالت :-

- إن دنيا الأرواح مملوءة بالأسرار والعجائب . ولكننى أشعر أن لكل شئ غاية ألا تشعر أن لكل شئ فى الحياة غاية يا مستر بوارو ؟

- نعم يا سيدتى . حتى وأنا جالس الآن فى غرفة استقبالك ، فإن وراء ذلك غاية .

فوجئت مسز كلود وقالت :- أوه ، حقاً ؟ ... نعم . أظن ذلك . انك تنوى العودة إلى لندن طبعاً ؟

- ليس فى الوقت الحالى فاننى حجزت لنفسى غرفة فى فندق «الستاج» .

- فى حانة «الستاج» . ولكن ذلك الرجل ... هل تظن أن فى هذا العمل شيئاً من الحكمة يا مستر بوارو ؟

قال بوارو فى وقار :- اننى «وجهت» إلى حانة «الستاج» .

- وجهت ؟ ... ماذا تعنى ؟

- أنت التى وجهتنى .

- أوه ... ولكننى لم أعن أبداً ... لم تكن لدى أية فكرة ... ان كل هذا بغيض ... ألا تظن ذلك ؟

هز بوارو رأسه فى حزن وقال :- تحدثت الآن إلى مستر رولى ومس مارشمونت وقد سمعت انهما سيتزوجان قريبا .

انتهزت العمة كاتى فرصة انتقال الحديث وأسرعت تقول :-أن لين فتاة ظريفة وهى تجيد الحساب ... اننى لا أعرف شيئاً فى الحساب .. لا أعرف شيئاً على الاطلاق ، ووجود لين بيننا هبة من الله ، فاننى كلما تخبطت ووقعت فى مأزق تعرف كيف تعيد

الامور إلى نصابها . انها ظريفة حقاً وأرجو أن يسعدها رولى . انه رجل ممتاز ولكنه ممل بعض الشئ . أعنى أنه ممل بالنسبة للين قد تنقلت بين مختلف البلدان فى حين انه قضى فى مزرعته طوال فترة الحرب . أو ... ليس الذنب ذنبه فان الحكومة هى التى طلبت منه البقاء ولا يمكن لأحد أن يلومه أو أن يرميه بالجبن ... ولكن يجب الاعتراف بأنه ضيق الافق حقاً .

- ان انتظاره لها ست سنوات لدليل على أنه يحبها .

- أوه ، هو ذلك . ولكن الفتيات اللاتى يتنقلن فى الخارج لا يبقين فى مكان واحد إذا ما عدن إلى الوطن ، وإذا التقين بشاب من الأفاقين ...

- كدافيد هنتر مثلاً ؟

- أوه ... ليس بينهما أى شئ ... أى شئ على الاطلاق ، واننى واثقة من ذلك . لو أن هناك شيئاً بينهما لكان هذا بغيضاً . لا سيما انه قاتل .اوه ، كلا يا مستر بوارو. لا تظن أن هناك أى تفاهم بين لين ودافيد . والواقع أنهما يتشاجران كلما التقيا واشعر ... اوه ... أظن أن زوجى قادم ... تذكر ، ولا كلمة واحدة عن لقائنا الأول . ان زوجى المسكين لينزعج إذا عرف ... اوه ، عزيزى ليونيل ، ها هو مستر بوارو الذى جاء ببورتر فتعرف على الجثة .

كان الدكتور كلود يبدو مرهقاً زائغ البصر وراحت عيناه الشاحبتان الزرقاوان تدوران فى الغرفة فى غموض وقال :

- يسرنى أن أراك يا مستر بوارو ؟ ... هل أنت عائد إلى لندن ؟

قال بوارو يحدث نفسه :- يا الهى ... هذا آخر يريد أن أعود إلى لندن .

وقال فى صوت مسموع :- كلا اننى مقيم فى حانة «الستاج» . لبضعة أيام . قطب كلود جبينه وقال : «حانة الستاج» أوه ... ألا يزال البوليس محتاجاً اليك ؟

- كلا . اننى باق بمحض اختيارى .

ومضت عينا الدكتور فجأة وقال :- حقاً ... نتيجة التحقيق لا ترضيك اذن ؟

- ما الذى يحملك على هذا الظن يا مستر كلود ؟

- تكلم يا رجل ... أليست هذه هى الحقيقة ؟

غادرت مسز كلود الغرفة لاعداد الشاى واستطرد الدكتور كلود يقول :

- هل تشعر بأن هناك شيئان خاطئاً ؟

أجفل بوارو وقال :- من الغريب أن تنطق بهذا القول . فهل تشعر أنت نفسك بهذا الشعور :

تردد كلود وقال :- كلا . لا أقول ذلك وإنما هو شعور بأن هناك شيئاً غير حقيقى . ان المهدد يلقى حتفه فى الروايات فهل هذا ما يقع حقيقة ؟ ظاهرياً هذا يقع ، ومع ذلك فان الأمر يبدو لى غير طبيعى .

- ألم يرضك تقرير الطبيب الشرعى ؟ ... اننى ألقى سؤالى هذا بصفة غير رسمية طبعاً .

أجاب الدكتور كلود فى تفكير :- كلا ... لا أظن ذلك .

- بل هناك شئ ... أرى أن هناك شيئاً .

عبس الدكتور كلود قليلاً ثم قال متردداً وقد شجعته لهجة بوارو :- ليست لى أية تجارب فى القضايا البوليسية طبعاً ، ومع ذلك فان تقرير الطبيب الشرعى ليست له القيمة التى ينسبها الروائيون اليه ، فاننا غير معصومين ويمكن للعلم أن يخطئ . ومهما يكن من أمر فان التشخيص لا يزيد عن كونه نوعاً من الحدس والتخمين يستند على قليل من المعرفة وبعض الحقائق المعروفة التى تشير إلى أكثر من ناحية . وفى القضية التى تهمنا بالذات فنحن أمام رجل واضح انه قتل ووجد ملقى على الأرض وبجواره ملقاطان . وانه من السخف أن نقول انه ضرب على رأسه بشئ آخر ، ومع ذلك ، وعلى الرغم من انه لم يسبق لى أن رأيت أناساً تهشمت رؤوسهم فاننى أظن أن هذا الرجل ضرب بشئ حاد يختلف كل الاختلاف عن رأس الملقطين المستديرين ... شئ حاد كطرف طوبة مثلاً .

- ألم تذكر رأيك هذا أثناء التحقيق ؟

- كلا . لأنني لم أكن متأكداً خاصة وان جنكنسن ، الطبيب الشرعي كان قاطعاً في استنتاجاته ، ورأيه له وزنه . وقد مضى إلى جلسة التحقيق وفي رأسه فكرة معينة مسبقة بسبب الملقطين اللذين كانا بجوار الجثة . هل يمكن أن يكون قد استخدما في تهشيم رأس القتيل ؟ ... ولكن لو انهم عرضوا عليه الجراح وسألوه عن سببها فانني لا أدري بماذا كان يجيب لأنها جراح تثير الحيرة حقاً ... أعنى انه ربما كان هناك قاتلان ضربه أحدهما بطوبة على رأسه وضربه الآخر عدة ضربات بالملقطين ، ولكن هذا أمر غير معقول .

- ألا يمكن أن يكون قد وقع على رأسه فوق شئ حاد ؟

- كلا . فهو قد وقع على صدره فوق سجادة سميكة .

عادت العمة كاتى فى هذه اللحظة ومعها صينية بها الشاى . وقطب الدكتور ليونيل كلود جبينه وهو يرى كسرة الخبز وطبق المربى الذى يكاد يكون فارغاً وتمتم قائلاً :-

- كل هذا لا يسد رمق قطة .

ثم غادر الغرفة محنقاً وتنهدت العمة كاتى قائلة :- مسكين ليونيل . منذ أن وقعت الحرب وأعصابه متوترة وفى حالة يرثى لها ، فقد أرهق نفسه لأن الجيش جند أكثر الأطباء ولم يمنح نفسه أية راحة وظل يعمل ليل نهار . وانني اتساءل كيف استطاع الصمود . كان ينوى أن يعتزل المهنة طبعاً بعد أن تضع الحرب أوزارها وأن يكرس نفسه لعلم النبات وللكتاب الذى يكتبه عن استخدام النباتات الطبية فى العصور الوسطى . كان ينوى أن يعيش فى هدوء وأن يقوم بأبحاثه كما يشاء ولكن موت جوردون غير كل شئ ثم أن كل شئ ارتفع فى هذه الأيام وزادت الضرائب ولا يستطيع أن يفكر فى الاعتزال الآن واصبح يشعر بالمرارة . والحق أن هذا غير جميل . أعنى أن يموت جوردون هكذا من غير أن يكتب وصيته ... كل هذا ضعضع ايمانى ... اعنى

أنني لا أرى الغرض من الحياة الآن .

وتنهدت ولكن أساريرها لم تلبث أن انبسطت وقالت :- ولكن لحسن الحظ جاءتني توكيدات من الجانب الآخر .. تشجعي واصبري وسوف تخرجين من هذا المأزق . والحق انه عندما جاء الميجور بورتر وأكد ان القتيل هو روبيرت اندرهاي رأيت اننا سوف نخرج حقاً من هذا المأزق وان الأمر ليكون رائعاً يا مستر بوارو حين تنقلب الأوضاع .

قال بوارو :- حتى ولو أدى ذلك إلى ارتكاب جريمة قتل .



دخل بوارو الحانة وهو يفكر ويرتجف في نفس الوقت فقد هبت نسمة باردة من الشرق وتغير الطقس فجأة . وكان البهو مقفراً ففتح باب قاعة الانتظار على اليمين . كانت تعبق برائحة الدخان . وكانت النار قد خبت في الموقد . ومضى بوارو إلى الباب الذي في آخر البهو والمخصص «للنزلاء فقط» حيث وجد ناراً مشبوبة في الموقد ولكنه رأى في مقعد وثير امرأة ضخمة عجوز نظرت إليه في شراسة بحيث آثر أن يتراجع ويغلق الباب.

وصعد السلم وقد استغرقته الأفكار ، وبدلاً من أن يمضي إلى غرفته رقم ١١ انعطف إلى اليمين ووقف أمام الغرفة رقم ٥ ونظر حوله . كان الصمت والسكون مخيمين على المكان ففتح الباب ودخل .

كان البوليس قد فرغ من فحصه الغرفة فاختفى البساط ، ولا ريب أنه أرسل إلى المصبغة للتنظيف . وكانت الأغطية والملاءات مطوية فوق الفراش وأغلق بوارو الباب خلفه وراح يمشي في الغرفة جيئة وذهاباً . كانت نظيفة وخالية من كل ما له طابع نسائي . ولحظ الدولاب الكبير الذي يختفي خلفه الباب المؤدي إلى الغرفة رقم ٤ ، وكان بالغرفة فراش كبير من النحاس والحديد وحوض حديث «ماء بارد وساخن» وفوتيل كبير وثير ومقعد .

وكان الموقد ، ويرجع عهده إلى عهد الملكة فيكتوريا كبيراً يحيط به برقع من الرخام حاد الزوايا ، ولم تكن الملاقط موجودة ، ولكن كان هناك قضيب من الحديد ومجرفة ، وكان يحيط بالموقد نفسه مثاب من الرخام حاد الزوايا . وانحنى بوارو وبلل أصبعه بلعابه ثم حكه فى الناحية اليمنى من المثاب ثم نظر إليه فرأى به طبقة سوداء خفيفة ، وأعاد نفس العملية فى الناحية الأخرى ولكن أصبعه بقى نظيفاً .

ومضى بوارو إلى الحوض وفحصه فى عناية كبيرة هو الآخر ثم دنا من النافذة كانت تشرف على سطح منخفض لا ريب انه سطح جراج . وعلى بعد قليل رأى شارعاً صغيراً . وكان من السهل القدوم من هذا الطريق . ولكنها كانت ملاحظة لا تدل على أى شئ على كل حال . وكان من الممكن مغادرة الحانة من الغرفة رقم ٥ عن طريق السطح دون أن يدرى أحد .

وغادر بوارو الغرفة فى صمت ومضى إلى غرفته . كان الطقس فيها بارداً فاضطر أن يهبط ثانية وان يدخل بكل جرأة الغرفة التى تجلس فيها المرأة العجوز . كانت ذات شعر رمادى وشارب نام . ، وأخذ بوارو مقعداً ودنا من الموقد فخاطبته السيدة فى صوت أجش قائلة :

- ان هذه الغرفة محجوزة للنزلاء فقط .

أجابها بوارو قائلاً :- اننى اعلم هذا ... وأنا مقيم بهذا الفندق .

تأملت المرأة العجوز دقيقة أو دقيقتين قبل أن تعاود الهجوم . ثم قالت متهمة :

- انت أجنبى ؟

- نعـم .

- من رأيى انه يجب أن تعود .

- وأين أعود

أجابته المرأة العجوز :- إلى المكان الذى جئت منه .

وأردفت تقول فى ازدراء :- أجانب !

قال بوارو في صوت معسول :- ان هذا متعذر .

- هراء . اننا دخلنا الحرب لهذا السبب ، أليس كذلك ؟ دخلنا الحرب حتى يستطيع الأجانب العودة إلى بلادهم الأصلية .

لم يجادلها بوارو فى هذه النقطة فقد عرف منذ وقت طويل أن لكل امرئ رأيه الشخصى فى سبب وقوع الحرب . وساد صمت قصير يسوده العداء ثم قالت المرأة العجوز :

- لا أدرى ماذا يكون مصيرنا حقاً ... انني أجئ كل سنة وأقيم فى هذا المكان . لقد مات زوجى فيه منذ ستة عشر عاماً . وهو مدفون هنا وأجيئ كل سنة فأقيم هنا شهراً . وكل سنة والامور تسير من سئ إلى أسوأ ليست هناك أية خدمة . والطعام غير شهى . ويقدمون لنا لحم الخيول على انه لحم البقر.

وأخذها السعال لفرط الحنق ، وعندما هدأ سعالها استطردت تقول :

- لماذا يضعون الاسلاك الشائكة حول المعسكرات ؟ الكى يمنعوا الجنود من الذهاب للقاء الفتيات ؟ أبداً بل ليمنعوا الفتيات من اللحاق بالجنود ... انهن ليتملكهن الجنون إذا ما رأين أى رجل ... أرأيت كيف يرتدين هذه الأيام ... وماذا يضعن فوق رؤوسهن ؟ ... قبعات ؟ ... أبداً بل أشرطة متعوجة وملتوية ويصبغن وجوههن بمختلف الأصباغ والمساحيق ، ويلوّن شفاههن بالأحمر القذر ولا يكتفين بوضع المانيكور فى أصابع أيديهن بل يضعنه كذلك فى أصابع اقدامهن . بل أن الاستهتار بلغ بهن إلى حد انهن يذهبن إلى الكنيسة من غير قبعات وبشعور صففتها أيدى الحلاقين ... شعور ! الا احد يعرف قيمة الشعر الآن ... كنت أستطيع الجلوس على شعرى وأنا شابة .

ألقى بواروا نظرة إلى شعر محدثته الرمادى المجعد . هل يعقل أن هذه المرأة العجوز كانت شابة ذات يوم ؟

- وكانت هناك فتاة فى ذلك اليوم ، وكانت تلف حول عنقها إيشارباً برتقالى اللون

وتغطى وجهها بطبقة كبيرة من الأصباغ والمساحيق ، وكانت من الجرأة بحيث حاولت أن تدخل هنا ولكننى رميتها بنظرة فآثرت الانسحاب .

واستطردت المرأة تقول :- وهى غير مقيمة هنا . لا أحد من ذلك النوع يقيم هنا ، ويسرنى أن أقول هذا . واننى اتساءل ماذا كانت تفعل فى غرفة ذلك الرجل ... هذا بغيض . وقد تحدثت فى هذا مع الفتاة ليبنكوت ولكنها أسوأ منهن جميعاً وانها لتقطع ميلاً أو أكثر لكى تلتقى بأى رجل .

سألها بوارو فى شئ من الاهتمام :- تقولين انها كانت فى غرفة رجل ؟

أسرعت المرأة العجوز تقول وقد سرها أن تجد منه مثل هذا الاهتمام :

- نعم . رأيتها بعينى تخرج من الغرفة رقم ٥ .

- متى كان ذلك يا سيدتى ؟

- فى اليوم السابق لذلك اليوم الذى اقيمت فيه كل هذه الضجة بسبب الرجل الذى قتل هنا .

ما أبغض هذا .. كان هذا المكان محترماً وآمناً قبل ذلك ... ولكنه أصبح الآن ...

- فى أية ساعة من ساعات النهار حدث ذلك ؟

- النهار ؟ ... كان الوقت ليلاً ... فى ساعة متأخرة من الليل ... كانت الساعة قد تجاوزت العاشرة لأننى أصعد إلى غرفتى عادة فى الساعة العاشرة والربع . ورأيتها خارجة من الغرفة رقم ٥ ، وقد نظرت إلى فى وقاحة ثم عادت إلى الداخل وهى تضحك وتحدثت مع الرجل المقيم بالغرفة .

- هل سمعته يتحدث إليها ؟

- ألم أقل لك ذلك . ما أن عادت إلى الداخل حتى صاح بها : «اوه ... اذهبى اخرجى يا فتاة اننى متعب» وليس من الكياسة مخاطبة فتاة بهذه الطريقة . ولكن الذنب ذنبها فهى التى استحقت ذلك ... انها امرأة فاجرة .

قال بوارو :- ألم تذكرى شيئاً من هذا للبوليس ؟ ورمته بنظرة ملائكية . ونهضت

من مقعدها وهي تضحك وقالت :- انني لم احتك طوال عمرى بالبوليس ... البوليس؟ ... انا أدخل إلى قسم البوليس ! .

وغادرت الغرفة وهى ترتعش ، وجلس بوارو دقيقتين يفكر ويداعب شاربه ثم مضى يبحث عن بياتريس ليبنكوت .

- اوه ، نعم يا مستر بوارو ... هل تعنى مسز ليدبيتر العجوز ؟ ... أرملة دكانون ليدبيتر . انها تأتى هنا كل سنة ولكنها متعبة ... ومزعجة جداً . وتعامل الجميع فى فظاظة وخشونة ويبدو أنها لا تفهم أن الامور قد تغيرت فى أيامنا هذه انها تشرف على الثمانين طبعاً .

- ولكنها مازالت صافية الذهن ... هل تدرى ما يدور حولها .

- اوه ، نعم . انها ذكية جداً .

- هل تعرفين أن امرأة زارت القتيل مساء يوم الثلاثاء الذى وقعت فيه الجريمة ؟

اتسعت عينا بياتريس دهشة وقالت :- لا أذكر ان امرأة ذهبت لزيارة القتيل فى أى وقت . ماذا كانت ترتدى ؟

- كانت تضع حول عنقها إيشارباً برتقالى اللون وتغطى وجهها بالأصباغ وكانت تتحدث مع آردن فى الغرفة رقم ٥ فى الساعة العاشرة والربع مساء يوم الثلاثاء .

- صراحة يا مستر بوارو لا أدرى من تكون ... ذهب بوارو بهذا النبأ إلى المفتش سبنس واصغى اليه المفتش فى اهتمام ثم قال :-

- هذا غريب ... اننا نعود دائماً إلى ذلك المثل القديم : «ابحث عن المرأة» .

ونهض واقفاً وذهب إلى آخر الغرفة ولم يلبث أن عاد ومعه أصبع شفاه ناوله لبوارو قائلاً :-

- وجدنا هذا فى غرفة القتيل ، وقد استدللنا منه على أن هناك امرأة مشتركة فى هذه الجريمة .

وضع بوارو طبقة من الاحمر على ظهر يده وقال : انه من النوع الجيد ... احمر

غامق من النوع الذى تستعمله المرأة السمراء عادة .

- نعم . وقد وجدناه فى غرفة القتيل ، وحسبنا انه تدحرج منذ مدة طويلة وبقى تحت الدولاب ... وليست عليه أية بصمات .

- وهل قمت بأية تحريات بشأنه ؟

- نعم . ان روزالين كلود تستعمل هذا النوع من أحمر الشفاه وكذلك لين مارشمونت أما الاحمر الذى تستعمله فرانسيس فأفتح من ذلك ومسز ليونيل كلود لا تستعمل الاحمر على الاطلاق ، ومسز مارشمونت تستعمل لوناً بنفسجياً باهتاً . اما بياتريس ليبنكوت وجلاديس الخادمة فيستعملان نوعاً أرخص .

قال بوارو :- آه ... أرى انك تحريت الامر بما فيه الكفاية .

تنهد سبنس وقال :- ليس بما فيه الكفاية ، فيبدو ان امرأة غريبة مشتركة فى هذه الجريمة ... امرأة فى وارمسلى فيل كان اندرهاى يعرفها من قبل من غير شك .

- وكانت معه فى مساء الثلاثاء الذى وقعت فيه الجريمة ؟

قال سبنس :- نعم ... وهذه الحقيقة تبرئ دافيد هنتر .

- حقـاً ؟

- نعم ، فان فخامته تنازل أخيراً وأعطانا بياناً عن حركاته وسكناته وذلك بعد أن ذهب محاميه اليه ونصحه بأن يكون عاقلاً . واليك بيان ذلك .

قرأ بوارو الورقة المكتوبة على الآلة الكاتبة التى ناوله سبنس اياها :

«غادر لندن فى طريقه إلى وارمسلى فيل بقطار الساعة الرابعة والدقيقة السادسة عشره وبلغ وارمسلى فيل فى الساعة الخامسة والنصف ، ومضى إلى فيروبانك سيراً على الاقدام .

قطع سبنس على بوارو قراءته قائلاً :- وهو يقول انه أقبل هنا لكى يأخذ بضعة أشياء هامة كان بحاجة إليها . رسائل ومستندات ودفتر شيكاته ، ولكى يرى إذا كانت القمصان قد عادت من المصبغة ولم تكن قد عادت طبعاً .

واستطرد يقول وهو يتحدث عن دافيد هنتر :- وغادر فيروبانك فى الساعة السابعة والدقيقة الخامسة والعشرين ، ويقول انه قام بجولة بحيث فاته قطار الساعة السابعة والدقيقة العشرين ، ولم يكن هناك غير قطار الساعة التاسعة والدقيقة العشرين .

سأله بوارو :- وفى أية ناحية قام بجولته ؟

نظر بوارو إلى أوراقه وقال :- مضى ناحية غابة دوين كويس وغابة باتس هيل ولونج ريدج .

- أى الناحية التى تقع حول «البيت الأبيض» .

- أرى انك عرفت جغرافية البلد سريعاً .

ابتسم بوارو وهز رأسه قائلاً :- كلا . اننى لا أعرف الأماكن التى ذكرتها ، ولكننى خمنت ذلك .

قال سبنس وهو يهز رأسه يميناً وشمال :- آه . ويقول انه عندما وجد نفسه فى لونج ريدج أدرك انه ابتعد عن محطة وارمسلى هيث وانه تعمق فى الريف وانه لحق بالقطار فى آخر لحظة وبلغ محطة فيكتوريا فى الساعة العاشرة والدقيقة الخامسة والأربعين ومضى حتى عمارة شيبرد سيراً على قدميه وبلغها فى الساعة الحادية عشرة . وقد عززت مسز جوردون هذا الجزء الاخير من أقواله فيما بعد .

- وهل هناك من يعزز بقية أقواله ؟

- ليس بطريقة قاطعة ، فقد رآه رولى كلود وآخرون عندما وصل إلى وارمسلى هيث ، وكان الخدم بفيروبانك فى الخارج ولكن مفتاح البيت معه ولهذا لم يره أحد منهم، ولكنهم وجدوا بقية سيجارة فى غرفة المكتبة أظن انها اثارت حيرتهم كما انهم لاحظوا بعض الفوضى فى دولاب الملابس ورآه بستانى كان يعمل فى ساعة متأخرة . والتقت به مس مارشمونت فى غابة مارفن وهو يجرى ليلحق بالقطار .

- كلا . ولكنه تكلم فى التليفون مع مس مارشمونت من لندن بمجرد ان بلغها ...

أى فى الساعة الحادية عشره والدقيقة الخامسة .

- وهل تحريتم أمر هذه المكالمة ؟

- نعم . وتأكدنا منها . وقد طلبت لندن رقم ٣٤ بوارمسلى فيل فى الساعة الحادية عشره والدقيقة الرابعة . وهذا الرقم هو رقم تليفون آل مارشمورنت .

تمتم بوارو :- هذا أمر مهم جداً .

واستطرد سبنس يقول :- وقد ترك رولى كلود اينوك آردن فى الساعة التاسعة الا خمس دقائق ، وهو دقيق فى هذه النقطة . وفى نحو الساعة التاسعة وعشر دقائق رأت لين مارشمونت دافيد هنتر يجتاز غابة ماردون . ولنفرض انه قطع الطريق من الحانة إلى المحطة جرياً ، فهل تكفيه هذه المدة القصيرة لكى يتشاجر مع آردن ويقتله ويذهب إلى غابة ماردون ؟ لا أظن ذلك ثم انه ثبت أن آردن لم يقتل فى الساعة التاسعة وانه كان حياً فى الساعة العاشرة والدقيقة العاشرة هذا إذا لم تحلم تلك المرأة العجوز ، وأما أن يكون آردن قد قتلته تلك المرأة التى اسقطت أحمر الشفاه والتى كانت تضع الوشاح البرتقالى حول عنقها . واما أن يكون قد قتله رجل آخر جاء بعد أن غادرته تلك المرأة. وأيا كان القاتل فإنه كسر الساعة واعاد عقاربها لكى تشير إلى التاسعة وعشر دقائق.

- من حسن حظ دافيد هنتر أنه التقى بمس مارشمونت فى غابة ماردون اذن ؟

- نعم . فان قطار الساعة التاسعة والدقيقة العشرين آخر قطار ينطلق من وارمسلى هيث . وكان مزدحماً لأن لاعبى الجولف يعودون به عادة . وما كان ليلحظ أحد دافيد والحق ان موظف المحطة جديد ولا يعرف دافيد معرفة شخصية ، ثم انه لم يستقل سيارة اجرة عندما بلغ لندن . وبهذا ليس هناك من يؤكد أقواله بأنه عاد إلى عمارة شيبرد غير أخته .

لزم بوارو الصمت وسأله سبنس :- ما رأيك فى كل هذا يا مستر بوارو ؟

قال بوارو :- جولة كبيرة حول البيت الابيض ... ولقاء فى غابة ماردون ، ومكالمة تليفونية بعد ذلك ... ولين مارشمونت مخطوبة لرولى كلود ... رأيى أننى أود أن أعرف ماذا دار من حديث أثناء هذه المكالمة .



كان الليل قد هبط منذ وقت طويل ولكن كان لا يزال أمام بوارو زيارة لابد أن يقوم بها . ومضى إلى بيت جيريمى كلود حيث ادخلته خادمة صغيرة تبدو عليها مخائل الذكاء إلى مكتب جيريمى كلود . وإذ وجد نفسه وحده فى الغرفة راح يدور بعينيه فى أرجائها وهى غرفة صارمة مترية . وكانت هناك صورة كبيرة لجوردون كلود على المكتب وصورة أخرى باهتة اللورد ادوارد ترنتون وهو ممتط صهوة جواده . وكان بوارو ينظر إلى هذه الصورة فاحصاً عندما دخل جيريمى .

وأعاد بوارو الصورة مكانها فى شئ من الارتباك وقال :- آه ... معذرة .

قال جيريمى وفى صوته رنة من الترحيب :- هذه صورة صهرى وهو ممتط واحداً من أحسن جياده ، وكان معروفاً باسم شستنات ترنتون ، وكان ترتيبه الثانى فى سباق الدربى سنة ١٩٢٤ . هل تهتم بالسباق ؟

- كلا ، لسوء الحظ .

قال جيريمى فى لهجة جافة :- انه يحتاج إلى مبالغ باهظة ، وقد أفلس اللود ترنتون بسببه واضطر إلى أن ينسحب وأن يعيش فى فرنسا ... نعم ، انها رياضة تتكلف الكثير .

ولكن كانت لهجة الفخر والزهو لا تزال تشوب صوته واستطرد يقول :-

ماذا أستطيع أن أؤدى لك يا مستر بوارو ؟ كأسرة أشعر اننى أدين لك بالفضل والامتنان لانك عثرت على الميجور بورتر الذى قدم لنا الدليل الذى كنا نحتاج اليه .

قال بوارو :- يبدو أن الأسرة كلها شديدة الابتهاج لذلك .

أجاب جيريمى فى برود : هذا أمر سابق لأوانه ، فمازالت هناك اجراءات كثيرة ، ولا تنس أن موت اندرهاى قد ثبت فى أفريقيا ، وستمضى سنوات قبل أن تفلح فى أبطال هذا الوضع ، ثم ان شهادة روزالين كانت قاطعة ... وقد خلفت انطباعاً طيباً ، ولن أبدى

رأياً فى الوقت الحالى ، فلا يدرى أحد كيف تنتهى هذه القضية ؟

ودفع بعض الأوراق بعيداً عنه فى اعياء وقال :- ولكن لماذا أردت أن ترانى ؟

- أردت أن أسألك يا مستر كلود . هل أنت واثق أن أخاك لم يترك وصية ؟ أعنى وصية تالية لزواجه ؟

بدت الدهشة على جيريمى وقال :- لم يخطر لى مثل هذا الأمر أبداً . يقيناً انه لم يكتب وصية قبل مغادرة نيويورك .

- من الجائز انه كتب وصية فى اليومين اللذين قضاهما فى لندن ؟

- أيكون قد ذهب إلى أحد المحامين هناك ؟

- ربما حررها هو بنفسه .

- ومن أين له بالشهود ؟

- ألم يكن معه ثلاثة من الخدم ... أعنى الخدم الذين ماتوا فى نفس الليلة التى مات هو فيها .

- ولكن ماذا تحاول أن تقول ؟ ... إذا كان قد حرر وصية فلابد أنها أعدمت هى الأخرى .

قال بوارو :- هذا هو بيت القصيد . ان أوراقاً ومستندات كثيرة كان المظنون انها اتلفت استطاع العلم اعادة تركيبها فى الأيام الأخيرة . مستندات احترقت داخل خزانات حديدية ولم يستطع أحد قراءتها بعد احتراقها تمكن العلم الحديث من معرفة مضمونها فيما بعد .

- هذه فكرة جديرة بالملاحظة يا مستر بوارو ... ولكننى لا أظن ذلك . لا أظن حقاً أن هناك وصية ما ، فبقدر ما أعرف لم يكن هناك أية خزانة بشيفيلد تيراس ، وكان جوردون يحفظ كل أوراقه فى مكتبه ، ولم نجد بينها أية وصية .

قال بوارو فى اصرار : ولكن من الممكن أن نتحرى هذه النقطة قبل ادارة الغارات الجوية مثلاً . هل تسمح لى بأن أقوم بذلك ؟

- أوه ... بكل تأكيد وأشكرك لاهتمامك هذا . ولكننى لا أعتقد أنك ستفلح فى هذه المهمة ... ولكنها فرصة أمامنا على كل حال ... اذن فأنت تنوى أن تعود إلى لندن فوراً ؟

ضاقت عينا بوارو . كانت اللهفة واضحة فى لهجة جيريمى ... يعود إلى لندن ؟ ... أيصرون كلهم على أن يعود إلى لندن ؟

وقبل أن يتمكن من الرد فتح الباب ودخلت فرانسيس كلود . وأثار إهتمامه شيئان على الفور أولهما أنها كانت تبدو مريضة جداً وبالتالى انها كانت شديدة الشبه بصورة أبيها . وقال جيريمى .

- أن مستر بوارو أقبل لزيارتنا يا عزيزتى .

وأطلعها على رأى بوارو بخصوص الوصيّة فبدا الشك فى عينى فرانسيس وقالت :

- ولكنها فرصة ضئيلة جداً .

- ولكن مستر بوارو ذاهب إلى لندن وسيقوم ببضعة تحريات .

وقال بوارو :- أظن أن الميجور بورتر كان ضابطاً بالدفاع المدنى عن تلك المنطقة .

ارتسم فى عينى فرانسيس وميض غريب وقالت : من هو الميجور بورتر ؟

هز بوارو كتفيه وقال :- ضابط بالجيش اعتزل الخدمة منذ مدة .

- وهل كان فى أفريقيا حقاً ؟

نظر بوارو إليها فى فضول وقال :- بالتأكيد يا سيدتى . ولم لا ؟

أجابت فى شرود : لا أدرى ... انه يثير حيرتى .

قال بوارو :- نعم يا مسز كلود . اننى أدرك ذلك نظرت اليه فى حدة وقد بدت فى عينيها نظرة خوف ثم تحولت إلى زوجها وقالت :-

- جيريمى اننى أشعر بانزعاج بسبب روزالين . فهى قد أصبحت وحدها فى فيروبانك ولا ريب أنها تعيش فى خوف مستمر بعد إلقاء القبض على دافيد فهل تعترض إذا أنا طلبت منها أن تأتى للاقامة معنا .

قال جيريمى فى شك :- هل تظنين أن فى هذا صواب يا عزيزتى .

صواب ؟ أوه ، لا أدرى . ولكننى أتكلم من الناحية الإنسانية ... انها مسكينة لا عون لها .

- لا أظن انها ستقبل

قال المحامى فى هدوء :- افعلى إذا كان هذا يسعدك .

- يسعدنى ؟

أفلتت الكلمة من بين شفتيها فى مرارة غريبة ، ثم رمت بوارو بنظرة شك سريعة وتمتم بوارو :

- أرجو أن تأذنا لى بالانصراف الآن .

وتبعته حتى البهو وهناك سألته : هل أنت عائد إلى لندن ؟

- سأعود إليها غداً ولكننى لن أبقى بها أكثر من أربع وعشرين ساعة ثم أعود إلى حانة «الستاج» حيث تجديننىإذا أردت مقابلتى يا سيدتى .

- ولماذا أريد مقابلتك ؟

لم يرد بوارو على السؤال ولم يزد عن أن يقول :- سأكون بالحانة

وفى تلك الليلة قالت فرانسيس تسأل زوجها :- اننى لا أصدق أن هذا الرجل ذاهب إلى لندن للسبب الذى ذكره . لا أصدق أن جوردون كتب وصية ما . هل تصدق ذلك يا جيريمى ؟

وأجابها صوت متعب يائس : كلا يا فرانسيس ... كلا . انه ذاهب لسبب آخر .

***



حصل بوارو على ما يريد من معلومات بفضل الأوراق التى زوده بها جيريمى كلود، وكانت معلومات أكيدة ومحددة فقد تهدم البيت تماماً وأزيلت الأنقاض حديثاً استعداداً لبناء بيت آخر ، ولم يبق على قيد الحياة غير شخصين فقط هما دافيد هنتر وروزالين كلود . وكان بالبيت ثلاثة من الخدم هم فريدريك جيم وزوجته اليزابث جيم وايلين كوريجان ، وقد مات ثلاثتهم . وقد أخرج جوردون كلود حياً من تحت الانقاض ولكنه لفظ نفسه الأخير وهو فى طريقه إلى المستشفى دون أن يعود إلى صوابه وسجل بوارو أسماء الخدم الثلاثة وعناوين أقاربهم وهو يقول «من الجائز أن يكون أحدهم قد تكلم مع أهله وحدثهم بشئ ما قد يفيدنى فى التحقيق» .

ووجه بوارو قدميه بعد ذلك إلى حيث يقيم الميجور بورتر فقد تذكر أن هذا الأخير قال له انه كان فى الدفاع المدنى أثناء الغارات التى وقعت على لندن وتساءل إذا كان قد قام بالخدمة فى تلك الليلة التى وقعت فيها القنبلة التى دكت بيت شيفيلد تيراس .

أراد أن يسأله عن هذه النقطة بالذات وعن أشياء أخرى .

وفيما هو ينعطف إلى ناصية شارع أدج أجفل إذ رأى شرطياً يقف أمام البيت الذى يقيم فيه الميجور بورتر ، وكان أمام البيت بعض الصبية والرجال تجمعوا فى فضول . وأحس بوارو بقلبه يهبط وهو يدرك المعنى لوجود الشرطى أمام البيت . واعترض الشرطى طريق بوارو قائلاً :

- لا يمكن الدخول يا سيدى .

- ماذا حدث ؟

- أظنك لا تقيم فى هذا البيت يا سيدى (وإذ هز بوارو رأسه بالنفى) فمن كنت تريد زيارته الآن ؟

- كنت أريد زيارة الميجور بورتر .

- أهو من أصدقائك يا سيدى ؟

- كلا . لا أستطيع أن أقول انه صديقى . ماذا حدث ؟

- انه انتحر يا سيدى . آه ها هو المفتش .

وكان الباب قد فتح وخرج منه رجلان ، أحدهما مفتش البوليس المحلى والآخر السرجنت جريفس من شرطة وارمسلى فيل . وعرفه السرجنت بدوره وقدمه إلى المفتش على الفور وقال هذا الأخير :

- من الأوفق أن تدخل .

وعاد الرجال الثلاثة إلى البيت ، وقال جريفس :- جاءتنا مكالمة تليفونية بما حدث فأرسلنى المفتش سبنس ؟

- أهو انتحار ؟

أجاب المفتش :- نعم . يبدو أن القضية واضحة . ولا ريب أن الشهادة التى أدلى بها فى المحكمة قد أثارت قلقه . والناس أمرهم غريب حقاً . ولكنه كان محزوناً فى الفترة الأخيرة وأظن انه كان يعانى من ضائقة مالية فأطلق على نفسه الرصاص من مسدسه .

سأله بوارو :- هل أستطيع أن أراه ؟

- إذا أردت يا مستر بوارو : اصعد معه أيها السرجنت .

وتقدمه جريفس إلى الطابق الأول ، وكانت الغرفة تماماً كما يذكرها بوارو ... السجاد البالى الباهت والكتب والميجور بورتر جالساً فى مقعد كبير . كانت جلسته تبدو طبيعية وان كانت رأسه تميل إلى الأمام شيئاً ، ويده اليمنى مدلاة إلى جواره على السجادة المسدس وكانت رائحة البارود لا تزال تعبق بالغرفة .

وقال جريفس :- حدث هذا منذ ساعتين تقريباً ... ولم يسمع أحد الطلقة ، وكانت صاحبة البيت بالخارج .

عبس بوارو وهو ينظر إلى الرجل الهادئ الذى اخترقت الرصاصة صدغه الأيمن وسأله

جريفس .

- هل تعرف لماذا انتحر يا مستر بوارو ؟

أجاب بوارو فى شرود : نعم ... نعم ... كان لديه سبب وجيه لذلك ، ولكن ليست هنا الصعوبة .

وانتقلت عيناه إلى منضدة صغيرة على يسار بورتر . كان عليها منفضة فوقها غليون وعلبة من الثقاب ولا شئ آخر . ودارت عيناه بالغرفة ثم مضى إلى المكتب .

كان كل شئ مرتباً ، وجميع الأوراق منسقة . فوقها نشافة صغيرة مكسوة بالجلد وبجوارها ريشة وقلمان وعلبة كليبس ودفتر للطوابع ، كان كل شئ مرتباً وموضوعاً بنظام ... حياة عادية وموت مرتب ... ولكن كان ينقص شئ ... طبعاً ... كان هناك شئ ينقص .

وتحول إلى جريفس وقال :- ألم يترك أية رسالة لقاضى التحقيق ؟

هز جريفس رأسه وقال :- كلا . وهذا أمر غريب من رجل عسكرى مثله .

قال بوارو : نعم . هذا غريب جداً .

كان الميجور بورتر دقيقاً فى حياته ولكنه لم يكن كذلك فى مماته . كان كل شئ خاطئاً ... حتى بورتر لم يترك رسالة .

وقال جريفس :- انها صدمة شديدة لآل كلود ... سيعودون الآن من حيث بدأوا وعليهم أن يبحثوا عن شخص آخر يكون قد عرف اندرهاى معرفة وثيقة : هل هناك شئ آخر تريد أن تراه يا مستر بوارو ؟

هز بوارو رأسه وغادر الغرفة خلف جريفس .

والتقيا بصاحبة البيت على السلم ، وكانت امرأة ضخمة ، ما أن رأتهما حتى أسرعت تقول :- أوه لا يمكن أن تتصور مدى الصدمة التى أصابتنى عندما رأيته . اننى مازلت أرتعش حتى الآن . لاشك أنه كان يشكو من قلة ذات اليد . كان المسكين يعيش عيشة الكفاف . ولا يأكل حتى الشبع . وما كان ليقبل أى شئ من أحد . وكان

عليه أن يذهب أمس إلى مكان يدعى أوتشاير ... وارمسلى فيل للإدلاء بشهادته ... وقد أزعجته هذه الشهادة وعاد وقد تغيرت حالته ، فقد قتل رجل من معارفه . وقد هزه المصاب ... ياللمسكين ... وقد ذهبت صباح اليوم إلى السوق واضطررت إلى الوقوف فى الصف ساعتين ، وعندما عدت صعدت لأسأله ان كان يريد قدحاً من الشاى ولكننى وجدته ميتاً والمسدس فى متناول يده . وتملكنى الغثيان وأسرعت إلى البوليس .

ماذا دهى هذه الدنيا التى نعيش فيها ؟

قال بوارو فى بطء : أن الدنيا أصبحت مكاناً صعباً لا يعيش فيها الا الاغبياء .



كانت الساعة قد تجاوزت الثامنة عندما عاد بوارو إلى حانة الستاج . ووجد فى انتظاره رسالة من فرانسيس كلود تطلب منه فيها أن يذهب لزيارتها فأسرع اليها على الفور .

كانت تنتظره فى غرفة الاستقبال ، ولم يكن قد رأى هذه الغرفة من قبل . وكانت النافذة المفتوحة تطل على بستان تنمو فيه أشجار الخوخ . وكانت هناك بعض أزهار التيوليب على المنضدة . وكانت قطع الأثاث ملمعة بشمع العسل والنحاس الذى يحيط بالموقد يبرق ... كانت غرفة جميلة أعجب بها بوارو .

- قلت اننى قد أريد مقابلتك يا مستر بوار ، وكنت على حق . هناك شئ يجب أن أخبرك به . وأظن انك خير من يجب أخباره به .

- ان من السهل دائماً التحدث عن شئ لأحد على علم مسبق به .

- هل تظن انك تعرف ما أريد أن أقول لك ؟

هز بوارو رأسه فقالت :- منذ متى ؟

- منذ اللحظة التى رأيت فيها صورة أبيك . أن ملامح أسرتك لها سماتها المميزة

ما كان لأحد أن يشك فى انكما من أسرة واحدة . فان الشبه كان قوياً بين الصورة وبين الرجل الذى أقبل هنا منتحلاً اسم اينوك آردن .

تنهدت فى أسى وقالت :- نعم ... نعم ... انك على حق ، على الرغم من أن شارل كان ينمى لحيته فقد كان ابن عمى يا مستر بوارو ... وكان هو العضو الفاسد فى الأسرة . ولم أعرفه معرفة وثيقة ولكننا كنا نلهو معاً ونحن طفلان صغيران وقد تسببت الآن فى موته .

وسكتت لحظة . وقال بوارو فى رفق :- اذكرى لى قصتك الآن .

ولكنها قاطعته قائلة :- نعم ... يجب أن تعرف القصة كلها . كنا فى ورطة مالية... كان زوجى يواجه متاعب جدية ... أسوأ نوع من المتاعب كان يمكن أن تقوده إلى السجن ... ومازال هذا الخطر قائماً حتى الآن ... وأرجو أن تفهمنى جيداً يا مستر بوارو . ان هذه الخطة من تدبيرى واعدادى أنا وحدى ولا دخل له فيها فانه ما كان ليشترك فى مغامرة كهذه اما أنا فلم أكن أبالى بالأخطار ، وما كنت لأتورع عن أى شئ . بدأ كل شئ عندما ذهبت لروزالين أحاول أن أحصل منها على قرض . ولو أن الأمر اقتصر عليها هى وحدها فانى أظن أنها كانت تمنحنى هذا القرض ، ولكن أقبل أخوها فى هذه اللحظة وكان حاد المزاج فانقلب على وأغلظ لى وعاملنى بطريقة مهينة بحيث اننى لم أشعر بأى حرج للخطة التى وضعتها للعمل بها . ولكى تفهم الأمر جيداً يجب أن أقول لك أن زوجى أعاد على سمعى حديثاً غريباً سمعه فى النادى . وأظن انك كنت موجوداً بالنادى انت الآخر ، لهذا لا حاجة بى إلى إعادة هذا الحديث ولكنه تناول احتمال بقاء الزوج الأول لروزالين على قيد الحياة ، وطبعاً إذا صح ذلك فانه لا يكون لها الحق فى ثروة جوردون . وكان إحتمالاً مبهماً حقاً . ولكننا رأينا فيه فرصة ضئيلة قد تتحقق . ورأيت انه باستطاعتى أن أفعل شيئاً مستندة إلى هذا الاحتمال . وكان ابن عمى شارل فى انجلترا ، وكان قد خرج لتوه من السجن ولم يكن ليحجم عن شئ . وعرضت عليه الاقتراح . وكان مضمونه التهديد طبعاً لا أكثر ولا أقل . ولكن

خطر لنا اننا قد نفلح ونظفر بشئ . وكان أسوأ ما نخشاه أن يرفض دافيد الدفع . ولم أعتقد أبداً أنه سيلجأ إلى البوليس فان الذين على غراره لا يحبون رجال البوليس .

وقسا صوتها وهى تستطرد قائلة : وسارت الخطة على أحسن ما يكون . وانطلت الحيلة على دافيد بأكثر ما كنا نأمل . ولم يكن فى مقدور شارل بالطبع أن ينتحل شخصية روبيرت اندرهاى إلى الأبد فان روزالين قد تراه فيتهاوى كل شئ ولكن لحسن الحظ انها ذهبت إلى لندن واستطاع شارل أن يوعز بأنه هو روبيرت اندرهاى ، وكما قلت بدا أن الخدعة جازت على دافيد ، وكان مفروضاً أن يأتى بالمال فى الساعة التاسعة من مساء يوم الثلاثاء ولكن بدلاً من ذلك ...

ووهن صوتها وهى تستطرد قائلة :- كان يجب أن نعلم أن دافيد ... كان رجلاً شديد الخطر فقد مات شارل ... قتل ... ولولاى لبقى على قيد الحياة ... ولكننى أرسلته إلى الموت .

وبعد لحظة استطردت فى صوت جاف :- يمكنك أن تتصور مدى الاحساس الذى أحسست به بعد ذلك .

قال بوارو :- ومع ذلك فانك كنت من سرعة البديهة لكى تمضى فى خطتك قدماً فأنت التى أقنعت الميجور بورتر لكى يتعرف على ابن عمك ويقول أنه هو روبيرت اندرهاى .

ولكنها قاطعته تقول على الفور :- كلا . أقسم لك اننى لم أفعل ذلك ... كلا . لم يكن هناك من هو أشد دهشة منى ... كدت أصعق عندما جاء الميجور بورتر وشهد بأن شارل ... هو روبيرت اندرهاى ... لم أستطع أن أفهم شيئاً ... وما زلت لا أفهم شيئاً .

- ولكن بعضهم ذهب إلى الميجور بورتر ... بعضهم أقنعه أو رشاه ... لكى يتعرف على القتيل على أنه روبيرت اندرهاى .

قالت فرانسيس فى لهجة لا تقبل الجدل :- ليس أنا . وليس جيريمى كذلك . لا أحد

منا ، لا أنا ولا هو يقدم على مثل هذا العمل . أوه ، أعرف أن قولي هذا يبدو سخيفاً لك . وتظن انني ما دمت قد أقدمت على التهديد فانني لا أحجم عن مثل هذا الاحتيال ولكن الأمرين منفصلان في ذهني تماماً . يجب أن تفهم انني مازلت أشعر حتى الآن ان لنا الحق في جزء من ثروة جوردون وان ما أخفقت في الحصول عليه شرعاً أحاول الحصول عليه بالمكر والخداع ، ولكن أن أجرد روزالين من كل شئ عمداً بأن أقدم دليلاً كاذباً على أنها ليست زوجة جوردون فهذا شئ لا أفكر في الإقدام عليه حقاً ... وأرجو أن تصدقني يا مستر بوارو .

قال بوارو في بطء : انني أعترف على الأقل بأن لكل منا أخطاءه الخاصة ... نعم انني أصدقك .

ثم نظر إليها في حدة وقال :- هل تعرفين يا مسز كلود أن الميجور بورتر انتحر بعد ظهر اليوم ؟

ارتدت إلى الخلف واتسعت عيناها رعباً وقالت : أوه كلا يا مستر بوارو ... كلا .

- بل انتحر يا سيدتي . كان الميجور بورتر في قرارة نفسه رجلاً شريفاً . كان يعاني ضائقة مالية وعندما جاءه الاغراء لم يستطع المقاومة ككثيرين غيره . بدا له انه يستطيع أن يبرر الكذبة التي كذبها ، وكان متحاملاً جداً على المرأة التي تزوجها صديقه اندرهاي ورأى انها أساءت معاملته ، وهي الآن قد تزوجت مليونيراً ووضعت يدها على ثروته ملحقة الضرر بأهله الذين من لحمه ودمه . كان الاغراء قوياً لكي يجردها من كل شئ وهذا أقل ما تستحق . ثم انه سيستفيد إذا تعرف على القتيل ويضمن مستقبله بذلك فان الثروة إذا ما عادت إلى آل كلود فلابد أن يصيب جزءاً منها... نعم ، انني أستطيع أن أرى الاغراء ولكن ككثير من الرجال الذين على شاكلته كان يفتقر إلى الخيال . كان تعساً ... تعساً جداً أثناء التحقيق ، فقد كان عليه أن يكرر شهادته في المستقبل القريب بعد أن يحلف اليمين ، وليس هذا فقط فقد ألقى البوليس القبض على رجل بتهمة القتل ، وكان الدافع إلى القتل هو شخصية القتيل .

وعاد إلى بيته وواجه الامور بشجاعة وأخذ الطريق الذى خيل له انه أفضل الطرق .

- بأن انتحر ؟

- نعـــم .

تمتمت فرانسيس :- ألم يقل ... من الذى ؟

هز بوارو رأسه سلباً وقال :- كانت له مبادئه هو الآخر . لم يترك ما يشير إلى الشخص الذى دفعه إلى أن يشهد شهادة الزور .

وراقبها فى رقة . هل ومض فى عينيها وميض من الارتياح واطمئنان البال ؟ ... نعم . ولكن من الجائز أن يكون هذا الوميض طبيعى فى مثل هذه اللحظة .

ونهضت ومشت إلى النافذة وقالت :- وهكذا نعود من حيث بدأنا .

وتساءل بوارو عما يدور فى ذهنها .



نطق المفتش سبنس فى اليوم التالى بنفس الكلمات التى نطقت بها فرانسيس تقريباً فقال :-

- وهكذا عدنا من حيث بدأنا ... يتعين علينا الآن أن نعرف من هو اينوك آردن هذا حقاً .

قال بوارو :- أستطيع أن اقول لك هذا أيها المفتش . كان اسمه شارل ترنتون .

أطلق سبنس صفيراً خافتاً وقال - شارل ترنتون ... آه أظن انها هى التى اقحمته فى هذه المسألة ... أعنى مسز جيريمى كلود ، وان كنا لن نستطيع أن نثبت ذلك ... شارل ترنتون ... أظن اننى أتذكر .

هز بوارو رأسه وقال :- نعم . انه من أصحاب السوابق .

- أظن انه تخصص فى سرقة الفنادق ، كان ينزل فى فندق الريتز ويشترى سيارة رولز فيجربها يوماً ويدور بها على المحلات الفخمة ويشترى منها بعض المواد . والرجل

الذى تقف سيارته الرولز أمام أفخم المحال ، لا يفكر أصحاب هذه المحال فى رفض شيكاته ثم انه كان يقوم بدوره خير قيام ويبدو كما لو كان جنتلماناً حقاً . وكان يقضى أسبوعاً وهو يزاول عمله هذا وعندما تبدأ الشكوك حوله يختفى فجأة ويبيع مشترياته بثمن بخس ... شارك ترنتون !

ونظر بوارو وقال :- انك تكتشف أشياء كثيرة يا صاحبى . واستطرد قائلاً :

- هل أسفر التحقيق ضد دافيد هنتر عن شئ .

- سيتعين علينا أن نطلق سراحه . كانت هناك امرأة فى تلك الليلة مع آردن . لم ترها تلك المرأة العجوز فحسب وانما رآها جيمى بيرس بدوره ، وهو يسكر عادة بعد كأس أو كأسين وقد رأى امرأة تخرج من الستاج وتمضى إلى كشك التليفون خارج مكتب البريد ، وكان ذلك بعد الساعة العاشرة بقليل ، وقال انه لا يعرفها ولكنه يعتقد أنها تقيم فى الستاج ... وانها احدى غانيات لندن .

- هل كان على كثب منها ؟

- كلا . كانت على الرصيف المقابل ... من هى بحق الشيطان يا مستر بوارو ؟

- هل ذكر لك أوصافها ؟

- قال انها كانت ترتدى جاكيت من التويد وبنطلوناً وإيشارباً برتقالى اللون حول عنقها ، وهى نفس الأوصاف التى ذكرتها المرأة العجوز .

فمن هى ومن أين أتت وأين ذهبت ؟ ... انك تعرف مواعيد القطارات فهناك قطار الساعة التاسعة والثلث مساء وهو آخر قطار ينطلق إلى لندن . وهناك قطار الساعة السادسة والثلث صباحاً فهل قضت طوال الليل فى الخارج لكى تستقل هذا القطار الأخير . أو هل استوقفت إحدى السيارات التى مرت ليلاً . اننا تحرينا كل ذلك ولكننا لم نستطع أن نصل إلى نتيجة . لم ير أحد أية امرأة غريبة .

قال بوارو فى بطء : ليس من الضرورى أن تكون امرأة غريبة . ان جيمى بيرس كان ثملاً بحيث اختلط عليه الأمر فحسب انه رأى امرأة غريبة ، ولعله رأى فى الواقع

امرأة ترتدى ثيابها بطريقة مختلفة عن المعتاد .

نظر سبنس اليه متسائلاً فقال بوارو :- ألا يمكن أن يكون قد رأى لين مارشمونت . انها قضت مدة كبيرة فى الخارج .

قال سبنس :- كانت لين مارشمونت فى البيت الأبيض مع أمها فى تلك الساعة .

- هل أنت واثق من ذلك ؟

- تقول مسز ليونيل كلود ، تلك المعتوهة زوجة الدكتور انها اتصلت بها بالتليفون فى الساعة العاشرة وعشر دقائق . وكانت روزالين كلود فى لندن . ومسز جيريمى ... اننى لم أرها مرتدية بنطلوناً ثم انها لا تستخدم الاصباغ وهى فوق ذلك لم تعد شابة .

انحنى بوارو إلى الامام وقال :- فى ليلة معتمة ، وفى الشارع الخفيف الضوء لا يميز المرء العجوز من الشاب يا صاحبى .

قال سبنس :- إلام تهدف يابوارو ؟

اضطجع بوارو فى مقعده إلى الخلف وأطبق عينيه وقال :- بنطلون وجاكيت من التويد ووشاح برتقالى اللون حول العنق وطبقه سميكة من الاصباغ واصبع من الاحمر... كل هذا له معناه . ثم اننى قلت لك أن هذه القضية غريبة ، وان القتيل لا تنطبق أوصافه على أوصاف اندرهاى فان اندرهاى كان رجلاً شهماً رجعياً . أما الرجل الذى نزل فى «الستاج» فكان مهدداً مبتزاً بعيداً عن الشهامة وغير رجعى ، ونتيجة لذلك فإنه ليس اندرهاى ولا يمكن أن يكون اندرهاى لأن الناس لا تتغير ، وكان الشئ الذى يثير الاهتمام هو أن بورتر قال انه اندرهاى .

- وحملتك كل هذه الاستنتاجات إلى مسز جيريمى ؟

- حملنى الشبه إلى مسز جيريمى ، فقد كان الشبه شديداً ، وبهذا تأكدت أن القتيل هو شارل ترنتون . ولكن كانت هناك أسئلة أخرى تحتاج إلى ردود ، فلماذا سمح دافيد هنتر لنفسه أن يخضع لتهديد رجل يبتز أمواله . هل هو من ذلك النوع الذى يرضخ للتهديد ؟

كان من الجلى الواضح أنه ليس من هذا النوع . وهو أيضاً تصرف تصرفاً لا يليق به. ثم هناك روزالين كلود . كان تصرفها كله غير مفهوم ولكن كان هناك شئ أردت أن أعرفه . لماذا هى خائفة ، ولماذا كانت تعتقد أن شيئاً ما سيصيبها الآن وقد أصبح أخاها غير موجود لحمايتها . ان شخصاً ما أو شيئاً ما أوحى إليها بهذا الشعور ... لم تكن تخشى ضياع ثروتها ، بل كان الامر أكثر من ذلك ... كانت تخشى على نفسها من الموت .

- يا الهى ... لا أظنك تعتقد يا مستر بوارو ...

- دعنا نتذكر يا سبنس اننا عدنا من حيث بدأنا كما قلت . ومعنى هذا أن آل كلود عادوا من حيث بدأوا ، فقد مات روبيرت اندرهاى فى أفريقيا ، وروزالين كلود تقف الآن حائلاً بينهم وبين الاستمتاع بثروة جوردون كلود .

- هل تظن حقاً أن واحداً منهم ..

- اننى اعتقد هذا ... ان روزالين كلود فى السادسة والعشرين ، وعلى الرغم من غبائها فانها قوية وتتمتع بصحة جيدة ، وقد تعيش حتى السبعين بل قد تعيش إلى أكثر من هذا ، ولكن لنقل أنها قد تعيش أربعة وأربعين سنة اخرى ، أفلا تظن أيها المفتش أن أربعة وأربعين عاماً مدة طويلة لبعض الناس .



١٢

عندما خرج بوارو من قسم البوليس التقى بالعمة كاتى ، وكانت تحمل بين يديها بعض اللفافات وأسرعت اليه وخاطبته فى لهفة قائلة :

- مسكين الميجور بورتر . لا يسعنى الا أن أشعر بأنه أفسد حياته لأنه مادى أكثر من اللازوم . ان حياة الجيش تجعل الانسان ضيق الأفق كما تعرف وعلى الرغم من أنه قضى فترة كبيرة من حياته فى الهند الا انه لم يستفد من الفرص الروحانية ، ومن المحزن أن يضيع المرء فرصاً كهذه .

وهزت العمة كاتى رأسها ورخت قبضتها على لفافة فأفلتت منها سمكه أسرع بوارو فالتقطها وأعادها مكانها ، وقالت العمة كاتى :-

- أوه ... شكراً لك ... آه ... هذا الرجل المسكين ... اننى كما أقول دائماً فى الحياة أموات وفى الموت أحياء ، ولا يدهشنى أبداً أن أرى بعض أصدقائى الأعزاء الذين ماتوا يتقمصون أشكالاً أخرى . ومن يدرى ، قد نمر بهم فى الطريق ... اننى فى الليلة الماضية سألت بعضهم أن يستبدل لى بعض القطع الصغيرة من النقود بقطعة من ذات البنسين لكى أتمكن من استعمال التليفون . ومازلت لا أستطيع أن ... ولكننى أعتقد الآن انه رجل مات منذ وقت طويل لأننى لا أستطيع أن أتذكره وان من العجيب أن تبعث الأرواح اليك بمن تريد فى وقت الحاجة ... أوه ... أرى صفاً طويلاً أمام الخباز ويجب أن أذهب الآن قبل أن ينفذ الخبز .

وعبرت مسز ليونيل الشارع مسرعة وانضمت إلى الصف فى حين مضى بوارو فى طريقه وتجاوز الستاج واتجه إلى البيت الأبيض .

كان يريد أن يتبادل بضعة كلمات مع لين مارشمونت وخطر له أنه لن يسوؤها أن تتحدث اليه .

وتحول عن الشارع الرئيسى ورأى الطريق الذى يمتد من لونج ويلوز إلى التل حيث قصر فيروبانك . وقد تبع شارل ترنتون هذا الطريق يوم الجمعة قبل مقتله . وفى طريقه إلى لونج ويلوز التقى بروزالين كلود وهى عائدة إلى قصرها فلم يعرفها ولم يكن هذا بالأمر المستغرب ما دام لم يكن هو روبيرت اندرهاى وهى أيضاً لم تعرفه لنفس السبب، ولكنها أقسمت حين رأت الجثة أنها لم تر صاحبها من قبل ، فهل فعلت ذلك حرصاً على سلامتها ام أنها كانت مرتبكة فى ذلك اليوم بحيث أنها لم تنظر إلى الرجل عندما التقت به . وإذا صح هذا ففيم كانت تفكر ؟ هل كانت تفكر فى رولى كلود ؟

وتحول بوارو إلى الطريق الجانبى الصغير المؤدى الى البيت الأبيض . كانت الحديقة التى تحيط به جميلة جداً تنمو فيها أشجار من الليلاس والورد وفى وسطها شجرة تفاح

ضخمة بجوارها مقعد مستطيل استرخت فيه لين مارشمونت .

ووقفت فى عصبية عندما سمعت بوارو يقول :- صباح الخير .

- انك اخفتنى يا مستر بوارو . لم أسمعك وأنت آت . أما زلت هنا ، فى وارمسلى فيل ؟

هز بوارو كتفيه وقال :- انه مكان جميل للاستجمام .

قالت لين :- يسرنى انك مازلت هنا .

قال :- انك لا تسأليني كباقى أفراد الأسرة ومتى تعود إلى لندن يا مستر بوارو ؟

- وهل يريدون أن تعود إلى لندن ؟

- يبدو ذلك .

- أما أنا فلا .

- نعم . اننى فهمت ذلك . ولكن لماذا يا آنسة ؟

- لأن بقاءك معناه انك غير راض :- أعنى انك غير مقتنع بأن دافيد هنتر قاتل .

- وهل تهمك براءته إلى هذا الحد ؟

رأى وجهها يحمر خجلاً وهى ترد قائلة :- لا أريد طبعاً أن أرى رجلاً يشنق من أجل جريمة لم يرتكبها .

آه . نعم . طبعاً .

- وقد اضطهده رجال البوليس لأنه أساء معاملتهم . وهذا أسوأ ما فى دافيد ، فهو يلوم رجال البوليس ويثير عداءهم .

- ان رجال البوليس لا يضطهدون أحداً كما تحسبين يا آنسة . أما الاضطهاد فقد صدر من هيئة المحلفين فانهم رفضوا الأخذ بنصيحة قاضى التحقيق وأصدروا حكمهم ضد دافيد بحيث تعين على رجال البوليس أن يلقوا القبض عليه ، ولكننى أستطيع أن أقول لك انهم غير راضين عن هذه النتيجة .

هز بوارو كتفيه فقالت :- من يظنون القاتل يا مستر بوارو ؟

أجاب بوارو فى بطء :- كانت هناك امرأة فى الستاج فى تلك الليلة .

صاحت :- اننى لا أفهم شيئاً . عندما حسبنا أن الرجل هو روبيرت اندرهاى بدا كل شئ بسيطاً . لماذا قال الميجور انه هو اندرهاى إذا لم يكن هو اندرهاى حقاً ؟ . ولماذا انتحر ؟ ... اننا عدنا الآن من حيث بدأنا .

- انت ثالث شخص ينطق بهذا القول .

بدت عليها الدهشة وقالت :- حقاً ؟ ... ماذا تفعل الآن يا مستر بوارو ؟

- أتحدث إلى الناس .

- ولكن الا تستجوبهم فيما يتعلق بالجريمة ؟

- كلا . اننى أكتفى بما يقولون لى .

- وهل هذا يفيد ؟

- فى بعض الأحيان . وانك لتستغربين إذا ما عرفت ما عرفته أنا عن أهالى وارمسلى فيل فى الأسابيع القلائل الأخيرة . اننى أعرف كل صغيرة وكل كبيرة تدور هنا . أعرف مثلاً أن الرجل الذى أطلق على نفسه اسم آردن ذهب إلى القرية عن طريق فيروبانك وانه سأل مستر رولى كلود عن طريقه وانه لم يكن يحمل من المتاع غير حقيبة ظهرية . وأعرف أن روزالين قضت أكثر من ساعة فى المزرعة مع رولى كلود وانها كانت سعيدة جداً هناك على غير عادتها .

قالت لين :- نعم . أخبرنى رولى بذلك . قال انها بدت كما لو كانت فى أجازة .

- آه . هل قال ذلك ؟

وأمسك لحظة ثم استطرد يقول :- نعم . أعرف الكثير مما يدور هنا ، وسمعت الكثير عن متاعب البعض ... متاعبك انت وأمك مثلاً .

- ليس هذا الأمر سراً ... أننا حاولنا جميعاً أن نتسول من روزالين هل هذا ما تعنيه ؟

- لم أقل هذا .

الزائفة كمشبوهين فقط ولكن لن يستطيع أحد أن يشك فى الدور الحقيقى الذى قاما به فى هذه المأساة . وسوف يطلق سراحهما لعدم ثبوت الأدلة .

- ورئيس الوزراء الحقيقى :

- اقتيد هو وأومورفى الى بيت مسز ايفرارد فى هامبستيد ،عمة دانيلز المزعومة . ان اسمها الحقيقى هو فراو برتا ابنتال ، وكان البوليس يبحث عنها فى الاونة الاخيرة . انها لقمة سائغة قدمتها للبوليس الانجليزى ، هذا فضلا عن نفسه ! .. آه كانت خطة بارعة ولكنه لم يقدر ذكاء هرقل بوارو حق قدره .

وأظن أن فى الامكان أن نعذر صديقى فى هذه اللحظة لما تملكه من غرور !

- ومتى بدأت تشك فى الحقيقة لاول مرة ؟

- عندما بدأت العمل كما يجب .. من الداخل . لم أستطع أن أجد مبررا لمحاولة الاعتداء على رئيس الوزراء باطلاق النار عليه . ولكننى حين رأيت أن هذه المحاولة كان من نتيجتها أن اضطر رئيس الوزراء الى الذهاب الى فرنسا معصوب الوجه بدأت أفهم كل شئ . وعندما قمت بزيارة جميع المستشفيات الريفية التى تقع بين وندسور ولندن وتحققت أنها لم تعن أو تضمد جرح رجل أصيب بطلقة مسدس فى خده أيقنت من كل شئ . وبعد ذلك كانت المسألة كلها كما لو كانت لعبة صبيانية بالنسبة لى .

وفى صباح اليوم التالى عرض على بوارو برقية جاءته لا تحمل اسم المكان الذى صدرت منه وبها هذه الكلمات فحسب .

" وصلنا فى الوقت المناسب "

وفيما بعد صدرت جرائد المساء فى ذلك اليوم وبها وصف واف لما دار فى مؤتمر الحلفاء . وذكرت أن مستر ماك آدم قوبل بحفاوة لا مثيل لها وأن خطبته أحدثت أبلغ الأثر وأعمقه بين أعضاء المؤتمر .

* * *

الفصل التاسع

اختفاء مستر دافنهيم

كنت انتظر أنا وبوارو قدوم صديقنا المفتش جاب لتناول الشاى . وكنا نجلس أمام المائدة وقد راح بوارو يصف فى عناية كبيرة الاقداح والاطباق التى اعتادت صاحبة البيت أن تلقيها فوق المائدة فى حركة غير رقيقة .

وكان بوارو قد نفخ فى قوة فى براد الشاى وراح يدعكه بمنديله الحريرى فى حين كانت الغلاية فوق الموقد ، وعلى مقربة منها وعاء صغير من الخزف يحتوى على شيكولاته دسمة كان بوارو يفضلها بكثير عن الشاى .

وسمعنا طرقة خفيفة فى الدور الارضى ، وما هى الا لحظات حتى دخل جاب فى خطوات نشيطة ، وتمتم يقول بعد التحيات العادية :

- ارجو ألا أكون قد تأخرت عليكما ، ولكن الواقع اننى وقفت أثرثر قليلا مع المفتش ميللر الذى انيطت به قضية دافنهيم .

أرهفت اذنى ، فمنذ ثلاثة أيام ولا حديث للصحف الا عن اختفاء مستر دافنهيم ، احد صاحبى بنك دافنهيم وسالمون المعروف ، وهو اختفاء عجيب أثاره حيرة الناس ودهشتهم ، ففى يوم السبت الماضى غادر منزله ولم يعد اليه بعد ذلك ، وتطلعت الى جاب محاولا استخلاص بعض المعلومات المهمة منه وقلت :

- كنت أظن ان من المستحيل أن يختفى أحد فى عصرنا هذا هكذا .

أبعد بوارو طبق التوست عنه قليلا وقال فى صوت جاف :

- توخ الدقة يا عزيزى هاستنجز .. ماذا تعنى بالضبط بكلمة " يختفى " ؟ والى أى نوع من الاختفاء تشير ؟ .

فقلت ضاحكا :

- وهل للاختفاء أنواع اذن ؟

ابتسم جاب بدوره . اما بوارو فقد نظر الينا مقطب الجبين وقال :

- بالطبع . ان له ثلاثة أنواع . أولها واكثرها شيوعا هو الاختفاء الاختيارى ، والثانى هو الاختفاء الذى يسببه فقدان الذاكرة . وهى حالة نادرة ولكنها محتملة الوقوع مع ذلك . وهناك أخيرا الاختفاء الذى ينتج عن جريمة قتل تختفى الجثة على أثرها . فهل تشير بكلمة مستحيل الى كل هذه الانواع الثلاثة ؟

- تقريبا على ما أعتقد . فمن الجائز أن يفقد الانسان الذاكرة ولكن هناك دائما من يتعرف عليه خاصة اذا كان المختفى رجلا مشهورا كدافنهيم ، ثم ان الجثث لا تختفى فان عاجلا وان آجلا يعثرون عليها مخفاة فى مكان مقفر أو داخل حقيبة وتنكشف الجريمة . وكذلك الصراف الذى يختلس والخادم الخائن ، يمكن الاهتداء اليهما فى عصرنا هذا حيث يقوم البرق والتليفون بدور كبير ويمكن بواسطتهما تعقب المجرمين فى الخارج ثم ان فى الامكان مراقبة الموانى والمحطات . اما اذا اختفى احد فى المدينة بالذات فان وجهه يصبح مألوفا لقراء الصحف وتنقلب المدينة نفسها عليه وتصبح عدوه المبين . فقال بوارو :

- ولكنك نسيت شيئا يا عزيزى .. هناك تلك الحالة التى تستقر فيها نية الرجل على اخفاء شخص غيره أو اخفاء نفسه بالذات ، اذا استطعنا أن نعبر عن ذلك مجازا وهو يدبر هذا الاختفاء بطريقة منظمة دقيقة .. أن أى مخلوق على جانب كبير من الذكاء والدقة يمكنه أن يستغل ذكاءه فى هذه الناحية ويستغفل رجال البوليس .

قال جاب مغتطبا وهو يغمز لى بعينه :

- ولكنه لا يستطيع ان يستغفلك انت بالذات يا مسيو بوارو اليس كذلك ؟

حاول بوارو ان يتظاهر بالتواضع وقال :

- ولم لا ؟ .. الواقع اننى أواجه مثل هذه الحالات بطريقة علمية ودقة حسابية يخيل لى ان الغالبية الكبرى من مخبرى الجيل الجديد لا يتمتعون بهما .

اتسعت ابتسامة جاب وقال : - ولكن ميللر الذى يضطلع بهذه القضية رجل فائق الذكاء ولك ان تثق انه لن يدع كبيرة او صغيرة الا بعد ان يقتلها فحصا وتمحيصا . ان له عينين حادتين لا يفوتهما شئ .

فقال بوارو : - وكذلك الباشق الانجليزى ياسيدى ، ومع ذلك فلن أطلب من هذا الطائر الصغير ان يحيط اللثام عن سر اختفاء دافنهيم .

- أظنك لن تدعى الان أن التفاصيل لا قيمة لها كأدلة ؟

- كلا . ان لكل نقطة أهميتها ولكن الخطر يكمن فى المبالغة بهذه الاهمية فان بعضها تافه وقليل منها يمكن ان تكون له أهمية كبرى .

وضرب بوارو جبينه بيده واستطرد : - ولكن المهم هو العقل الذى يعمل .. ان الادلة خادعة ، ويجب البحث عن الحقيقة فى الداخل وليس فى الخارج .

- هل تعنى بقولك هذا يا مسيو بوارو انك تستطيع ان تحيط اللثام عن مثل هذا الاختفاء من غير ان تتحرك من مقعدك ؟

- هو ذلك .. على فرض ان تزودنى بكل التفاصيل .. اننى سأعتبر نفسى فى هذه الحالة كالخبير الذى يلجأون الى مشورته .

ضرب جاب ركبته بيده وقال : - على اللعنة اذا لم أخذك بكلمتك هذه . أراهنك بخمسة جنيهات على أنك لن تستطيع أن تعرف أو أن تذكر لى كيف أعثر على مستر دافنهيم سواء كان ميتا أو على قيد الحياة وذلك فى بحر أسبوع .

فقال بوارو : - حسنا يا صديقى . اننى اقبل الرهان . ان الرياضة هى ولعكم

الوحيد يا معشر الانجليز والان الى بالوقائع .

- فى يوم السبت الماضى ، استقل مستر دافنهيم كما هى عادته ، قطار الساعة الثانية والدقيقة الاربعين من محطة فيكتوريا الى شنجسايد حيث يقع قصره الريفى الفخم المعروف باسم " الارز " . وبعد ان فرغ من الغداء اخذ يتمشى فى حديقته مصدرا تعليماته للبستانيين . وقد اتفق الجميع على ان تصرفاته كانت عادية جدا ، وبعد تناول الشاى أطل برأسه فى مخدع زوجته وقال لها انه ذاهب الى القرية لتسجيل بضع رسائل ثم اردف يقول انه ينتظر قدوم من يدعى مستر لوين لزيارة خاصة بالعمل وأنه اذا اقبل هذا الاخير فعليهم أن يمضوا به الى غرفة المكتبة لكى ينتظره هناك ، وغادر البيت بعد ذلك من الباب الامامى وعبر الممشى الى الخارج ، واجتاز عتبة الباب ولم يره أحد بعد ذلك ، واختفى منذ تلك اللحظة تماما .

فتمتم بوارو : - هذا جميل جدا .. هذه مشكلة صغيرة ظريفة .. استمر يا صديقى العزيز .

- وبعد ذلك بربع ساعة طرق الباب رجل طويل القامة أسمر اللون له شارب غزير وقال انه على موعد مع مستر دافنهيم وذكر ان اسمه لوين ، وطبقا للتعليمات التى أصدرها المالى مضوا بمستر لوين الى غرفة المكتبة ومرت نحو ساعة ولم يعد مستر دافنهيم . واخيرا دق مستر لوين الجرس وقال للخادم الذى أقبل انه لا يستطيع الانتظار اكثر من ذلك وان عليه ان يلحق بقطار المدينة ليعود الى بيته . واعتذرت مسز دافنهيم لغياب زوجها الذى لا مبرر له ، خاصة وانه كان يتوقع قدوم زائره . وكرر مستر لوين اسفه وانصرف .

حسنا .. لم يعد مستر دافنهيم كما يعرف الجميع وفى وقت مبكر من صباح يوم الاحد اخطرت الجهات المسئولة ولكنهم لم يفهموا شيئا فقد بدا ان مستر دافنهيم قد تبخر فى الهواء . اذ اتضح انه لم يذهب الى مكتب البريد وان أحدا لم يره فى القرية .

وفى المحطة اكد الموظفون كل التأكيد انه لم يستقل اى قطار ثم ان عربته الخاصة كانت لا تزال موجودة فى الجاراج . واذا كان قد استأجر سيارة أجرة من مكان ما فقد كان المفروض ان يبادر السائق بالذهاب الى رجال البوليس واطلاعهم على ذلك نظرا الى المكافأة الضخمة المعروضة .

وصحيح انه كان هناك سباق فى انفيلد ، وهى تقع على بعد خمسة أميال واذا كان قد مضى الى محطة أنفيلد فمن الجائز ان يكون قد سافر من غير ان يلحظه احد فى الزحام الشديد . ولكن الصحف نشرت صورته بعد ذلك كما نشرت وصفا دقيقا عنه ولم يتقدم أحد بأية معلومات عنه . وقد جاءتنا خطابات كثيرة بالطبع من جميع أنحاء انجلترا ولكنها لم تؤد الى أية نتيجة .

وفى صباح يوم الاثنين وقع اكتشاف مثير ، فقد كانت هناك خزانة فى غرفة مكتب مستر دافنهيم خلف ستارة ، وقد اتضح ان هذه الخزانة قد اغتصبت وان كل محتوياتها سرقت . وكانت النوافذ موصدة باحكام من الداخل مما يبعد احتمال أية سرقة عادية ما لم يكن هناك شريك يكون قد اوصد النوافذ من الداخل بعد السرقة . اما اذا كان هذا لم يحدث ونظرا الى الفوضى التى عمت البيت يوم الاحد فمن الجائز أن تكون السرقة قد وقعت يوم السبت بالذات وبقيت حتى يوم الاثنين قبل ان يتم اكتشاف أمرها .

فقال بوارو : - هو ذلك . وهل القيتم القبض على ذلك المسكين لوين ؟

اغتصب جاب ابتسامة واجاب : - لم يلق عليه القبض بعد ولكنه يخضع لرقابة مشددة .

أومأ بوارو برأسه وقال : - وما الذى سرق من الخزانة ؟ .. الديك فكرة عن ذلك ؟

- اننا فحصنا الامر مع شريك مستر دافنهيم ومع زوجته ويبدو انه كان بالخزانة مبلغ جسيم من المال عبارة عن سندات مالية لحاملها وأوراق بنكنوت لانه كان قد فرغ من صفقة كبيرة رابحة كما كانت هناك مجموعة ضخمة من الحلى والمجوهرات فان

جميع حلى مسز دافنهيم ومجوهراتها كانت بالخزانة فقد أولع مستر دافنهيم فى الفترة الاخيرة بشراء المجوهرات وكان لايمر شهر الا ويقدم لزوجته هدية ثمينة .

فقال بوارو فى تفكير : - هى غنيمة كبيرة طبعا .. وماذا عن لوين ؟ . هل تعرفون سبب زيارته لمستر دافنهيم فى تلك الليلة .

- حسنا . لم يكن الرجلان على وفاق تام فى الظاهر فان لوين يشتغل بالمضاربات ولكن فى حيز ضيق ، ومع ذلك فقد استطاع أن يتفوق على مستر دافنهيم فى السوق مرة أو مرتين وان كان يبدو انهما لا يلتقيان الا نادرا .. وقد ضرب مستر دافنهيم له موعدا للتشاور معه فى بعض اسهم أمريكا الجنوبية .

- وهل يهتم دافنهيم بأسهم أمريكا الجنوبية ؟

- أظن ذلك ، فقد حدث أن ذكرت لى مسز دافنهيم أن زوجها قضى الخريف الماضى فى بونس ايرس .

- الا تسود حياته العائلية اية شائبة ؟ .. هل الزوجان على علاقات طيبة ؟

- أظن أن حياته الزوجية هادئة لا يشوبها أى شئ ان مسز دافنهيم امرأة رقيقة لا تتمتع بأى قسط من الذكاء .. انها امرأة تافهة جدا .

- لا يجب أن نبحث عن سبب اختفائه فى هذه الناحية . هل له اعداء ؟

- كان له أعداء كثيرون طبعا ، ولا شك ان هناك الكثيرين الذين لم يحالفهم الحظ مثله وتفوق عليهم فى ميدان العمل لا يكنون له أى ود . ومع ذلك فليس بينهم من يخطر له أن يتخلص منه ، واذا كان هذا قد حدث حقا فأين ذهبت الجثة ؟

- تماما .فكما يقول هاستنجز فان الجثث تظهر مهما طال اختفاؤها .

- وبهذه المناسبة يقول أحد البستانيين انه رأى رجلا على مقربة من البيت بجوار حديقة الورد . ونافذة غرفة المكتب كبيرة تؤدى الى حديقة الورد المذكورة ، وكثيرا ما دخل مستر دافنهيم البيت أو غادره عن طريقها . ولكن صاحبنا البستانى كان يقف

على مسافة بعيدة ، وكان منهمكا فى عمله ولا يستطيع أن يجزم اذا كان ذلك الرجل هو سيده أو اذا كان رجلا آخر غيره . وكذلك لا يستطيع ان يحدد الساعة التى رآه فيها ولاريب أن ذلك قد حدث قبيل السادسة لان البستانيين يفرغون من عملهم عادة فى مثل هذه الساعة .

- ومتى غادر مستر دافنهيم البيت ؟

- فى نحو الخامسة والنصف .

- وماذا يقع خلف حديقة الورد ؟

- بحيرة .

- وهل هناك حظيرة للقوارب ؟

- نعم . ويحتفظون فيها بقاربين اتراك تظن ان فى الامر انتحارا يا مسيو بوارو حسنا ، من الاوفق أن أقول لك أن ميللر سينزح البحيرة غدا فهو من ذلك النوع من الرجال الذين يمارسون عملهم بكل دقة .

ابتسم بوارو فى ضعف وتحول الى قائلا : - ناولنى جريدة الديلى تلغراف يا هاستنجز .. ان فيها صورة واضحة للرجل المختفى على ما اذكر .

نهضت وجئته بالنسخة المطلوبة . ونظر بوارو الى الصورة فى دقة وتمتم :

- آه .. شعره طويل متموج وشاربه كثيف وله لحية مدببة وحاجبان غزيران .. أهو أسود العينين ؟

- نعم .

- وهل بدأ المشيب يدب الى شعر رأسه ولحيته .

أومأ المفتش بالايجاب وقال : - ما رأيك فى كل هذا يا مسيو بوارو ؟ .. هل وضحت لك هذه القضية ؟

- على العكس .. انها شديدة الغموض .

بدا السرور على وجه مفتش سكوتلانديارد ، وقال بوارو فى لهجة مهذبة :

- وهذا ما يجعلنى كبير الأمل فى اماطة اللثام عنها .

- أيه ؟

- حين تكون القضية غامضة فاننى أرى فى ذلك ما يبشر .. اما اذا كانت تبدو واضحة فكن على حذر لان هناك من يحاول أن يجعلها تبدو كذلك .

هز جاب رأسه فى شئ من الوقار وقال : - حسنا .. لكل منا رأيه الخاص .. ولكن لا ضير فى أن ترى الطريق أمامك بكل وضوح .

فقال بوارو : - أما أنا فلا أرى .. اننى أطبق عينى .. وأفكر .

تنهد جاب وقال : - حسنا .ان أمامك أسبوعا كاملا لكى تفكر فى هذا الموضوع .

- وستأتينى بكل ما قد يأتيك من معلومات وتفاصيل جديدة .. وكل النتائج التى قد يصل اليها ذلك الرجل المجد الثاقب النظر وأعنى به المفتش ميللر ؟

- طبعا . فالرهان يشمل كل هذا .

وقال جاب وأنا أشيعه حتى الباب : - شد ما أشعر بالخجل .كأننى أسرق طفلا . لم يسعنى الا أن ابتسم ، وكنت لا أزال ابتسم حتى عدت الى الغرفة . وقال بوارو مسرعا .

- حسنا .. انكما تسخران من بوارو ، أليس كذلك ؟

وهز أصبعه فى وجهى وقال :- انكما لا تثقان فى مقدرتى الذهنية .. آه .. دع عنك هذا الارتباك ولنناقش هذه المشكلة الصغيرة .. أوافقك على أنها لم تتم فصولا بعد ولكنى أرى فيها نقطة أو نقطتين على جانب كبير من الاهمية .

فقلت بلهجة ذات مغزى : - هل تعنى البحيرة ؟

- بل أكثر من البحيرة .. حظيرة القوارب .

نظرت اليه نظرة جانبية . كان يبتسم ابتسامته الغامضة وأحسست أنه لا جدوى

فى تلك اللحظة بالذات من أن أسأله أكثر من هذا .

ولم نسمع عن جاب حتى مساء اليوم التالى حين اقبل فى نحو الساعة التاسعة ورأيت من ملامحه على الفور أنه جاء معه بانباء جديدة .

وسأله بوارو : - حسنا يا صديقى ؟ .. هل كل شئ على ما يرام ؟ .. لا تقل لى أنكم عثرتم على جثة مستر دافنهيم فى البحيرة لاننى لن أصدق ذلك .

- اننا لم نجد الجثة ولكننا وجدنا ثيابه .. الثياب التى كان يرتديها فى ذلك اليوم بالذات فما رأيك فى ذلك ؟

- ألا تنقص ثياب أخرى فى البيت ؟

- كلا . ووصيفه قاطع فى هذه الناحية فان بقية ثيابه كاملة .. بل هناك أكثر من ذلك . اننا القينا القبض على لوين ، فان احدى الخادمات . وهى المكلفة باغلاق نوافذ البيت عند دخول الليل تقول انها رأت لوين يتقدم نحو غرفة المكتبة من ناحية حديقة الورد فى نحو السادسة والربع ، أى قبل أن يغادر البيت بعشر دقائق تقريبا .

- وبماذا يعلل هو نفسه ذلك ؟

- انكر أنه غادر غرفة المكتبة فى البداية ، ولكن الخادمة كانت متأكدة مما تقول . واذ رأى ذلك قال انه نسى فعلا انه خرج من النافذة ليفحص زهرة غريبة رآها فى حديقة الورد ، وهى قصة ضعيفة اذا شئت ثم أنه ظهر دليل آخر ضده ، فان مستر دافنهيم كان يحمل دائما خاتماً كبيرا من الذهب به فص من الماس فى الاصبع الاصغر من يده اليمنى . وقد رهن رجل يدعى بيلى كيليث هذا الخاتم فى لندن مساء السبت الماضى .. وكيليث هذا معروف فى ادارة البوليس وسبق أن قضى فى السجن ثلاثة شهور فى الخريف الماضى لانه سرق ساعة أحد المواطنين ، ويبدو أنه حاول ان يرهن ذلك الخاتم خمس مرات متوالية فى لندن قبل ان يفلح أخيرا فى رهنه . وقد شرب بثمنه فى تلك الليلة حتى سكر واعتدى على أحد رجال البوليس فاقتاده هذا الى القسم حيث

سيق الى السجن . وقد ذهبت الى السجن أنا وميللر ورأيناه . وهو قد أسترد صوابه الان ولا أجد ضيرا فى أن أقول اننا أفزعناه كثيرا وقلنا له أنه قد يتهم بتهمة جريمة القتل واليك قصته ، وهى قصة غريبة طبعا .

" قال انه شاهد السباق فى انفيلد يوم السبت الماضى وأنا شخصيا أقول انه ذهب الى انفيلد بقصد النشل ، ومهما يكن فهو لم يفلح فى سرقة أحد فى ذلك اليوم وصاحبة النحس . ويقول انه سار فى طريق شنجسايد وانه توقف لكى يستريح بجوار فندق على مشارف القرية ، وانه بعد دقائق قلائل رأى رجلا يأتى من ناحية القرية ، وكان رجلا اسمر اللون له شارب كبير .. رجل من رجال المدينة المتأنقين .. هكذا وصف الرجل .

وكان كيليث يقف خلف كومة من الحجارة فلم يره الرجل ، وقبل ان يصل هذا الاخير الى مستواه ردد البصر حوله مسرعا ، واذ رأى أن الطريق خال أخرج من جيبه شيئا دقيقا ألقى به من فوق السياج ثم أسرع نحو المحطة . ووقع ذلك الشئ الذى ألقاه الرجل خلف السياج محدثا صوتا معدنيا اثار فضول صاحبنا الذى فى الخندق فأسرع يبحث عنه . وبعد تفتيش يسير عثر على الخاتم . هذه هى قصة كيليث .. وأسارع فأقول ان لوين يكذب ، ولا يمكن طبعا أن نثق فى كلمة نشال مثل كيليث . ومن الجائز ان هذا الاخير التقى بدافنهيم فى الطريق فقتله لكى يسرقه .

هز بوارو رأسه وقال : - هذا بعيد الاحتمال يا صديقى .. لم يكن فى استطاعته اخفاء الجثة . ولو أنه قتله كما تقول لكانوا قد عثروا عليها الان ، ثم أن الطريقة التى رهن بها الخاتم تثبت انه لم يقتل لكى يحصل عليه .ثالثا : ان النشال نادرا ما يقتل رابعا : طالما أنه كان فى السجن منذ يوم السبت فانها لمصادفة عجيبة أن يتمكن من وصف لوين بكل هذه الدقة .

أومأ جاب برأسه وقال :

- لعلك على حق . ومهما يكن من أمر فانك لن تجد رجلا واحدا بين هيئة المحلفين يصدق كلمة ينطق بها أحد نزلاء السجن السابقين ، وأن الذى استغربه حقا هو أن لوين لم يجد وسيلة أفضل من هذه للتخلص من الخاتم .

هز بوارو كتفيه وقال : - حسنا .. مهما يكن من أمر فلو أننا وجدنا الخاتم فى الانحاء لامكننا أن نعتقد أن دافنهيم هو الذى القاه بنفسه .

فصحت أقول : - ولكن لماذا ينزعونه من أصبع الجثة ؟

فأجاب جاى : - لعل هناك سببا لذلك . هل تعرف ان هناك بابا صغيرا خلف البحيرة يؤدى الى التل ، وأنه على مسيرة ثلاث دقائق من هذا الباب يوجد .. مستودع للجير .

فصحت : - يا الهى ! .. هل تعنى ان الجير يمكن أن يحرق جثة وأنه لا يؤثر على خاتم الذهب .

- هذا ما أعنيه تماما .

قلت : - يبدو لى أن هذا يفسر كل شئ .. يا لها من جريمة بشعة !

تحولنا فى حركة واحدة ونظرنا الى بوارو . بدا مستغرقا فى أفكاره ، مقطب الجبين كما لو كان يبذل مجهودا جبارا لكى يركز ذهنه . وأحسست أخيرا أن عقله سيبرهن على ذكائه ومقدرته . ماذا تكون أولى كلماته ؟ .. ولم انتظر طويلا فقد تنهد بوارو وتراخت عضلات وجهه وخاطب جاب قائلا :

- هل تعرف اذا كان مستر دافنهيم وزوجته يرقدان فى مخدع واحد ؟

بدا لى هذا السؤال فى غير موضعه بصورة غريبة بحيث اننا وقفنا نحملق فيه مشدوهين .. وأخيرا ضج جاب بالضحك وقال :

- يا الهى ! ظننت أنك ستقول لنا شيئا خطيرا يا مسيو بوارو .. وردا على سؤالك هذا أقول لك اننى لا أدرى .

فقال بوارو فى اصرار عجيب : - ولكنك تستطيع ان تعرف ذلك .

- أوه طبعا .. اذا كنت تريد ان تعرف ذلك حقا .

- شكرا لك يا صديقى .. أكون ممتنا لك كثيرا اذا اهتممت بذلك .

حملق جاب فيه بضع دقائق ولكن بوارو بدا انه نسينا نحن الاثنين .

وهز المفتش رأسه فى حزن وتمتم :

- مسكين بوارو .. لقد أثرت فيه الحرب كثيرا . ثم غادر الغرفة فى رفق . واذ القيت بوارو غارقا فى تأملاته . أخذت ورقة وقطعت الوقت فى تدوين بعض الملاحظات . وتنبهت أخيرا على صوت صديقى ، فقد استعاد نشاطه وقال يسألنى فجأة .

- ماذا تفعل يا صديقى ؟

- اننى أدون ما بدا لى من نقاط هامة فى هذه القضية .

فقال بوارو موافقا : - انك عرفت النظام اخيرا .

اخفيت سرورى وقلت :- هل اقرأ لك مادونت ؟

- طبعا .

تنحنحت ثم قلت : - اولا : كل الدلائل تشير الى أن لوين هو الرجل الذى اغتصب الخزانة .

ثانيا : انه يحقد على دافنهيم .

ثالثا : انه كذب فى أقواله الاولى اذ قال انه لم يغادر غرفة المكتب ابدا .

رابعا : اذا اعتبرنا أن بيلى كيليث يقول الحقيقة فلابد ان يدان لوين .

امسكت وسألته لاننى كنت أشعر اننى وضعت أصبعى على الحقائق الحيوية .

- حسنا ؟

نظر بوارو الى فى رثاء ثم هز رأسه فى رفق كبير وأجاب :

- أى صديقى المسكين ! .. لا يمكن ان تقول انك رجل موهوب . انك لا ترى النقطة المهمة أبدا .. ثم ان تعليلك خاطئ .

- وكيف ذلك ؟

- دعنى أفند نقاطك الاربع أولا .

" أول كل شئ لم يكن فى مقدور لوين ان يعرف ان الفرصة ستواتيه لكى يفتح الخزانة فهو قد اقبل لزيارة قصيرة ولم يكن يعرف قبل مجيئه أن مستر دافنهيم سيكون غائبا لكى يسجل رسالة ، وأنه بناء على ذلك سيبقى وحده فى غرفة المكتب .

فقلت : - من الجائز انه انتهز الفرصة .

- والادوات ... ان الناس لا يتجولون وفى جيوبهم أدوات العمل لعل الفرصة تسنح لهم . ولا يمكن استخدام مطواة لفتح هذه الخزانة طبعا .

- حسنا . وثانيا ؟

- قلت أن لوين يحقد على دافنهيم وأظنك تريد أن تقول أنه تفوق على دافنهيم مرتين فى المضاربات . وقد عادت عليه هذه المضاربات بشئ من الربح طبعا وعليه فلا يمكن أن يحقد على رجل تفوق هو عليه .. بل ان الامر كان يجب أن يكون على عكس ذلك .. كان يجب أن يحقد دافنهيم على لوين .

- حسنا . لا يمكن ان ننكر انه كذب فى اقواله الاولى وانه لم يغادر غرفة المكتب ابدا .

- هذا صحيح . ولكن لعل الخوف هو الذى دفعه الى انكار ذلك وتذكر ان ثياب الرجل المختفى وجدت فى البحيرة ، وبالطبع كان الافضل له ان يذكر الحقيقة .

- والنقطة الرابعة ؟

- اننى اوافقك على قولك ، فاذا كانت قصة كيليث حقيقة فان لوين لابد أن يدان هذه النقطة بالذات تجعل القضية على جانب من الاهمية .

- اذن فقد وقفت على نقطة هامة .

- ربما . ولكنك تغاضيت حقا عن أهم نقطتين وهما نقطتان يتوقف عليهما مفتاح القضية كلها .

- وما هما ؟

- أولا : ولع مستر دافنهيم بالحلى والمجوهرات فى السنوات الاخيرة . والثانى رحلته الى بونى ايرس فى الخريف الماضى .

- هل تمزح يا بوراو ؟ .

- بل اننى اجد كل الجد .. آه ! .. اللعنة ! .. ولكن أرجو أن لا ينسى جاب ما طلبته منه .

ولكن المفتش لم ينس شيئا ، فقد رأى ان يساهم فى فرحه بوارو ، وفى نحو الساعة الحادية عشرة جاءت لبوارو ، برقية فضضتها بناء على طلبه وقرأت بصوت مسموع :

" الزوجان يرقد كل منهما فى غرفة منفصلة عن الاخرى منذ الشتاء الماضى " .

وصاح بوارو : - آه .. ونحن الان فى منتصف شهر يونيو .. لقد وضح كل شئ .

واذ نظرت اليه مشدوها قال يسألنى : - أليس لك حساب فى بنك دافنهيم وسالمون يا صديقى ؟

فأجبته وقد ازدادت بى الدهشة : - كلا . لماذا ؟

- لانه لو كان لك حساب فيه لنصحتك بأن تسحب كل أموالك .. قبل أن يفوت الاوان .

- ماذا تتوقع ؟

- اننى اتوقع ان يفلس البنك فى الايام القليلة القادمة .. بل لعله يعلن افلاسه قبل ذلك . وهذا يذكرنى بأنه يجب أن أرد على برقية جاب ببرقية أخرى مجاملة له .

ارجو أن تعطينى ورقة وقلما : " انصحك بأن تسحب كل الاموال المودعة فى البنك المذكور " . ستثير هذه البرقية حيرة جاب وستتسع عيناه .. وستزداد اتساعا .. ولكنه لن يفهم شيئا .. لن يفهم أى شئ حتى غدا صباحا .. أو ربما بعد غد .

ولكنى كنت متشككا فى هذه الناحية . غير انى اضطررت ان ابدى كل تقديرى واحترامى لموهبة صديقى العجيبة فقد صدرت جميع الجرائد فى صباح اليوم التالى وفى صفحاتها الاولى عنوان عن افلاس بنك دافنهيم واتخذ اختفاء المالى الكبير صورة أخرى مختلفة كل الاختلاف على ضوء السجلات الرسمية للبنك .

وبينما نحن نتناول طعام الافطار انفتح الباب واندفع المفتش جاب وفى يده اليسرى ورقة وفى اليمنى برقية بوارو . والقى هذه الاخيرة على المائدة امام صديقى صائحا :

- كيف عرفت يا مسيو بوارو ؟ .. كيف عرفت بحق الشيطان ؟

ابتسم بوارو فى برود وأجاب : - آه يا صديقى .. لقد جاءتنى برقيتك باليقين ، فمنذ البداية بدت لى سرقة الخزانة شيئا عجيبا . حلى ومجوهرات وأوراق بنكنوت وسندات لحاملها .. كل هذا شئ عملى ولكن من الذى يستفيد منه حسنا .. هو هذا الرجل الطيب دافنهيم الذى لا يفكر الا فى نفسه . بدا لى كل شئ كما لو كان مدبرا من اجله هو بالذات تقريبا .. ولعله فى السنوات الاخيرة بالمجوهرات وتهافته ما اسهل ذلك ! .. ان المبالغ التى كان يختلسها كان يحولها الى مجوهرات وما من شك فى أنه كان يستبدلها فيما بعد بمجوهرات زائفة لكن طبق الاصل من المجوهرات الحقيقية . وهكذا وضع فى مكان أمين وتحت اسم آخر اسمه ثروة لا يستهان بها كان ينوى أن يستمتع بها عندما ينسى الناس أمره وبعد أن فرغ من اجراءاته هذه ضرب موعدا لمستر لوين الذى دفعته حماقته الى التفوق عليه مرتين ، ثم أحدث ثقبا فى الخزانة وأصدر تعليماته ليدخلوا زائره المكتب بمجرد قدومه ثم غادر البيت فهل تعرف الى أين ؟

أمسك بوارو ومد يده وتناول بيضة مسلوقة أخرى وعبس قائلا :

- ضعى هذا حول جبينك يا آنسة . سيزول الألم على الفور .

شكرته لين فى صوت أجش . كانت تشعر بأنها تعيش كابوساً رهيباً .. أحست بأنها على أسوأ ما يكون وآلمها عنقها ألماً شديداً ووقفت على قدميها وهى تترنح . وأرشدها بوارو فى رفق إلى مقعد وعاونها على الجلوس وهو يقول :

- وهذه القهوة ؟

- نعـم .

وأحضر رولى القهوة وصب بوارو بنفسه بعضاً منها فى فنجان أعطاه للين . وقال رولى :

- اسمع ... أظن انك لا تدرك اننى حاولت أن أخنقها . اننى مسئول عن موت رجلين، ولو لم تأت لارتكبت الجريمة الثالثة .

قال بوارو : - دع الكلام عن الموت الآن ودعنا نشرب قهوتنا فان حديث الموت لا يروق لمدموازيل لين .

قال رولى :- يا الهى .

وتفرس فى بوارو وأخذت لين ترشف القهوة فى صعوبة . وكانت ساخنة وقوية ، ولم تلبث أن أحست بالألم يخف وسألها بوارو :

هل أنت أحسن ؟

وأردف يقول عندما أومأت برأسها : نستطيع أن نتكلم الآن ... أعنى اننى أستطيع أن أتكلم حقاً .

وسأله رولى فى غباء :- ماذا تعرف بالتدقيق ؟ ... هل تعرف اننى قتلت شارل ترنتون ؟

قال بوارو : نعم . اننى أعرف ذلك منذ قليل .

وفتح الباب فى عنف فى هذه اللحظة ودخل دافيد هنتر وصاح :

لين ... انك لم تقولى لى ...

وأمسك مرتبكاً وأخذت عيناه تتنقلان من الواحد إلى الآخر :

- ما هذا الذى حول عنقك ؟

قال بوارو فى هدوء : قدح آخر .

وناوله رولى قدحاً ملآه بوارو بالقهوة وأعطاه لدافيد وهو يقول :-

- اجلس . سنجلس ونرشف قهوتنا وستضعون ثلاثتكم إلى هركيول بوارو وهو يدلى اليكم بمحاضرة عن الجريمة .

وهكذا فرض بوارو نفسه من جديد . وقالت لين تحدث نفسها ... هذا كابوس غريب... ليس هذا حقيقة .

وجلسوا كلهم خاضعين لسلطان ذلك الرجل القصير ذى الشاربين الكبيرين ... رولى القاتل ، ولين ضحيته ودافيد ، الرجل الذى تحبه .

وقال بوارو وكأنه مدرس يلقى محاضرة :- ما الذى يتسبب فى الجريمة ؟ وما هو الاستعداد الفطرى لها ؟ هل يستطيع كل امرىء أن يرتكب جريمة ... وماذا يحدث عندئذ ؟ هذا هو السؤال الذى ألقيته على نفسى فى البداية . ماذا يحدث لاناس يعيشون فى حمى وفى امان من نوائب الحياة ومصائبها حين يحرمون فجأة من هذا الأمان .

«اننى أتكلم كما تعرفون عن آل كلود ، وليس هنا منهم غير فرد واحد ، ولهذا أستطيع أن أتكلم بكل حرية ... أثارتنى هذه المشكلة منذ البداية ، فها هى ذى اسرة أرادت الظروف ألا يعتمد جميع أفرادها إعتماداً كلياً على أنفسهم ، فعلى الرغم من أن كلاً منهم له موارده الخاصة إلا أنهم ظلوا فى قرارة أنفسهم يعيشون على أمل حماية رحيمة ... لم يعرفوا الخوف أبداً وعاشوا فى أمان ... أمان مصطنع وغير طبيعى ، لأن جوردون كلود كان وراءهم دائماً » .

وان ما أحاول قوله الآن هو أن الرجل لا يظهر على طبيعته الحقيقة إلا عند التجربة وكثيراً ما تأتى التجربة لأغلبية منا قبل الأوان ، فان الرجل لا يلبث أن يجابه

مسئوليات الحياة ويواجه اخطارها وصعابها ويختار طريقته فى معالجتها ... ومن الممكن أن تكون هذه الطريقة هى الطريقة القويمة كما يمكن أن تكون الطريقة المعوجة ، ومهما يكن من أمر فان الرجل لا يلبث أن يعرف من أى عجينة خلق .

ولكن آل كلود لم تواتهم الفرصة لمعرفة ضعفهم إلا عندما قطعت عنهم الحماية وأرغموا فجأة على مواجهة صعاب الحياة . وكان هناك شئ ... شئ واحد يقف حائلاً بينهم وبين عودة الامان ... وهذا الشئ هو روزالين كلود ، واننى واثق ان كل واحد من آل كلود تمنى لها الموت فى وقت من الأوقات .

ارتجفت لين . وسكت بوارو حتى يستوعب الجميع الكلمات الأخيرة ثم قال :

- وفكرة الموت ... موتها هى بالذات راودت الجميع ، وأنا واثق مما أقول ، ولكن هل راودتهم فكرة القتل هى الاخرى ... أو هل خطرت هذه الفكرة لواحد منهم بالذات؟

ومن غير أن يغير لهجته تحول إلى رولى وقال له :- هل فكرت فى قتلها ؟

قال رولى :- نعم . كان ذلك فى اليوم الذى أقبلت فيه إلى المزرعة ولم يكن بها أحد غيرى . كانت تثير الشفقة وكانت جميلة جداً ، وقد دهشت حقاً لأنها خائفة ، ولو أنها عرفت ما كان يدور بذهنى لتملكها خوف شديد . نعم ، كنت أفكر فى قتلها عندما أخذت القداحة لكى أشعل لها سيجارتها .

- وأظن أنها نسيتها معك بعد ذلك . وبهذا بقيت معك .

هز رولى رأسه وقال :- لا أدرى لماذا لم أقتلها فكرت فى أن أفعل وان أدبر الأمر بحيث يبدو أنها ماتت قضاء وقدراً .

قال بوارو : ذلك لأن الجريمة ليست متأصلة فى دمك . هذا هو الأمر . أما الرجل الذى قتلته فانك قتلته فى نوبة من الغضب وأظنك لم تكن تريد أن تقتله حقاً .

- كلا وايم الحق . ضربته على فكه فوقع على ظهره واصطدمت رأسه بحافة الموقد . وعندما رأيت أنه مات لم أصدق ذلك .

ونظر إلى بوارو مستغرباً وقال :- ولكن كيف عرفت ذلك .

أجاب بوارو :- أظن اننى أعدت بناء جميع حركاتك كما حدثت تقريباً وأرجو أن تصحح لى أخطائى . انك ذهبت إلى حانة الستاج وانهت بياتريس ليبنكوت اليك الحديث الذى سمعته بين الرجلين . وبعد ذلك ذهبت كما قلت إلى عمك جيرمى كلود لتعرف رأيه فى هذه المشكلة بصفته محامياً ، ولكن شيئاً حدث هناك ... شيئاً جعلك تغير رأيك ، وأظن اننى أعرف هذا الشئ ... انك رأيت صورة .

أومأ رولى برأسه وقال :- نعم . كانت فوق المكتب ، وقد لحظت الشبه على الفور وأدركت لماذا بدا لى وجه ذلك الرجل مألوفاً واستنتجت من ذلك أن جيرمى وزوجته قد دبرا خطة للحصول على بعض المال من روزالين . وتملكنى الغضب وعدت للحانة وصعدت رأساً إلى الغرفة رقم ٥ واتهمت الرجل بأنه محتال فضحك واعترف بذلك وقال أن دافيد هنتر سيأتيه بعد قليل بالمال المطلوب ، واستبد بى الغضب عندما رأيت أن اسرتى نفسها تخدعنى فاتهمته بالغش والخداع وضربته فسقط على الأرض كما سبق أن قلت .

وساد صمت قصير وقال بوارو :- وبعد ؟

قال رولى فى بطء :- وقعت القداحة من جيبى أثناء ذلك وكنت قد أخذتها معى لأعيدها إلى روزالين عندما أراها . وقعت فوق الجثة ورأيت الحرفين الأولين اللذين عليها د . هـ وهما الحرفان الأولان من اسم دافيد .

«ومنذ تلك الحفلة التى أقامتها العمة كاتى أدركت ... ولكن لا داعى لذلك ... أحسست فى بعض الأحايين أننى أكاد أجن . ولعلى مجنون بعض الشئ فعلاً . فأول كل شئ ذهاب جونى ... ثم الحرب ... والآن لين ... ثم هذا الشاب ... جررت الرجل حتى منتصف الغرفة وقلبته على صدره ثم أخذت الملقطين الثقيلين ... حسناً ... لن أدخل فى أية تفاصيل ... أزلت بصمات أصابعى ونظفت مثاب الموقد ثم نقلت عقارب الساعة لكى تشير إلى الساعة التاسعة وعشر دقائق ثم حطمتها وأخذت أوراقه وبطاقته التموينية فقد خشيت أن يهتدوا إلى شخصيته منها ثم انصرفت ، وقد خيل

لى أن الشكوك ستتجه إلى دافيد هنتر إذا ما ذكرت بياتريس ليبنكوت قصتها .

قال دافيد : أشكرك .

قال بوارو :- وبعد ذلك أتيت إلى وقمت بتلك التمثيلية الصغيرة وطلبت منى أن أبحث لك عن شاهد يكون قد عرف روبيرت اندرهاى . ولكنى لم ألبث أن عرفت بعد قليل أن جيريمى كلود روى لأسرته القصة التى ذكرها الميجور بورتر ، وهكذا تعلقت الاسرة كلها بأمل خفى على أن اندرهاى قد يظهر ذات يوم ، وظلت هذه الرغبة تلح على مسز ليونيل كلود بحيث أنها كانت تنسبها إلى الأرواح دون وعى .

«وهكذا قمت بدور الحاوى وغرتنى دهشتك كثيراً ولم أكن أدرى أننى المغفل الحقيقى نعم ، فهناك فى غرفة الميجور بورتر قدم لى سيجارة وقال يخاطبك «اننى أعرف انك لا تدخن» .

«كيف عرف انك لا تدخن ؟ كان المفروض انه لم يلتق بك قبل هذه اللحظة . كنت مغفلاً وكان يجب أن أدرك الحقيقة وأن أفهم انك اتفقت مع الميجور على خطتكم قبل ذلك . لا عجب أنه كان منفعلاً فى ذلك الصباح . فقد كان على أنا «المغفل» أن أذهب إلى الميجور بورتر للتحقق من شخصية القتيل . ولكن لن أقوم بدور المغفل وقتاً طويلاً كلا . اننى لست مغفلاً الآن .

وردد البصر حوله فى غضب ثم استطرد يقول :- ولكن رجع الميجور بورتر عن اتفاقه ، فهو لم يرض أن يدلى بشهادته بعد حلف اليمين ، ثم ان قوة التهمة ضد دافيد هنتر تستند أساساً على شخصية القتيل . ولهذا رجع الميجور بورتر فى وعده .

قال رولى فى صوت خشن :- كتب إلى بأنه لن يدلى بشهادته فى محكمة الجنايات. ما أشد غبائه . ألا يفهم أنه قطع شوطاً كبيراً وانه لا يستطيع التراجع ؟ أسرعت اليه لكى أتفاهم معه ولكننى وصلت متأخراً فقد كتب لى يقول انه يؤثر أن ينتحر عن أن يشهد زوراً فى قضية قتل . لم يكن الباب موصداً فصعدت ووجدته .

«ولا أستطيع أن أشرح لك احساسى الآن ... أحسست كأننى ارتكبت جريمة قتل

للمرة الثانية . ليته انتظر ... ليته انتظر حتى اتحدث معه !» .

سأله بوارو :- كان قد ترك رسالة ، وقد أخذتها انت ؟

- نعم . كنت فى دوامة كانت الرسالة لقاضى التحقيق قال فيها أن القتيل ليس روبيرت اندرهاى وقد أخذتها وأعدمتها .

وهوى رولى بيده على المكتب واستطرد يقول :- كان الأمر أشبه بحلم مزعج ... بكابوس مخيف ... بدأته أنا وكان يتعين على أن أسير إلى النهاية أردت المال لكى أتزوج لين ، وأردت أن يشنق دافيد ... ولكن حدث ما لم أفهمه ، فقد تهاوت التهمة ضد دافيد ودخلت فى الأمر امرأة ... كانت مع آردن بعد ذلك ... لم أفهم وما زلت لا أفهم ذلك . أية امرأة ؟ كيف تكون هناك امرأة تتحدث إلى اردن بعد أن مات .

قال بوارو :- لم تكن هناك أية امرأة .

قالت لين فى صوت خافت :- ولكن المرأة العجوز رأتها يا مستر بوارو وسمعتها تتكلم .

قال بوارو :- آه ولكن ماذا رأت ؟ وماذا سمعت ؟ رأت شخصاً يرتدى بنطلوناً وجاكيت خفيفة من التويد . رأت رأساً يغطيها إيشارب ووجهاً تغطيه الأصباغ وشفتين مصبوغتين بالأحمر . رأت كل ذلك فى نور خافت وماذا سمعت ؟ ... رأت الفاجرة تعود إلى الغرفة رقم ٥ ومن داخل الغرفة سمعت صوت رجل يقول : «اذهبى يا فتاة فاننى متعب» .

وأردف بوارو يقول وهو يتحول إلى دافيد :- كانت فكرة رائعة يا مستر هنتر .

قال دافيد فى حدة :- ماذا تعنى ؟

- جاء دورك الآن لكى أروى لك قصة . انك ذهبت إلى الحانة فى الساعة التاسعة أو نحو ذلك . لم تذهب لكى تقتل وانما لكى تدفع . فماذا وجدت ؟

وجدت الرجل الذى يهددك ملقى على الأرض وقد لقى مصرعه بطريقة وحشية . وانت سريع البديهة يا مستر هنتر ، وقد أدركت على الفور انك فى خطر ولم يكن أحد

قد رآك وأنت تدخل بقدر ما تعرف . وكان عليك ان تسرع بالخروج وكانت فكرتك الأولى أن تبادر بالخروج وأن تلحق بقطار التاسعة والدقيقة العشرين وتعود إلى لندن وتقسم انك لم تكن فى وارمسلى فيل . ولكنك التقيت بمس مارشمونّت ، أدركت فى نفس الوقت انك لن تستطيع اللحاق بالقطار فانك رأيت الدخان المتصاعد منه فى السماء كما رأته هى أيضاً .

ولكنك لم تكن تعرف ذلك ، ولم تدرك هى أن هذا الدخان يدل على انك لن تلحق بالقطار . وعندما قلت لها أن الساعة التاسعة والدقيقة الخامسة عشر قبلت قولك بدون أن تشك فى الأمر .

ولكى تطبع فى ذهنها بأنك لحقت بالقطار يتفتق ذهنك عن خطة بارعة فانك تعود إلى فيروبانك وتدخل مستخدماً مفتاحك من غير أن يراك أحد وتأخذ وشاح اختك واصبعاً من أصابع أحمر الشفاه الذى تستعمله وتغطى وجهك بالأصباغ بطريقة مسرحية ظاهرة وتعود بعد ذلك إلى الحانة فى الوقت المناسب وتطبع صورتك الجديدة فى ذهن المرأة العجوز التى تجلس فى الغرفة المخصصة للنزلاء والتى يعرف أطوارها الغريبة ثم تصعد بعد ذلك إلى الغرفة رقم ٥ وعندما تسمعها تصعد إلى غرفتها تخرج إلى الطرقة ثم تعود مسرعاً إلى الداخل مرة أخرى وتقول بصوت مرتفع اذهبى يا فتاة... اننى متعب .

وأمسك بوارو لحظة ثم قال :- خطة بارعة جداً .

صاحت لين :- هل هذا صحيح يا دافيد ؟ ... هل هذا صحيح ؟

ضحك دافيد وقال :- اننى أجيد تمثيل الأدوار النسائية . يا الهى .. كانت يجب أن تروا وجه تلك المرأة البشعة .

قالت لين فى شئ من الحيرة :- ولكن كيف امكنك أن تكون هنا فى الساعة العاشرة وأن تكلمنى فى التليفون فى الساعة الحادية عشرة .

انحنى دافيد أمام بوارو وقال :- مستر بوارو يقدم كل التفسيرات ، فهو الرجل

الذى يعرف كل شئ ... كيف تم لى ذلك ؟

قال بوارو : كان هذا من أبسط الامور ، فانك اتصلت بأختك فى لندن من كشك عمومى وأعطيتها تعليمات دقيقة وقلت لها أن تطلب رقم ٣٤ بوارمسلى فيل فى تمام الساعة الحادية عشرة وعندما ردت مس مارشمونت قال لها عامل التليفون أن هناك من يطلبها من لندن وما كاد أن يفرغ من قوله هذا حتى أعادت روزالين كلود السماعة . اما انت فانك بعد الحادية عشرة بدقائق طلبت رقم ٣٤ بوارمسلى فيل من كشك عمومى وعندما ردت عليك قلت لها فى صوت حاولت أن يكون مختلفاً بعض الشئ «مكالمة من لندن» ثم انتظرت لحظة حتى يبدو الأمر طبيعياً ثم تكلمت مع لين وهى تظن انك تتكلم من لندن .

قالت لين فى هدوء :- اذن لهذا تكلمت معى يا دافيد ؟

وكان فى صوتها شئ جعله ينظر إليها فى حدة ولكنه تحول إلى بوارو واتى بحركة تدل على التسليم وقال :-

- لا شك هناك فى أنك تعرف كل شئ ... وإذا أردت الصراحة فاننى كنت حائراً ، وكان لابد لى من التفكير . وبعد أن تكلمت مع لين مشيت خمسة أميال حتى بلغت داسلبى ومضيت إلى لندن بقطار الفجر الذى يصلها فى وقت مبكر من الصباح . وبلغت الشقة فى الوقت المناسب لكى أشعث الفراش وأتناول طعام الافطار مع روزالين ، ولم يخطر لى أبداً ان البوليس سيظن انها هى التى قتلت آردن .

وبالطبع لم تكن لدى أية فكرة عمن قتله ، فلم أستطع أن أرى من له مصلحة فى قتله لم يكن هناك سبب يدفع أى أحد لقتله فيما عداى انا وروزالين .

قال بوارو :- تلك كانت الصعوبة الكبيرة . السبب أو الدافع . كان هناك دافع يدفعك انت واختك لقتل آردن ، وكل فرد من آل كلود كان لديه دافع لكى يقتل روزالين .

قال دافيد فى حدة :- انها قتلت اذن ؟ ... لم يكن إنتحاراً .

- كلا . كانت جريمة آرتكبت بكل عمد واصرار ، فقد استبدل البروميد بالمورفين ... أحد الاقراص المنومة ... بأحد الاقراص الأولى .

عبس دافيد وقال :- الاقراص المنومة ... لعلك لا تعنى ... لعلك لا تعنى أن ليونيل كلود ...

قال بوارو : اوه ، كلا . كان لكل فرد من آل كلود الفرصة فى استبدال البروميد بالمورفين . كان فى مقدور العمة كاتى ان تستبدله قبل أن تخرج الاقراص من العيادة وذهب رولى هنا إلى فيروبانك ليقدم البيض والزبدة لروزالين . وذهبت مسز مارشمونت ومسز جيرمى كلود كذلك . حتى لين مارشمونت ذهبت اليها هى الأخرى . لكل منهم دافع ...

صاح دافيد :- لكل منهم دافع فيما عدا لين .

قالت لين :- لكل منا دافع ... أليس هذا ما تعنيه ؟

قال بوارو :- نعم . كانت قضية معقدة جداً . لدافيد هنتر وروزالين دافع لقتل آردن ولكن أحداً منهما لم يقتله ولآل كلود دافع لقتل روزالين ومع ذلك فان أحداً منهم لم يقتلها . كانت هذه القضية خاطئة منذ البداية . ان روزالين كلود قتلها الشخص الذى يخسر الكثير من موتها .

وحول رأسه قليلاً وقال :- انت الذى قتلتها يا مستر هنتر .

صاح دافيد :- انا ؟ ولماذا اقتل أختى بحق الشيطان ؟

- انك قتلتها لأنها لم تكن اختك ، فقد ماتت روزالين كلود بفعل العدو منذ ما يقرب من سنتين . أما المرأة التى قتلتها فكانت خادمة ايرلندية تدعى ايلين كوريجان جاءتنى صورتها من ايرلندا اليوم .

وأخرج الصورة من جيبه وهو يتكلم وبسرعة البرق اختطفها دافيد وأسرع نحو الباب فاندفع منه وصفقه خلفه وأسرع رولى يطارده وهو يصرخ محنقاً .

وبقى بوارو ولين وحدهما وصاحت هذه الأخيرة :- ليس هذا صحيحاً ... لا يمكن

أن يكن هذا صحيحاً .

- انها الحقيقة . وقد رأيت نصفها مرة عندما حسبت أن دافيد هنتر ليس أخوها انظرى إلى الأمر هكذا فتجدين أن كل شئ يتطابق . كانت هذه الروزالين كاثوليكية ولكن زوجة اندرهاى لم تكن كذلك . كان ضميرها يؤرقها كثيراً . ولكنها كانت تخلص لدافيد كل الاخلاص . تصورى احساساته فى تلك الليلة التى وقعت فيها القنبلة على البيت ، بعد أن ماتت اخته . كان جوردون كلود يحتضر ... كل هذه الحياة السهلة الرغدة ستفلت من بين يديه . ولكنه لم يلبث أن رأى تلك الفتاة ، وكانت هى الوحيدة التى بقيت على قيد الحياة وكانت قد أصيبت وأغمى عليها . ولا ريب أنها كانت عشيقته ، ولم يكن يشك فى انها ستقبل كل ما يعرضه عليها .

وأردف يقول فى جفاء من غير أن ينظر إلى لين :- ثم ان له وسائله مع النساء . وهو فوق ذلك رجل إنتهازى فيقول لرجال الانقاذ انها اخته . وتعود ايلين إلى رشدها لتجده بجوار فراشها ، ويقنعها ويتملقها لكى تقبل دورها .

ولكن تصورى مدى ذعرهما عندما تأتيهما رسالة التهديد ... منذ البداية وأنا ألقى على نفسى هذا السؤال . هل يكون هنتر من هذا النوع الذى يرضى أن يخضع للتهديد بمثل هذه السهولة . ثم انه كان يبدو وكأنه لم يكون واثقاً إذا كان الرجل الذى يهدده هو اندرهاى أم لا . ولكن كيف لا يكون واثقاً من ذلك ؟ أن روزالين كلود يمكنها أن تخبره على الفور هل الرجل زوجها أم لا ، فلماذا يبعث بها إلى لندن بمثل هذه العجلة من غير أن يدعها تلقى نظرة على الرجل ؟ ... لانه ... ولا يمكن أن يكون هناك سبب آخر .. لأنه لم يكن يريد أن يراها الرجل ... إذا كان هو اندرهاى فلا يجب أن يعرف أن روزالين كلود كلا ، لم يكن بمقدوره إلا أن يفعل شيئاً واحداً ، هو أن يدفع ما يكفى لتهدئة المهدد ثم يفر هو وروزالين بعد ذلك إلى ... أمريكا .

ولكن فجأة ، وعلى غير انتظار يقتل المهدد ويشهد الميجور بورتر انه هو نفسه اندرهاى . لم يجد دافيد هنتر نفسه فى مثل هذه الورطة من قبل . وزاد الطين بله أن

الفتاة بدأت تتهاوى وراح ضميرها يؤنبها وأدرك انها ستعترف بكل شئ إن عاجلاً وإن آجلاً فيصبح عرضة للاتهام والسجن ، ثم أنها أصبحت تضايقه بملاحقتها لأنه وقع فى هواها ، ولهذا تستقر نيته على أن يبدأ من جديد ، ولكن لابد له فى سبيل ذلك أن يقتل روزالين . ويستبدل البورميد بالمورفين فيحثها على أن تتناول قرصاً كل ليلة قبل النوم ، ويحملها على الخوف من أسرة كلود ولن ترقى الشبهات اليه لأن موت أخته معناه أن ثروتها ستئول من جديد إلى آل كلود . كانت هذه هى ورقته الرابحة ... عدم وجود دافع ... كانت هذه القضية قضية خاطئة من بدايتها كما قلت لك .

فتح الباب فى هذه اللحظة ودخل المفتش سبنس فسأله بوارو :- حسناً ؟

أجاب سبنس :- كل شئ على ما يرام ... اننا أمسكناه .

وقالت لين فى صوت خافت :- هل ... هل قال شيئاً .

- قال أنه لقى نصيبه الحق ... ومن الغريب أنهم يتكلمون عندما لا نتوقع منهم ذلك . كنت أحذره عندما قاطعنى قائلاً :

- صه يا رجل ... اننى مقامر وأعرف كيف أواجه الخسارة .



في صباح يوم أحد سمع رولى طرقاً على باب المزرعة ففتحه ، ولقى أمامه لين ، فارتد خطوة إلى الوراء وهو يقول :- لين .

- هل أستطيع الدخول يا رولى ؟

افسح لها الطريق ومضى خلفها إلى المطبخ . كانت قادمة من الكنيسة ، وكانت ترتدى قبعتها ، وخلعتها فى بطء ووضعتها على حافة النافذة وقالت :

- اننى عدت إلى البيت يا رولى .

- ماذا تعنين ؟

- أعنى ما قلت تماماً . عدت إلى بيتى ... بيتى هنا معك . وقد كنت من الغباء

بحيث لم أدرك ذلك من قبل ... لم أدرك ذلك عند عودتى من الجيش ألا تفهم يا رولى؟ ... اننى عدت إلى بيتى .

- هل تدركين ما تقولين يا لين ؟ ... اننى حاولت أن أقتلك .

عبست لين ومرت بيدها على عنقها فى حذر وقالت اننى أعلم . والحق اننى فى اللحظة التى تصورت فيها انك تقتلنى بدأت أفهم مدى غبائى .

قال رولى :- اننى لا أفهم .

- اوه ، لا تكن غبياً ... اننى أردت دائماً أن أتزوجك ، وانت تعرف هذا . ولكننى عندما عدت وجدتك من الهدوء والكسل بحيث قلت لنفسى أن الحياة معك ستكون رتيبة خالية من البهجة والمرح . وقد أغرمت بدافيد لأنه شديد الخطر وجذاب ولأنه يفهم النساء جيداً . ولكن لم يكن حبى له حقيقياً لأنك عندما أمسكتنى من عنقى وقلت لى أننى إذا لم أكن لك فلن أكون لغيرك ... حسناً ، عرفت عندئذ اننى امرأتك ... ولكننى لسوء الحظ بدا لى اننى أدركت ذلك بعد فوات الأوان ... ولولا أن هركيول تدخل فى اللحظة المناسبة وانقذ الموقف ... انا امرأتك يا رولى .

هز رولى رأسه وقال :- هذا محال يا لين ... اننى قتلت رجلين .

صاحت به :- هراء . كفى غباء وتهويلاً ... انك إذا تشاجرت مع رجل وضربته فوقع على الأرض وشجت رأسه فوق الموقد فهذه ليست جريمة قتل . ليست جريمة قتل من الناحية القانونية .

- ولكنه ضرب أفضى إلى الموت ويعاقب عليه قانوناً .

- جائز . وإذا حدث فسأكون فى انتظارك .

- ثم هناك بورتر . اننى مسئول عن موته أدبياً .

- أبداً . كان رجلاً راشداً مسئولاً عن عمله . وكان فى مقدوره أن يرفض اقتراحك ولا يمكن أن يلومك أحد على ما فعلت ، فانك عرضت عليه أن يقدم على عمل غير شريف وقبل . ولكنه لم يلبث أن ندم على ذلك واتبع أسهل الطرق . كان رجلاً ضعيفاً .

هز رولى رأسه متعنتا وقال :- لن تقنعينى يا لين . لا يمكنك أن تتزوجى رجلاً ينتظره السجن .

- لا أظن أنك ستزج فى السجن ، فلو صح هذا لألقى رجال البوليس القبض عليك منذ أيام .

- ولكننى ضربت رجلاً أفضى إلى موته ورشوت بورتر .

- ما الذى يحملك على الظن أن البوليس يعلم كل هذا ؟

- ان بوارو يعرف .

- ولكن بوارو ليس من رجال البوليس . سأقول لك الآن ماذا يعتقد رجال البوليس. انهم يعتقدون أن دافيد هنتر كان فى وارمسلى فيل فى تلك الليلة وانه قتل آردن كما قتل روزالين . لن يحاكموه على قتله آردن لأن هذا ليس ضرورياً ولأننى أعرف انه لا يمكن مقاضاته مرتين بنفس التهمة ، وطالما اعتقدوا ذلك فانهم لن يبحثوا عن شخص آخر غيره .

- ولكن هذا الرجل بوارو ؟

- انه قال للمفتش أن موت آردن حدث عرضاً فضحك المفتش .

وإذا أخذت رأيى فاننى أعتقد أن بوارو لن يقول شيئاً لأحد .

انه رجل ظريف .

- كلا يا لين . لن أدعك تقدمين على هذه المخاطرة ، ومهما يكن من امر فاننى لا أثق فى نفسى ... أعنى انك لن تكونى فى امان معى .

- هذا جائز ... ولكننى احبك يا رولى ... انك عشت فى جحيم فى الأيام الأخيرة... ثم اننى لا أبالى أبداً بأن أكون فى أمان .

تمت

مجموعة قصص أجاثا كريستي

ترجمة الأستاذ / محمد عبد المنعم جلال

معروف إخوان

أسكندرية – ٤ ش سعد زغلول – ت : ٨١٠٨٢٨

القاهرة – ٤٣ ب ش رمسيس – ت : ٥٧٤٣٦١١

الموز

بالمملكة العر

مكتبة دار الكتب

ت : ٤١١١٢٠٧ الرياض